جواهر الأدب

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتّاب

الجزء الثالث

جمعه ونقحه العلامة ب . بستاني

بعناية

سليم ابراهيم صادر

طبعة خامسة منقحة

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت سنة ١٩٢٨

المقدمة

هذا الجزء الثالث من هذه السلسلة الفنية وفقه الى [illegible] على اسلوب انيق يروي غلة المتأدبين ويسد ثلمة واسعة في الكتب الادبية المتداولة لهذا العهد بين ايدي الاحداث لما اشتمل عليه من غرر المعاني ودرر المباني في اغلب ابواب الانشاء مما يرسخ في اذهان المتخرجين ملكة الكتابة وينشئ فيهم سلامة الذوق وحسن الاختيار ويمهد لافكارهم التوسع في جميع المواضيع الاجتماعية والادبية والاخلاقية الى ما هنالك مما يستخرجونه من مواده الغزيرة وفصوله السديدة ومقالاته الرائقة المختارة عن انبغ الكتاب واشهر حملة الاقلام في كل عصر

ولا نرتاب في ان ابناء التحصيل قد عثروا في هذا السفر المفيد على بغيتهم المرصودة حتى اقبلوا عليه كما اقبلوا على شقيقيه من قبله مما انسانا العناء الذي تجشمناه في سبيل وضعه على ذلك النمط المحكم . ولا نخال ارباب المعاهد والاساتذة الكرام الا مرتاحين الى الفصول الادبية العديدة التي اودعناها في باب الفضائل والنقائص مما تخلو منتخبات الادب والتخريج عن اكثره ولا سيا التي بين ايدي التلامذة وقد التقطناها من مواطن جمة فنظمنا تلك الدرر المنثورة في اضعاف الكتب كل درة في عقدها حتى تألف منها ذلك المجموع الرائع . وانما غرضنا من ذلك ان نوفر للطلاب مواد التهذيب وننمي في بصائرهم الافكار السامية والمبادئ العالية التي تبصرهم مواقع الامور وتقيهم العثرات في معترك العمل وتصونهم من الاختباط في دياجي الزلل وتقصيهم عن الشوائب الشائنة التي تعلق في طباع الاعرار واخلاق الغوغاء ممن لم تكتحل ابصارهم بانوار المعارف والاداب الى ما هنالك من الفوائد الانيرة التي يخلق بابناء العصر ان يتحلوا بها نيل الاستعداد لنبات الاجتماع . والله الرشيد الى مناهج الصواب ومناجي السداد

الباب الاول

في العلم والادب

أَلفَصلُ ٱلأَوَّلُ

فِي مَنَافِعِ ٱلعَقلِ وَأَضرَارِ ٱلجَهلِ

قَالَ بَعضُ ٱلفُصَحَاءِ : ٱلعَقلُ وَزِيرٌ رَشِيدٌ وَظَهِيرٌ [1] شَدِيدٌ . مَنْ أَطَاعَهُ نَجَّاهُ وَمَنْ عَصَاهُ أَردَاهُ [2]

وَقَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ : لَمْ تَرَ عَينَايَ أَفضَلَ مِنْ عَقلٍ يَتَرَدَّى بِهِ ٱلرَّجلُ . إِنِ ٱنكَسَرَ جَبَرَهُ ، وَإِنْ صُرِعَ أَنعَشَهُ ، وَإِنْ ذَلَّ أَعَزَّهُ ، وَإِنِ ٱعوَجَّ أَقَامَهُ ، وَإِنْ عَثَرَ أَقَالَهُ ، وَإِنِ ٱفتَقَرَ أَغنَاهُ ، وَإِنْ عَرِيَ كَسَاهُ ، وَإِنْ غَوَى أَرشَدَهُ ، وَإِن خَافَ أَمَّنَهُ ، وَإِنْ حَزِنَ أَفرَحَهُ ، وَإِنْ أَقَامَ بَينَ أَظهُرِ ٱلقَومِ [3] أُغتُبِطُوا بِهِ ، وَإِنْ غَابَ عَنهُمْ أَسِفُوا عَلَيهِ

وَقَالَ أَبُو ٱلأَسوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ : إِذَا أَرَدتَ أَنْ تُعَذِّبَ عَالِمًا فَأَقرِنْ

---

(١) معين (٢) اهلكه (٣) اي في وسطهم

بِهِ جَاهِلًا . وَقَالَ آخَرُ : مُجَالَسَةُ ٱلْجَاهِلِ مَرَضٌ لِلْعَاقِلِ

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ إِلَى أَحْمَقَ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ . فَسُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْأَحْمَقُ ضَالٌّ مُضِلٌّ ، إِنْ أُونِسَ تَكَبَّرَ ، وَإِنْ أُوحِشَ تَكَدَّرَ . مُجَالَسَتُهُ تَضُرُّ وَمُوَالَاتُهُ تَغُرُّ

وَقَالَ آخَرُ : ٱلْأَحْمَقُ إِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ ، وَإِنْ حُدِّثَ وَهِلَ[١] ، وَإِنِ ٱسْتُنْزِلَ عَنْ رَأْيٍ نَزَلَ ، وَإِنْ حُمِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَعَلَ . وَمِنْ عَلَامَاتِهِ ٱلْغَضَبُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَٱلْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَإِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ وَٱلثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَأَنْ لَا يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ

وَقِيلَ : ٱلْعَاقِلُ مَنْ ذَادَ[٢] عَنْ مَرَاتِعِ[٣] ٱلْهَوَى نَفْسَهُ وَكَفَّهَا عَنْ شَهَوَاتٍ تُقَرِّبُ إِلَيْهِ رَمْسَهُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ[٤] لَهُ ... إِلَّا ٱلْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

وَقَالَ مِسْكِينٌ ٱلدَّارِمِيُّ :

إِتَّقِ ٱلْأَحْمَقَ وَٱحْذَرْ وُدَّهُ ... إِنَّمَا ٱلْأَحْمَقُ كَٱلثَّوْبِ ٱلْخَلَقْ[٥]

---

(١) وهم وغلط (٢) دفع (٣) جمع مرتع وهو المرعى (٤) يقال استطب لدائه دواء من فلان اذا سأله ان يصفه له (٥) البالي

كُلَّمَا رَقَّعْتَ مِنْهُ جَانِباً زَعْزَعَتْهُ ٱلرِّيحُ وَهْناً فَٱنْخَرَقْ
أَوْ كَصَدْعٍ (١) فِي زُجَاجٍ فَاحِشٍ هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَرْتَتِقْ
فَإِذَا عَاتَبْتَهُ كَيْ يَرْعَوِي زَادَ شَرًّا وَتَمَادَى فِي ٱلْحُمُقْ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : إِذَا كَانَ ٱلْعَقْلُ فِي ٱلنَّفْسِ ٱللَّئِيمَةِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلذَّمِيمَةِ ، يُنْتَفَعُ بِثَمَرِهَا عَلَى خُبْثِ ٱلْمَغْرِسِ . فَٱجْتَنِ ثَمَرَ ٱلْعَقْلِ وَإِنْ أَتَاكَ مِنْ لِئَامِ ٱلْأَنْفُسِ

قِيلَ لِأَنُوشِروانَ : أَيُّ ٱلنَّاسِ أَوْلَى بِٱلسَّعَادَةِ . قَالَ : أَنْقَصُهُمْ ذُنُوباً . قِيلَ : فَمَنْ أَنْقَصُهُمْ ذُنُوباً . قَالَ : أَتَمُّهُمْ عَقْلاً

أَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي دَلَائِلِ ٱلْعَقْلِ

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ : لِسَانُ ٱلْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ . فَإِذَا أَرَادَ ٱلْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ . وَقَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ . وَقَالَ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ : ٱلْعَاقِلُ ٱلْكَرِيمُ صَدِيقُ كُلِّ أَحَدٍ ، وَٱلْجَاهِلُ ٱللَّئِيمُ عَدُوُّ كُلِّ أَحَدٍ

---

(١) الصدع الشق في شيء صاب

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ ٱلْحَكِيمِ أَنْ يَدَعَ ٱلْتِمَاسَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَإِلَّا يُعَدُّ جَاهِلًا . كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ ٱلسُّفُنَ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْعَجَلَ[1] فِي ٱلْبَحْرِ ، وَذٰلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ

وَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ ٱلْجَهْلِ : مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيهِ ، وَجَاسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْنِيهِ[2] وَتَفَاقَرَ[3] إِلَى مَنْ لَا يُغْنِيهِ ، وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : ٱلْجَاهِلُ يَظْلِمُ مَنْ خَالَطَهُ وَيَعْتَدِي عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَيَتَطَاوَلُ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ، وَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ . وَإِنْ رَأَى مَكْرُمَةً أَعْرَضَ عَنْهَا ، وَإِنْ عَرَضَتْ فِتْنَةٌ أَرْدَتْهُ[4] وَتَهَوَّرَ فِيهَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْعَاقِلُ لَا تُبْطِرُهُ ٱلْمَنْزِلَةُ ٱلسَّنِيَّةُ . كَٱلْجَبَلِ لَا يَتَزَعْزَعُ وَإِنِ ٱشْتَدَّتْ عَلَيْهِ ٱلرِّيحُ . وَٱلْجَاهِلُ تُبْطِرُهُ أَدْنَى مَنْزِلَةٍ كَٱلْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ

وَقَالَ سَهْلٌ : ٱلْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ . وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِذَا عَقَلَكَ عَقْلُكَ[5] عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْعَاقِلُ يَقِي مَالَهُ بِسُلْطَانِهِ وَنَفْسَهُ بِمَالِهِ

---

(١) جمع العجلة وهي الآلة التي يجرها الثور محمولاً عليها الاثقال (٢) يقربه
(٣) تظاهر بالفقر (٤) اهلكته (٥) اي قيدك وحبسك ومنعك

وَدِينَهُ بِنَفْسِهِ

وَقِيلَ لِعَلِيٍّ : صِفْ لَنَا ٱلْعَاقِلَ . قَالَ : هُوَ ٱلَّذِي يَضَعُ ٱلشَّيْءَ مَوْضِعَهُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ : مَا بَلَغَكَ مِنْ عَقْلِكَ . قَالَ مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا خَرَجْتُ مِنْهُ . فَقَالَ : وَلٰكِنِّي مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ وَأُرِيدُ ٱلْخُرُوجَ مِنْهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْعَقْلُ ٱلنَّظَرُ فِي ٱلْعَوَاقِبِ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْعَاقِلُ مَنْ لَهُ رَقِيبٌ عَلَى جَمِيعِ شَهَوَاتِهِ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْمَحَارِمِ [1]

أَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي شَرَفِ ٱلْعِلْمِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَفْضَلُ مَا ٱمْتَنَّ بِهِ ٱلْحَقُّ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ ٱلْعِلْمُ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو ٱلْعَقْلَ وَيَشْحَذُ ٱلذِّهْنَ وَيُحْيِي ٱلْقَلْبَ ، وَيُمَتِّعُ فِي ٱلْخَلْوَةِ وَيُؤْنِسُ فِي ٱلْوَحْشَةِ ، وَتَصِلُ لَذَّتُهُ إِلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ سَآمَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَقَلُّ ٱلنَّاسِ قِيمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْماً

---

(١) المحارم ما يحمى من كل شيء وما حرمه الله تعالى

وَقَالَ أَيضاً : كَفَى بِالْعِلمِ شَرَفاً أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَيَفْرَحَ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ . وَكَفَى بِالْجَهْلِ ضَعَةً أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ ، وَيَغْضَبَ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتاً لَا عِمَادَ لَهُ
وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ : مَنْ خَلَا بِالْعِلْمِ لَمْ تُوحِشْهُ الْخَلْوَةُ ، وَمَنْ تَسَلَّى بِالْكُتُبِ لَمْ تَفُتْهُ السَّلْوَةُ

وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى[1] أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيّاً بِهِ أَبَداً أَلنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : كُلُّ عِزٍّ لَمْ يُوَطَّدْ بِعِلْمٍ فَإِلَى ذُلٍّ مَا يَصِيرُ ،[2]

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ : اعْلَمْ أَنَّ لِلْعِلْمِ عَبَقاً[3] وَعَرْفاً[4] يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ ، وَنُوراً وَضِيَاءً يُشْرِقُ عَلَيْهِ

---

(١) طلب الهدى (٢) اي آخرته الذل (٣) العبق انتشار الرائحة
(٤) العرف الريح الطيبة

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ . كَتَاجِرِ مِسْكٍ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ وَلَا تُجْهَلُ بِضَاعَتُهُ . وَكَمَنْ يَمْشِي بِمَشْعَلٍ [١] فِي لَيْلٍ مُدْلَهِمٍّ [٢] . وَٱلْعَالِمُ مَعَ هٰذَا مَحْبُوبٌ أَيْنَمَا كَانَ وَكَيْفَمَا كَانَ . لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيُؤْثِرُ قُرْبَهُ وَيَأْنَسُ بِهِ وَيَرْتَاحُ بِمُدَانَاتِهِ [٣]

أَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ

فِي ٱلْحَضِّ عَلَى ٱلْعِلْمِ

قَالَ بُزُرْجُمَهرُ : مِنَ ٱلْعِلْمِ أَلَّا تَحْقِرَ شَيْئاً مِنَ ٱلْعِلْمِ . وَمِنَ ٱلْعِلْمِ تَفْضِيلُ جَمِيعِ ٱلْعِلْمِ .

وَقَالَ سُقْرَاطُ : تَعَلَّمُوا ٱلْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ مِنَ ٱلدُّنْيَا حَظّاً فَلَأَنْ يُذَمَّ ٱلزَّمَانُ لَكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذَمَّ ٱلزَّمَانُ بِكُمْ . وَقَالَ أَيْضاً : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ وَتَعَبِهِ صَبَرَ عَلَى شَقَاءِ ٱلْجَهْلِ .

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَا تَدَّخِرْ غَيْرَ ٱلْعُلُو مِ فَإِنَّهَا نِعْمَ ٱلذَّخَائِرْ
فَٱلْمَرْءُ لَوْ رَبِحَ ٱلْبَقَا ءَ مَعَ ٱلْجَهَالَةِ كَانَ خَاسِرْ

وَقَالَ آخَرُ

جَهْلُ ٱلْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ [٤] عَارٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ

---

(١) بقنديل (٢) مشتد الظلام (٣) بمقارنته (٤) خفاؤه وسقوطه

وقال بعض العلماء : لا تمتنع من طلب العلم لكبر سنك واستحيائك من تقصيرك في صغرك . فإن ذلك من خداع الجهل وغرور الكسل . ولأن تكون شيخاً متعلماً أولى من أن تكون شيخاً جاهلا

ذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه . فقال . يا عم ما عندك في ما يقول هؤلاء . فقال : يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر . فقال : لم لا تتعلمه اليوم . قال : أو يحسن بمثلي طلب العلم . قال : نعم والله لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قانعاً بالجهل . قال . وإلى متى يحسن بي طلب العلم . قال : ما حسنت بك الحياة

الفصل الخامس

في آفات العلم

قال أحد الفصحاء : من أخذ من العلم ما تسهل وترك منه ما تعذر كان كالقناص إذا امتنع عليه الصيد تركه ، فلا يرجع إلا خائباً ، إذ ليس يرى الصيد إلا ممتنعاً . كذلك العلم كله صعب

وقال موفق الدين البغدادي : يجب على المتعلم ألا يحرص في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بقدر حاجته ،

وَأَنْ يُقَدِّمَ ٱلأَهَمَّ فَٱلأَهَمَّ بِغَيْرِ إِخْلَالٍ فِي ٱلتَّرْتِيبِ. وَإِذَا كَانَ مُعَلِّماً يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ إِلْقَاءَ ٱلدَّرْسِ وَتَفْهِيمَهُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِمْ مَا لَا يُنَاسِبُهُمْ مِنَ ٱلْمُشْكِلَاتِ، بَلْ يُدَرِّبُهُمْ وَيَأْخُذُهُمْ بِٱلأَهْوَنِ فَٱلأَهْوَنِ إِلَى أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى دَرَجَةِ ٱلتَّحْقِيقِ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ بِهِمْ فِي غَوَامِضِ ٱلْعِلْمِ وَيَخُوضُ بِهِمْ عُبَابَهُ ٱلزَّاخِرَ. وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ عَدِمُوا ٱلْوُصُولَ لِتَرْكِهِمْ هٰذِهِ ٱلأُصُولَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ: إِنَّ ٱلْعُلُومَ نَوَافِرُ تَنِدُّ[1] عَنِ ٱلأَذْهَانِ. فَٱجْعَلُوا ٱلْكُتُبَ عَنْهَا حُمَاةً وَٱلأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَقَالَ بَعْضُ ٱلأُدَبَاءِ: رُبَّمَا ٱسْتَثْقَلَ ٱلْمُتَعَلِّمُ ٱلدَّرْسَ وَٱلْحِفْظَ وَٱتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ ٱلْمَعَانِي عَلَى ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلْكُتُبِ وَٱلْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ. فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلِامْتِنَاعِ مِنْهُ. فَلَا تُعْقِبُهُ ٱلثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَٱلتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَماً. وَهٰذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِمَّا ٱلضَّجَرُ مِنْ مُعَانَاةِ[2] ٱلْحِفْظِ، أَوْ طُولُ ٱلأَمَلِ فِي ٱلتَّوَفُّرِ[3] عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ، أَوْ فَسَادُ ٱلرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ

كَانَ حَمْزَةُ مِنْ خُطَبَاءِ ٱلْعَرَبِ وَعُلَمَاءِ زَمَانِهِ. ضُرِبَ بِهِ ٱلْمَثَلُ فِي ٱلْفَصَاحَةِ وَطُولِ ٱلْعُمْرِ. فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْماً: بِمَ نِلْتَ ٱلْعِلْمَ.

---

(١) تنفر (٢) مقاساة وتحمّل (٣) من توفر على الشيء اذا صرف همته اليه

قَالَ : بِلِسَانٍ سَؤُولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ [١]

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

فِي آدَابِ ٱلْمُتَعَلِّمِ وَأَخْلَاقِهِ

قَالَ ٱلْخَلِيلُ : ٱلْعُلُومُ أَقْفَالٌ وَٱلْأَسْئِلَةُ مَفَاتِيحُهَا . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلْعِلْمِ لَمْ يَنَلْهُ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا يَسْتَنْكِفُ ٱلْمَرْءُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ . وَإِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ لَا أَعْلَمُ

وَقَالَ مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ ٱلْبَغْدَادِيُّ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ ، وَتَتَثَبَّتَ وَلَا تَعْجَلَ وَلَا تُعْجَبَ . فَمَعَ ٱلْعُجْبِ ٱلْعِثَارُ وَمَعَ ٱلِاسْتِبْدَادِ ٱلزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَعْرَقْ جَبِينُهُ إِلَى أَبْوَابِ ٱلْعُلَمَاءِ لَمْ يُعْرِقْ [٢] فِي ٱلْفَضِيلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ أَلَمَ ٱلتَّعَلُّمِ لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ ٱلْعِلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ [٣] لَمْ يُفْلِحْ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُصَحَاءِ : ٱلتَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ ٱلْعُجْبِ مِنْ أَحْسَنِ أَخْلَاقِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ . لِأَنَّ ٱلتَّوَاضُعَ عَطُوفٌ [٤] وَٱلْعُجْبَ مُنَفِّرٌ . وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِٱلْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ . لِأَنَّ ٱلنَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ

---

(١) العقول الفاهم المدرك للامور (٢) لم تمتد عروقه اي اصوله (٣) يكد ويجهد نفسه بالعمل (٤) اي يعطف الناس ويميلهم الى صاحبه والعجب ينفرهم منه

وَقَالَ آخَرُ : كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِرَأْيِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : قَلَّمَا تَجِدُ بِالْعِلْمِ مُعْجَباً وَبِمَا أَدْرَكَ مُفْتَخِراً إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُقِلًّا وَمُقَصِّراً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِ وَجِيهاً وَمِنْهُ مُسْتَكْثِرًا ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ بُعْدِ غَايَتِهِ وَٱلْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ نِهَايَتِهِ ، مَا يَصُدُّهُ عَنِ ٱلْعُجْبِ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : مِنَ ٱلْعِلْمِ أَلَّا تَتَكَلَّمَ فِي مَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامِ مَنْ يَعْلَمُ . فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ .

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى ٱلْإِحَاطَةِ بِالْعِلْمِ سَبِيلٌ فَلَا عَارٌ عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَهْلِ بَعْضِهِ عَارٌ لَمْ يَقْبُحْ بِهِ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ فِي مَا لَيْسَ يَعْلَمُ

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَصْرِفْ نَظَرَكَ إِلَى مَنْ دُونَكَ مِنَ ٱلْجُهَّالِ . بَلِ ٱصْرِفْهُ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ عَوَاقِبَ ٱلْعُجْبِ

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ ٱمْرَءًا   لَطِيفَ ٱلطِّبَاعِ حَكِيمَ ٱلْكَلِمْ
يَمُوتُ وَمَا حَصَّلَتْ نَفْسُهُ   سِوَى عِلْمِهِ أَنَّهُ مَا عَلِمْ

ألفصلُ ٱلسَّابعُ

في آدابِ ٱلعُلَمَاءِ وَأَخلاقِهِمْ

مِنْ آدَابِ ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يَبْخَلُوا بِتَعْلِيمِ مَا يُحْسِنُونَ ، وَلَا يَمْتَنِعُوا مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُونَ ، فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَٱلْمَنْعَ إِثْمٌ . قَالَ خَالِدُ ٱبْنُ صَفْوَانَ : إِنِّي لَأَفْرَحُ بِإِفَادَتِي ٱلْمُتَعَلِّمَ أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِي بِٱسْتِفَادَتِي مِنَ ٱلْمُعَلِّمِ .

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا تَضَعُوا ٱلْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا ، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ . وَكُونُوا كَالطَّبِيبِ ٱلْحَاذِقِ يَضَعُ دَوَاءَهُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُنْتَفَعُ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : لِيَحْذَرِ ٱلْمُعَلِّمُ أَنْ يُضَادَّ ٱلْحَقَّ مُوَافَقَةً لِرَأْيِهِ ، وَمُتَابَعَةً لِهَوَاهُ . فَإِنَّ زَلَّةَ ٱلْعَالِمِ كَالسَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَيَغْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَنْ نَصَبَ [1] نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ . وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِلِسَانِهِ

---

(١) اقام

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء : ٱلْعَالِمُ طَبِيبُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ وَٱلدُّنْيَا دَاؤُها . فَإِذَا كَانَ ٱلطَّبِيبُ يَطْلُبُ ٱلدَّاء فَمَتَى يُبْرِئُ غَيْرَهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاء : عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ ٱتَّعَظْتَ فَعِظِ ٱلنَّاسَ وَإِلَّا فَٱسْتَحْيِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ ٱلْعِلْمِ وُقُوفُ ٱلْعَالِمِ عِنْدَ عِلْمِهِ

وَجَاء فِي ٱلْحَدِيثِ : شَرُّ ٱلنَّاسِ ٱلْعُلَمَاء إِذَا فَسَدُوا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاء : إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْعَالِمُ زَاهِداً فِي ٱلدُّنْيَا فَهُوَ عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : ٱلْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ ٱلْمَاء عَنِ ٱلصَّفَا [1]

وَقَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ :

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا ٱلتَّعْلِيمُ
تَصِفُ ٱلدَّوَاء لِذِي ٱلسَّقَامِ وَذِي ٱلضَّنَى [2] كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِٱلرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَداً وَأَنْتَ مِنَ ٱلرَّشَادِ عَدِيمُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَٱنْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا ٱنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِٱلْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ ٱلتَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

---

(١) جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت (٢) المرض

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلأَدَبِ

قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ ٱلْأَدَبُ بَهَاءُ ٱلْمُلُوكِ وَرِيَاشُ[1] ٱلسُّوقَةِ[2] ، وَٱلنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ . فَتَعَلَّمْهُ تَجِدْ نَفْسَكَ حَيْثُ تُحِبُّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : غَايَةُ ٱلْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .

وَقِيلَ : مَنْ تَأَدَّبَ وَلَيْسَ لَهُ حَسَبٌ أَلْحَقَهُ ٱلْأَدَبُ بِأَهْلِ ٱلرُّتَبِ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : ٱلْأَدَبُ صُورَةُ ٱلْعَقْلِ فَحَسِّنْ صُورَةَ عَقْلِكَ كَيْفَ شِئْتَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : مَنْ سَاءَ أَدَبُهُ ضَاعَ حَسَبُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ ضَلَّ أَصْلُهُ . وَقِيلَ : حُسْنُ ٱلْأَدَبِ يَسْتُرُ قَبِيحَ ٱلنَّسَبِ

وَقَالَ بُزُرْجُمْهَرُ : لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ ٱلْأَدَبُ ، وَأَيُّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ ٱلْأَدَبَ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : إِذَا كَانَ ٱلرَّجُلُ طَاهِرَ ٱلْأَثْوَابِ كَثِيرَ ٱلْآدَابِ حَسَنَ ٱلْمَذْهَبِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلُحَ بِصَلَاحِهِ جَمِيعُ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ

---

(١) الرياش اللباس الفاخر (٢) السوقة الرعية من الناس

وَقَالَ بُزُرْجُمهرُ لِكِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي ٱلْأَدَبِ وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ ٱلْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلى ٱلطَّبَقَةِ ٱلَّتِي فَوْقَهُمْ

وَدَخَلَ أَبُو ٱلْعَالِيَةِ عَلَى بْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلى ٱلسَّرِيرِ وَأَقْعَدَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُهُومَةَ[1] وُجُوهِهِمْ فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ ٱلشَّحِيحِ[2] إِلى ٱلْغَرِيمِ[3] ٱلْمُفْلِسِ . هٰكَذَا ٱلْأَدَبُ يُشَرِّفُ ٱلصَّغِيرَ عَلَى ٱلْكَبِيرِ وَيَرْفَعُ ٱلْمَمْلُوكَ عَلى ٱلْمَوْلَى . وَيُقْعِدُ ٱلْعَبِيدَ عَلى ٱلْأَسِرَّةِ

أَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ

فِي طَرِيقَةِ ٱلتَّأْدِيبِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَلَّا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَذٰلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَ وَيُقَبِّحَ فِي عَيْنَيْهِ ٱلْقَبِيحَ وَلْيَحُثَّهُ عَلى مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ ٱلْعَادَاتِ . وَلْيَحُضَّهُ عَلى تَعَلُّمِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَيُدَرِّبُهُ[4] عَلى ذٰلِكَ

---

(١) مصدر جهمه اذا استقبله بوجه كريه (٢) البخيل (٣) المديون
(٤) ويعوّده

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَقْسِرُوا (١) أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّ خَيْرَ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ الْحَنَانُ (٢) إِلَى التَّفْرِيطِ . وَخَيْرَ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إِلَى الْعُقُوقِ (٣)

وَقَالَ آخَرُ : مِنْ مَحَاسِنِ التَّأْدِيبِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدِّبُ رَفِيقاً (٤) فِي مَوَاضِعِ الرِّفْقِ شَدِيداً فِي مَوَاطِنِ (٥) الشِّدَّةِ . فَيَتَهَيَّبُهُ الْمُتَأَدِّبُونَ وَيَحْتَرِمُوهُ وَيُحِبُّوهُ جُهْدَهُمْ وَيَرْعَوْا (٦) لَهُ جَمِيلًا خَالِداً . وَلْيَتَحَرَّزْ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ ثَقِيلًا فَيَمَلُّوهُ وَيَنْبِذُوا كَلَامَهُ وَيَزْدَرُوهُ . وَلْيَحْتَرِسْ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَهُمْ بِمَظْهَرِ الْعُجْبِ وَالْخُيَلَاءِ فَيَسْتَخِفُّوا بِهِ . وَلْيَحْذَرْ مِنْ أَنْ تَسْتَفِزَّهُ الْحِدَّةُ إِلَى سَلْقِهِمْ (٧) بِقَوَارِصِ (٨) لِسَانِهِ فَيَتَجَرَّأُوا عَلَيْهِ وَيَمْقُتُوهُ وَتَذْهَبَ مَهَابَتُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ

وَأَوْصَى عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ مُؤَدِّبَ وُلْدِهِ فَقَالَ : لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ لِوُلْدِي إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ

---

(١) لا تكرهوا (٢) الرحمة ورقة القلب (٣) العصيان (٤) لطيفاً (٥) مواضع (٦) يحفظوا (٧) من سلقه اذا آذاه (٨) جمع قارصة وهي الكلام الذي ينغص ويؤلم

بِعَيْنِكَ . فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ ، وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلِّمْهُمْ كِتَابَ اللهِ ، وَلَا تُمِلَّهُمْ فِيهِ فَيَتْرُكُوهُ ، وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ[١] مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى يُحْكِمُوهُ[٢] ، فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَشْغَلَةٌ لِلْفَهْمِ . وَعَلِّمْهُمْ سُنَنَ[٣] الصُّلَحَاءِ ، وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ السُّفَهَاءِ ، وَرَوِّهِمْ سِيَرَ الْحُكَمَاءِ ، وَهَدِّدْهُمْ بِي وَأَدِّبْهُمْ دُونِي . وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يُعَجِّلُ بِالدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّكِلَ عَلَى عُذْرٍ مِنِّي لَكَ وَقَدِ اتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةٍ مِنْكَ

وَأَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ : فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً[٤] وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . أَقْرِئْهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرِّفْهُ الْآثَارَ ، وَرَوِّهِ الْأَشْعَارَ ، وَعَلِّمْهُ السُّنَنَ ، وَبَصِّرْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ ، وَامْنَعْهُ الضَّحِكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرَّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْرِقَهُ[٥] فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تُمْعِنْ[٦] فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ الْفَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ . وَقَوِّمْهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالرِّفْقِ وَالْمُلَايَنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهُمَا

---

(١) من رواه اذا حمله على روايته اي نقله (٢) يتقنوه (٣) سير وطرائق
(٤) يقال بسطت يده عليه اذا سلط عليه (٥) تدهشه (٦) تبالغ وتبعد

فَعَلَيْكَ بِٱلشِّدَّةِ وَٱلْغِلْظَةِ [١]

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ بَعَثَ إِلَى مَنْ فِي ٱلْحَبْسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَقُولُ لَهُمْ : مَا أَشَدُّ مَا مَرَّ بِكُمْ فِي هٰذَا ٱلْحَبْسِ . فَقَالُوا : مَا فَقَدْنَا مِنْ تَأْدِيبِ بَنِينَا

أَلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ

فِي ٱلتَّأَدُّبِ بِٱلزَّمَانِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : كَفَى بِٱلتَّجَارِبِ تَأَدُّبًا ، وَبِتَقَلُّبِ ٱلْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ : لَا تَدَعُ ٱلْأَيَّامُ جَاهِلًا إِلَّا أَدَّبَتْهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : مَا أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ [٢] لِمَنْ نَظَرَ ، وَأَنْفَعَهَا لِمَنِ ٱعْتَبَرَ [٣]

وَقَالَ لَبِيدٌ :

وَفِي غَابِرِ ٱلْأَيَّامِ مَا يَعِظُ ٱلْفَتَى   وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ تَعِظْهُ ٱلتَّجَارِبُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : كَفَى بِٱلدَّهْرِ مُخْبِرًا بِمَا مَضَى عَمَّا بَقِيَ . وَكَفَى عِبَرًا لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ مَا جَرَّبُوا

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ

كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ   تَرُوحُ [٤] لَهُ بِٱلْوَاعِظَاتِ وَتَغْتَدِي

---

(١) الشدة (٢) جمع العبرة وهي العظة يتعظ بها (٣) اتعظ (٤) تذهب اليه في الرواح اي العشي ضد تغتدي

قِيلَ لِأَحدِ ٱلْحُكَماء : مَنْ أَدَّبكَ . قَالَ : مَا أَدَّبَنِي أَحـدٌ . رَأَيتُ ٱلجَهْلَ قَبِيحاً فَٱجْتَنَبْتُهُ

لَمَّا قَتَلَ عَامِرٌ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَنَزَلَ فِي دَارِهِ وَقَعَـدَ عَلى فَرْشِهِ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ بِنْتُ مَرْوَانَ فَقَالَتْ : يَا عَامِرُ : إِنَّ دَهْراً أَنْزَلَ مَرْوَانَ عَنْ فَرْشِهِ ، وَأَقْعَدَكَ عَلَيْهِ ، لَقَدْ أَبْلَغَ فِي عِظَتِكَ

أَلْفَصْلُ ٱلْحَادِيَ عَشَرَ

فِي آدَابِ ٱلْمُجَالَسَةِ

قَالَ بْنُ عَبَّاسٍ : لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلاثٌ : أَنْ أَرْمُقَهُ [١] بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ ، وَأُوسِعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ ، وَأُصْغِيَ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ

وَقَالَ أَحدُ ٱلْحُكَماء : لِكُلِّ شَيْءٍ مَحَلٌّ وَمحَلُّ ٱلعَقْلِ مُجَالَسَةُ ٱلنَّاسِ بِأَدَبٍ وَهَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ وَسَلامَةِ ذَوْقٍ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلاء : يَتَعَيَّنُ عَلى ٱلْجَلِيسِ أَنْ يُرَاعِيَ أَلْفَاظَهُ وَيَكُونَ عَلى حَـذَرٍ مِنْ أَنْ يَعْثُرَ لِسَانُهُ . خُصُوصاً إِذَا كَانَ جَلِيسُهُ ذَا هَيْبَةٍ . فَقَدْ قِيلَ : رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً

قِيـلَ : إِنَّ أَبَا ٱلعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحَ كَانَ يُحَدِّثُ يَوْماً أَبَا بَكْرٍ

---

(١) اطيل نظري اليه

ٱلْهذَلِيّ . وَإِذَا بِٱلرِّيحِ قَدْ عَصَفَتْ فَأَرْمَتْ طَسْطاً مِنْ سَطْحٍ إِلى ٱلْمَجْلِسِ ، فَٱرْتَاعَ [١] مَنْ حَضَرَ وَلَمْ يَتَحَرَّكِ ٱلْهذَلِيُّ ، وَلَمْ تَزَلْ عَيْنُهُ مُطَابِقَةً [٢] لِعَيْنِ ٱلسَّفَّاحِ . فَقَالَ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ يَا هـذَلِيُّ . فَقَالَ : مَا جَعَلَ ٱللهُ لِرَجُلٍ قَلْبَيْنِ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنَّمَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا غَمَرَهُ ٱلسُّرُورُ بِمُحَادَثَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِحَادِثٍ مَجَالٌ [٣] . فَلَوِ ٱنْقَلَبَتِ ٱلْخَضْرَاءُ [٤] عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ [٥] مَا أَحْسَسْتُ بِهَا ، وَلَا وَجِمْتُ [٦] لَهَا . فَقَالَ ٱلسَّفَّاحُ : لَئِنْ بَقِيتُ لَكَ لَأَرْفَعَنَّ مَكَانَكَ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَصِلَةٍ كَبِيرَةٍ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّانِيَ عَشَرَ

فِي آدَابِ ٱلْحَدِيثِ وَٱلِاسْتِمَاعِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لا يُقْبِلَ بِحَدِيثِهِ عَلَى مَنْ لَا يُقْبِلُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ نَشَاطَ ٱلْمُتَكَلِّمِ بِقَدْرِ إِقْبَالِ ٱلسَّامِعِ . وَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَ ٱلْمُسْتَمِعَ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ . وَلَا يَبْتَدِعَ [٧] كَلَاماً لَا يَلِيقُ بِٱلْمَجْلِسِ . فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَخَيْرُ ٱلْقَوْلِ مَا وَافَقَ ٱلْحَالَ

---

(١) فزع (٢) موافقة (٣) طريق (٤) السماء (٥) الارض (٦) من وجم له اذا رثى له وغم بسببه (٧) ينشىء ويخترع

وَقَالَ أَحَدُ ٱلأُدَبَاءِ : مَنْ لَمْ يَنْشَطْ [١] إِلى ٱسْتِماعِ حَدِيثِكَ فَٱرْفَعْ عَنْهُ مَؤُونَةَ ٱلِاسْتِماعِ . وَقِيلَ : لَا تُطْعِمْ طَعَامَكَ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ . وَفِي كَلامِ بَعْضِ ٱلحُكَمَاءِ : ٱلِاسْتِماعُ بِٱلعَيْنِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ عَيْنَ مَنْ تُحَدِّثُهُ مُقْبِلَةً عَلى غَيْرِكَ فَٱصْرِفْ حَدِيثَكَ إِلى غَيْرِهِ . وَقَالَ آخَرُ : مِنَ ٱلسُّنَّةِ إِذَا حَدَّثْتَ ٱلقَوْمَ أَنْ لَا تُقْبِلَ عَلى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَلٰكِنِ ٱجْعَلْ لِكُلٍّ مِنْهُمْ نَصِيباً

وَقَالَ آخَرُ : إِذَا أُعِيدَ ٱلحَدِيثُ ذَهَبَ ضَوْؤُهُ وَرَوْنَقُهُ . وَقِيلَ: خَيْرُ ٱلكَلامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَطُلْ فَيُمَلَّ

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلعَبِيدِ : مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْمَعَ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْمَعَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْأَلَ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْأَلَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَقُولَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ ٱلِاسْتِماعِ . كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ ٱلحَدِيثِ ، لِيَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصُ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي ٱلقَوْلِ فِي مَا يَجِبُ عَنْهُ ٱلرُّجُوعُ بِٱلفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّكَ إِلى فِعْلِ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلعُلَمَاءِ : لِلسَّائِلِ عَلَى ٱلسَّامِعِ ثَلاثَةُ أُمُورٍ :

---

(١) من نشط اذا طابت نفسهُ

جَمْعُ ٱلْبَالِ ، وَحُسْنُ ٱلِاسْتِمَاعِ ، وَٱلْكِتْمَانُ لِمَا يَقْتَضِي ٱلْكِتْمَانَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : مِنْ حُسْنِ ٱلْأَدَبِ أَلَّا تُغَالِبَ أَحَداً عَلَى كَلَامِهِ ، وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلا تُجِبْ عَنْهُ ، وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَلَا تُرِهِ أَنَّكَ تَعْلَمُهُ . وَإِذَا كَلَّمْتَ صَاحِبَكَ فَأَخَذَتْهُ حُجَّتُكَ فَحَسِّنْ مَخْرَجَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَا تُظْهِرِ ٱلظَّفَرَ بِهِ

وَأَوْجَبَتِ ٱلْأُدَبَاءُ عَلَى ٱلْمُسْتَمِعِ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ مَا كَانَ مَرَّ بِسَمْعِهِ أَوَّلًا أَلَّا يَقْطَعَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ بَلْ يَسْكُتَ إِلَى أَنْ يَسْتَوْعِبَ (١) مِنْهُ ٱلْقَوْلَ . وَعَدُّوا ذٰلِكَ مِنْ بَابِ ٱلْأَدَبِ وَلَعَلَّهُ إِذَا صَبَرَ وَسَكَتَ ٱسْتَفَادَ مِنْ ذٰلِكَ زِيَادَةَ فَائِدَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي حِفْظِهِ

وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا بِسُوءِ ٱلْأَدَبِ فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتَهُ سَابَقَكَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْحَدِيثِ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ أَخَذَ فِي ٱلتُّرَّهَاتِ (٢)

---

(١) يستوفي (٢) جمع ترهة وهي الباطل والكذب والتخليط

اَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ

فِي آدَابِ ٱلْعِيَادَةِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاء : إِذَا مَرِضَ صَدِيقُكَ فَعُدْهُ مِرَاراً ، وَحَدِّثْهُ بِحَدِيثٍ يُشَجِّعُهُ وَيُقَوِّيهِ عَلَى مُقَاسَاةِ أَوْجَاعِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ مَا يُزْعِجُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ سَمَاعُهُ ، خَوْفاً مِنْ أَنْ تَزِيدَهُ هَمّاً وَقَلَقاً ، فَتَكُونَ عِيَادَتُكَ لَهُ وَبَالاً [١] عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء : لَا تُطِلْ عِيَادَتَكَ [٢] لِلْمَرِيضِ إِذَا شَقَّتْ [٣] عَلَيْهِ مُجَالَسَتُكَ لَهُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ مَعَهُ فِي حِينَ يُزْعِجُهُ ٱلْكَلَامُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِٱللهِ : لَا تُطِلِ ٱلْجُلُوسَ عِنْدَ ٱلْمَرِيضِ فَٱلْعَلِيلُ يُعَادُ وَٱلصَّحِيحُ يُزَارُ

وَقَالَ سُفْيَانُ ٱلثَّوْرِيُّ: ٱلثُّقَلَاءُ أَشَدُّ عَلَى ٱلْمَرْضَى مِنْ أَمْرَاضِهِمْ يَجِيئُونَ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَيُطِيلُونَ ٱلْجُلُوسَ

إِعْتَلَّ ٱلْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَكَانَ إِسْمَعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ ٱلْكَاتِبُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ يَعُودُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى ٱلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَٱلدُّعَاءِ لَهُ ، وَيُخَفِّفُ فِي ٱلْجُلُوسِ ، ثُمَّ يَلْقَى حَاجِبَهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ

---

(١) الوبال الشدة والثقل والوخامة (٢) العيادة الزيارة في المرض (٣) صعبت

ومَأكلهِ ومَشرَبِهِ ومنامِهِ ، وكانَ غيرُهُ يُطيلُ الجلوسَ . فلمَّا أفاقَ الفضلُ من علّتِهِ قالَ : ما عادني في علّتي هذهِ إلّا إسمعيلَ ابنُ صبيحٍ

ولمَّا مرِضَ الأعمشُ أبرَمَهُ النَّاسُ بالسُّؤالِ عنْ حالِهِ ، فكتَبَ قِصَّتَهُ في كتابٍ وجعلَهُ عندَ رأسهِ ، فإذا سألَهُ أحدٌ قالَ : عِندَكَ القِصَّةُ في الكتابِ فاقرأْها

ودَخلَ رَجلٌ على عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ يَعودُهُ في مرَضِهِ ، فسألَهُ عنْ علّتِهِ ، فلمَّا أخبرَهُ قالَ مِنْ هذهِ العلّةِ ماتَ فُلانٌ وماتَ فلانٌ . فقالَ لهُ عمرُ : إذا عُدتَ المرضى فلا تَنعِ (١) لَهُمُ الموتى ، وإذا خرجتَ مِنْ عِندِنا فلا تعُدْ إلينا

ألفصلُ الرابعَ عشرَ

في آدابِ المضيفِ

منْ آدابِ المضيفِ أنْ يخدُمَ أضيافَهُ بنفسِهِ وأهلِهِ ، وأنْ يحدِّثَهُمْ بما تَميلُ إليهِ نفوسُهُم ، ولَا ينامَ قبلَهُمْ ، ولا يشكُوَ الزَّمانَ بحضورِهِمْ ، ويَبَشَّ عِندَ قدومِهِمْ ، ويتألَّمَ عِندَ وداعِهِمْ ، ولا يغضَبَ على أحدٍ بحضورِهِمْ ، ولا يُنغِّصَ عيشَهُمْ بما يكرَهونَهُ ،

---

(١) من نعاه له اذا اخبره بموته

وَلَا يَعْبِسَ وَجْهَهُ ، وَلَا يُظْهِرَ نَكَداً[1] ، وَلَا يَنْهَرَ[2] أَحَداً ، وَلَا يَشْتُمَهُ بِحَضْرَتِهِمْ ، بَلْ يُدْخِلَ عَلَى قُلُوبِهِمِ ٱلسُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَهُمْ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ ٱلْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ ٱلْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِٱلْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ ٱلطُّرَفِ[3] إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذٰلِكَ . وَإِذَا قُدِّمَ لَهُمُ ٱلطَّعَامُ فَلَا يَنْتَظِرْ مَنْ لَا يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضْنِي[4] : سِرَاجٌ لَا يُضِيءُ ، وَرَسُولٌ بَطِيءٌ ، وَمَائِدَةٌ يُنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ

وَقَالَتِ ٱلْعَرَبُ : تَمَامُ ٱلضِّيَافَةِ ٱلطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ[5] ، وَإِطَالَةُ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَ ٱلْمُؤَاكَلَةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ
وَيَخْصُبُ عِنْدِي وَٱلزَّمَانُ جَدِيبُ
وَمَا ٱلْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ تَكْثُرَ ٱلْقِرَى[6]
وَلٰكِنَّمَا وَجْهُ ٱلْكَرِيمِ خَصِيبُ

وَقَالَ آخَرُ يَفْتَخِرُ بِحُسْنِ ضِيَافَتِهِ :

يَسْتَرْسِلُ ٱلضَّيْفُ أُنْساً فِي مَنَازِلِنَا فَلَيْسَ يَعْلَمُ خَلْقٌ أَيُّنَا ٱلضَّيْفُ

---

(١) عسراً وضيقاً (٢) يزجر ويمنع (٣) جمع طرفة وهي الملحة والغريب المستحسن المعجب (٤) تثقل اي تحمل حملاً ثقيلاً (٥) اي عند اول شيء (٦) ما قدم للضيف

الباب الثاني

في الفضائل والنقائص

ألفصلُ الأوّلُ

في التّواضعِ والكبرِ

قالَ أحدُ العُلَماءِ : أجهلُ النّاسِ مَنْ قلّ صوابُهُ وكثرَ إعجابُهُ ، وأبغضُ النّاسِ ذو عُسْرٍ يخطرُ (١) في رِداءِ كِبْرٍ

وقالَ سُفيانُ : السَّفلَةُ (٢) إذا تعلّموا تكبّروا ، وإذا تموّلوا استطالوا (٣) . والكرامُ إذا تعلّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا استطالوا (٤)

وقالَ أحدُ الحكماءِ : ثلاثٌ مَنْ كنّ فيهِ لا يُدرِكُ حاجةً : مَنِ استكثرَ عِلمَهُ ، ونسيَ ذنبَهُ ، وأُعجِبَ برأيِهِ

وقالَ أبو العتاهيةِ :

أشدُّ النّاسِ للعلمِ ادّعاءً أقلُّهُمُ بِما هُوَ فيهِ عِلما

وقالَ الفضلُ بنُ سهلٍ : مَنْ كانَتْ وِلايتُهُ فوقَ قَدرِهِ

---

(١) يهتز ويتبختر (٢) الأنذال (٣) تكبروا (٤) ترفعوا وتعالوا

تَكَبَّرَ لها ، وَمَنْ كانَتْ وِلَايَتُهُ دُونَ قَدْرِهِ تَوَاضَعَ لها

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِتَّضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ ٱلْعُلَى وَٱكْظِمِ[1] ٱلْغَيْظَ وَلَا تُبْدِ ٱلضَّجَرْ
وَٱجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ ذُخْراً إِنَّهُ لِلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُذَّخَرْ
وَٱحْمِلِ ٱلنَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فَبِهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ ٱلْبَشَرْ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : مَنْ تَاهَ فِي وِلَايَتِهِ ذَلَّ فِي عَزْلِهِ ، وَذُلُّ ٱلْعَزْلِ يُضْحِكُ مِنْ تِيهِ ٱلْوِلَايَةِ . وَقِيلَ : مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى ٱلنَّاسِ ذَلَّ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ : أَسْبَابُ ٱلْكِبْرِ عُلُوُّ ٱلْيَدِ ، وَنُفُوذُ ٱلْأَمْرِ ، وَقِلَّةُ مُخَالَطَةِ[2] ٱلْأَكْفَاءِ[3] . وَأَسْبَابُ ٱلْإِعْجَابِ كَثْرَةُ مَدْحِ ٱلْمُتَقَرِّبِينَ ، وَإِطْرَاءُ[4] ٱلْمُتَمَلِّقِينَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : مَنْ بَرِئَ مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثاً : مَنْ بَرِئَ[5] مِنَ ٱلسَّرَفِ[6] نَالَ ٱلْعِزَّ ، وَمَنْ بَرِئَ مِنَ ٱلْبُخْلِ نَالَ ٱلشَّرَفَ ، وَمَنْ بَرِئَ مِنَ ٱلْكِبْرِ نَالَ ٱلْكَرَامَةَ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : ٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلتَّوَاضُعِ يُوجِبُ ٱلْمَذَلَّةَ ، وَٱلْإِفْرَاطُ فِي ٱلْمُؤَانَسَةِ يُوجِبُ ٱلْمَهَانَةَ . وَقَالَ آخَرُ : مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ مَا يَضَعُ[7]

---

(١) ردّ واحبس (٢) معاشرة (٣) النظراء والامثال (٤) الاطراء المدح بابلغ ما عندك (٥) سلم وتخلص (٦) تجاوز الحد والاعتدال (٧) يذلل

أَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْكَذِبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ . لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ . لِأَنَّهُ يُنْتِجُ ٱلنَّمِيمَةَ ، وَٱلنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ ٱلْبَغْضَاءَ ، وَٱلْبَغْضَاءُ تَؤُولُ إِلَى ٱلْعَدَاوَةِ ، وَلَيْسَ مَعَ ٱلْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنِ ٱسْتَحْلَى رَضَاعَ ٱلْكَذِبِ عَسُرَ فِطَامُهُ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْكَذُوبُ مُتَّهَمٌ وَإِنْ صَدَقَتْ لَهْجَتُهُ (١) وَوَضَحَتْ حُجَّتُهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : لَأَنْ يَضَعَنِي ٱلصِّدْقُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي ٱلْكَذِبُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : إِذَا ٱتَّسَمَ ٱلْمَرْءُ بِٱلْكَذِبِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ شَوَارِدُ ٱلْكَذِبِ ٱلْمَجْهُولَةُ ، وَأُضِيفَتْ إِلَى أَكَاذِيبِهِ زِيَادَاتٌ مُفْتَعَلَةٌ (٢) . حَتَّى يَصِيرَ ٱلْكَاذِبُ مَكْذُوباً عَلَيْهِ ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ مَعَرَّةِ (٣) ٱلْكَذِبِ عَنْهُ ، وَمَضَرَّةِ ٱلْكَذِبِ عَلَيْهِ

وَقَالَ آخَرُ : تَحَرَّوْا ٱلصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ ٱلْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ

---

(١) اللهجة اللسان (٢) مزوَّرة ومختلقة (٣) المعرة العيب والاذى

فِيهِ ٱلنَّجَاةَ . وَتَجَنَّبُوا ٱلْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ ٱلنَّجَاةَ ، فَإِنَّ فِيهِ ٱلْهَلَكَةَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : إِيَّاكَ وَحِكَايَةَ مَا يُسْتَبْعَدُ فَيَجِدَ عَدُوُّكَ سَبِيلًا إِلَى تَكْذِيبِكَ ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ ٱلْعَاقِلِ أَنْ يُحَدِّثَ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ

وَقَالَ حَكِيمٌ : مَنْ عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْكَذِبَ لَمْ يُصَدِّقِ ٱلصَّادِقَ فِي مَا يَقُولُهُ . وَقَالَ آخَرُ : نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنْ سَمَاعِ ٱلْكَذِبِ كَمَا تُنَزِّهُ لِسَانَكَ عَنِ ٱلتَّفَوُّهِ بِهِ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي ٱلرِّئَاء

حَقِيقَةُ ٱلرِّئَاء ٱخْتِلَافُ ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، وَٱخْتِلَافُ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى سَخْفِ ٱلْعَقْلِ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عُرْوَةَ : لَأَنْ يَكُونَ لِي نِصْفُ وَجْهٍ وَنِصْفُ لِسَانٍ ، عَلَى[1] مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ ٱلْمَنْظَرِ وَسُوءِ ٱلْمَخْبَرِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

---

(١) مع

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنِ ٱلْتَمَسَ أَرْبَعاً بِأَرْبَعٍ ٱلْتَمَسَ مَا لَا يَكُونُ . مَنِ ٱلْتَمَسَ ٱلْجَزَاءَ بِٱلرِّئَاءِ ، وَمَوَدَّةَ ٱلنَّاسِ بِٱلْغِلَاظَةِ ، وَوَفَاءَ ٱلْإِخْوَانِ بِغَيْرِ وَفَاءٍ ، وَٱلْعِلْمَ بِرَاحَةِ ٱلْجَسَدِ

وَقَالَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا صِدْقَ لِمُتَلَوِّنٍ ، وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ ، وَلَا مُرُوءَةَ لِدَنِيءٍ ، وَلَا زَعَامَةَ [1] لِسَيِّئِ ٱلْخُلُقِ

وَقَالَ آخَرُ : ٱلْمُتَزَيِّنُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ . فَهُوَ بِرِئَائِهِ مَحْرُومُ ٱلْأَجْرِ مَذْمُومُ ٱلذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْصِدُ وَجْهَ ٱللّٰهِ تَعَالَى فَيُؤْجَرَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَخْفَى رِئَاؤُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيُحْمَدَ بِهِ

وَقَالَ ٱلتِّهَامِيُّ :

ثَوْبُ ٱلرِّئَاءِ يَشِفُّ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا ٱكْتَسَيْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِ

وَقَالَ ٱلْمُنَقِّبُ ٱلْعَبْدِيُّ :

إِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمْ

---

(١) رئاسة

ألفصلُ ألرَّابعُ

في ذمِّ ألمداهنةِ وألتَّمليقِ

قالَ بعضُ ألبُلَغاءِ : أَلتَّمليقُ خُدعةٌ لا يَرتضيها عاقِلٌ ، ولا ينخدِعُ بها مُميِّزٌ

وقالَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ : أعداءُ الرَّجلِ قد يكونونَ أنفعَ مِنْ إخوانِهِ . لأَنَّهُم يهدُونَهُ إلى عُيوبِهِ فيجتنبُها ، ويخافُ شماتتَهُمْ فيضبُطُ نِعمتَهُ ، ويتحرَّزُ مِنْ زوالِها بغايةِ طوقِهِ [1]

وقالَ بعضُ ألحكماءِ : مَنْ أظهرَ شُكرَكَ في ما لَمْ تأتِهِ فاحذَرْ أنْ يكفُرَ بنِعمتِكَ في ما أتيتَهُ . وقالَ آخرُ : مَنْ رفعَكَ فوقَ قدرِكَ فاتَّقِهِ

وقالَ آخرُ : إنَّ ألمتملِّقينَ يدعُونَ ألتَّمليقَ خديعةً . فإذا وجدُوهُ مقبولاً في ألعقولِ ألضَّعيفةِ أغرَوْا أربابَها وجعلُوا ذلكَ ذريعةً إلى ألاستهزاءِ بهِمْ

وقالَ عليٌّ : مَنْ مدحَكَ بما ليسَ فيكَ مِنَ ألجميلِ وهُوَ راضٍ عنكَ ذمَّكَ بما ليسَ فيكَ مِنَ ألقبيحِ وهُوَ ساخطٌ عليكَ

وقالَ بعضُ ألحكماءِ : عجبتُ لِمَنْ قيلَ فيهِ ألخيرُ وليسَ فيهِ،

---

(١) الطوق الوسع والقدرة

كَيْفَ يَفْرَحُ . وَعَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ ٱلشَّرُّ وَهُوَ فِيهِ كَيْفَ يَغْضَبُ

وَقَالَ آخَرُ : إِذَا أَعْجَبَكَ مَا تَوَاصَفَهُ ٱلنَّاسُ مِنْ مَحَاسِنِكَ فَٱنْظُرْ فِي مَا بَطَنَ مِنْ مَسَاوِئِكَ . وَلْتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ ٱلنَّاسِ لَكَ

وَقَالَ بْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : قَابِلُ ٱلْمَدْحِ كَمَادِحِ نَفْسِهِ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ رَضِيَ أَنْ يُمْدَحَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ أَمْكَنَ ٱلسَّاخِرَ مِنْهُ

وَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ : ٱنْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا ٱنْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي . لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونَنِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونَنِي بِذٰلِكَ عَلَى ٱلْخَطَإِ فَأَسْتَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي ٱلْخَطَأَ وَيُشَجِّعُونَنِي عَلَيْهِ

وَلِلّٰهِ دَرُّ أَبِي حَيَّانَ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ إِذْ أَنْشَدَ

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ ٱلرَّحْمٰنُ عَنِّي ٱلْأَعَادِيَا
هُمُ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَٱجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَٱكْتَسَبْتُ ٱلْمَعَالِيَا

جَاءَ رَجُلٌ ٱلْمَهْدِيَّ فَقَالَ لَهُ : أَنَا عَبْدُكَ . فَقَالَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ مَاقٌ كَاذِبٌ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا مَفْتُونٌ (١) أَوْ مَأْفُونٌ (٢)

---

(١) مجنون (٢) المأفون ناقص العقل

أَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ

فِي ٱلسِّعَايَةِ وَٱلْغِيبَةِ وَٱلنَّمِيمَةِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلاءِ: ٱلنَّمِيمَةُ دَنَاءَةٌ وَٱلسِّعَايَةُ رَدَاءَةٌ، وَهُمَا رَأْسُ ٱلْغَدْرِ وَأُسُّ ٱلشَّرِّ. فَتَجَنَّبْ سُبُلَهُمَا وَتَحَرَّزْ مِنْ أَهْلِهِمَا

وَقَالَ آخَرُ: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى ٱلنَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَمَنْ تَتَبَّعَ مَسَاوِئَ ٱلْعِبَادِ فَقَدْ نَحَلَهُمْ[1] عِرْضَهُ

وَقَالَ آخَرُ: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَغْتَابُ ٱلنَّاسَ فَٱجْهَدْ جَهْدَكَ أَنْ لَا يَعْرِفَكَ، فَإِنَّ أَشْقَى ٱلنَّاسِ بِهِ مَعَارِفُهُ. وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ: ٱلْأَشْرَارُ يَتَتَبَّعُونَ مَسَاوِئَ ٱلنَّاسِ وَيَتْرُكُونَ مَحَاسِنَهُمْ، كَمَا يَتَتَبَّعُ ٱلذُّبَابُ ٱلْمَوَاضِعَ ٱلْفَاسِدَةَ مِنَ ٱلْجَسَدِ وَيَتْرُكُ ٱلصَّحِيحَةَ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

وَمَنْ يَأْذَنْ إِلَى ٱلْوَاشِينَ تَسْلَقْ[2]   مَسَامِعُهُ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُلُوكِ لِوَلَدِهِ: لِيَكُنْ أَبْغَضُ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَعَايِبِ ٱلنَّاسِ. فَإِنَّ لِلنَّاسِ مَعَايِبَ أَنْتَ أَحَقُّ بِسَتْرِهَا. وَأَنْتَ إِنَّمَا تَحْكُمُ بِمَا ظَهَرَ لَكَ. وَٱللّٰهُ يَحْكُمُ فِي مَا غَابَ

---

(١) اي اعطاهم اياه من غير عوض (٢) يأذن يستمع وتسلق تؤذى

عَنْكَ، وَٱكْرَهْ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَٱسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ يَسْتُرِ ٱللهُ عَلَيْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ. وَلَا تُصْغِ إِلى صَدِيقٍ سَاعٍ، فَإِنَّ ٱلسَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ قَالَ قَوْلَ نَصِيحٍ

وَقَالَ أَرِسْطُوطَالِيسُ: ٱلنَّمِيمَةُ تُهْدِي إِلَى ٱلْقُلُوبِ ٱلْبَغْضَاءَ. وَمَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ نَقَلَ عَنْكَ. وَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ: مَا ٱلسَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَابِلِ سِعَايَةٍ. وَلَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ ٱلسَّاعِي إِلَيْكَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا تَشْفِ غَيْظَهُ، أَوْ عَدُوًّا فَلا تُعَاقِبْ لَهُ عَدُوَّهُ لِئَلَّا يَشْمَتَ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ: ٱلسِّعَايَةُ إِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ مَهْلَكَةٌ؛ فَكَمْ دَمٍ أَرَاقَهُ سَعْيُ سَاعٍ، وَكَمْ حَرِيمٍ ٱسْتُبِيحَ بِنَمِيمَةِ نَمَّامٍ، وَكَمْ مِنْ صَفِيَّيْنِ تَقَاطَعَا، وَكَمْ مِنْ إِلْفَيْنِ تَهَاجَرَا، وَكَمْ مِنْ زَوْجَيْنِ تَفَارَقَا

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

لَا تَهْتِكَنْ مِنْ مَسَاوِي ٱلنَّاسِ مَا سَتَرُوا
فَيَهْتِكَ ٱللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا
وَٱذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا
وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

وَأَنْشَدَ آخَرُ :

مَنْ نَمَّ فِي ٱلنَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُهُ عَلى ٱلصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ

وَقَالَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ لِرَجُلٍ سَعَى إِلَيْهِ بِرَجُلٍ : أَتُحِبُّ أَنْ نَقْبَلَ مِنكَ مَا تَقُولُ فِيهِ عَلى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَكُفَّ عَنِ ٱلشَّرِّ يَكُفَّ عَنكَ ٱلشَّرُّ

وَعَاتَبَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ فَأَنْكَرَهُ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : بَلَّغَنِي عَنكَ ٱلثِّقَةُ . فَقَالَ: كَلَّا إِنَّ ٱلثِّقَةَ لَا يُبَلِّغُ مَكْرُوهًا

وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ ٱلْمَلِكِ ٱلْخَلْوَةَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِذَا شِئْتُمْ فَقُومُوا . فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلَامِ قَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ . إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي فَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنكَ ، أَوْتَكْذِبَنِي فَإِنَّهُ لَارَأْيَ لِلْكَذُوبِ أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ فَإِنَّ ٱلسِّعَايَةَ مِنْ أَفْظَعِ ٱلْجَرَائِمِ

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقَعُ فِيَّ (١) قَالَ : أَنتَ إِذاً عَلَيَّ أَكْرَمُ مِنْ نَفْسِي

(١) اي تسبني وتعيبني

ٱلفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

فِي ٱلقَنَاعَةِ

قَالَتِ ٱلحُكَمَاءُ: ٱلغَنِيُّ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِٱللهِ وَٱلفَقِيرُ مَنِ ٱفْتَقَرَ إِلَى ٱلنَّاسِ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ: سُرُورُ ٱلدُّنْيَا أَنْ تَقْنَعَ بِمَا رُزِقْتَ، وَغَمُّهَا أَنْ تَغْتَمَّ لِمَا لَمْ تُرْزَقْ

وَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ ٱسْتَرَاحَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ ٱلغِنَى فَٱطْلُبْهُ فِي ٱلقَنَاعَةِ فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ. وَإِيَّاكَ وَٱلطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ‏ ‏ فَأَنْتَ وَمَالِكُ ٱلدُّنْيَا سَوَاءُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلعُقَلَاءِ: قَلِيلٌ يَكْفِي، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِي[1]

وَقِيلَ: لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى يَوْمِكَ هَمَّ غَدِكَ فَحَسْبُ كُلِّ يَوْمٍ هَمُّهُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَلَا تَكُنْ ‏ ‏ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا

وَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ: إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تَغْتَمَّ فَلَا تَقْتَنِ مَا بِهِ تَهْتَمُّ. وَفِي هٰذَا ٱلمَعْنَى قَالَ [illegible] بْنُ أَبِي [illegible].

---

(١) أطغاه جعله طاغياً أي مسرفاً في المعاصي والظلم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَهْدِمُ مَا بَنَى ‌ ‌ وَيَأْخُذُ مَا أَعْطَى وَيَسْلُبُ مَا أَسْدَى
فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوءُهُ ‌ ‌ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئاً يَخَافُ لَهُ فَقْدَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ : يَا بْنَ آدَمَ لَا تَخْشَ مِنْ ضِيقِ ٱلرِّزْقِ مَا دَامَتْ خَزَائِنُ ٱللهِ مَلْآنَةً . وَخَزَائِنُهُ لَا تَنْفَدُ أَبداً . وَلَا تَأْنَسْ بِغَيْرِ ٱللهِ ، فَإِنْ أَنِسْتَ بِغَيْرِهِ فَاتَكَ ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ . وَٱرْضَ بِمَا قَسَمَهُ لَكَ فَتُرِيحَ قَلْبَكَ وَبَدَنَكَ . وَلَا تُطَالِبْهُ بِرِزْقِ غَدٍ كَمَا لَا يُطَالِبُكَ بِعَمَلِ غَدٍ . فَإِنَّهُ لَا يَنْسَى مَنْ عَصَاهُ فَكَيْفَ يَنْسَى مَنْ أَطَاعَهُ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

ٱلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ

فِي ٱلْحِرْصِ وَٱلطَّمَعِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ حُرًّا أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَلَا يُسْكِنْ قَلْبَهُ ٱلطَّمَعَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : ٱلْعَبِيدُ ثَلَاثَةٌ : عَبْدُ رِقٍّ ، وَعَبْدُ شَهْوَةٍ ، وَعَبْدُ طَمَعٍ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَمَنْ [illegible] كَفَايَتَهَا ‌ ‌ فَمَا يَنْقَضِي حَتَّى ٱلْمَمَاتِ عَنَاؤُهُ

وَقَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيٌّ ٱلْمُنَجِّمُ :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفْراً [1] لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ ٱلصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهْوَ طَاوٍ [2] فَرِيسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

وَقَالَ عَلِيٌّ : أَكْثَرُ مَصَارِعِ ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطَامِعِ .

وَقِيلَ : مَنْ لَزِمَ ٱلطَّمَعَ عَدِمَ ٱلْوَرَعَ

وَضَمَّنَ ٱلْأَبْشِيهِيُّ بَيْتاً لِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي ٱلدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى ٱلْعُمْرَ فِي قِيلٍ وَقَالِ
وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي مَا سَيَفْنَى وَجَمَّعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالِ
هَبِ ٱلدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْواً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذٰلِكَ لِلزَّوَالِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا طَاوَعْتَ حِرْصَكَ كُنْتَ عَبْداً لِكُلِّ دَنِيئَةٍ تُدْعَى إِلَيْهَا

قِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ : مَا سُرُورُ ٱلدُّنْيَا . قَالَ : ٱلرِّضَى بِمَا رُزِقْتَ مِنْهَا . قِيلَ : فَمَا غَمُّهَا . قَالَ : ٱلْحِرْصُ عَلَيْهَا

وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا بَالُ ٱلشَّيْخِ أَحْرَصَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلشَّابِّ . قَالَ : لِأَنَّهُ ذَاقَ مِنْ طَعْمِ ٱلدُّنْيَا مَا لَمْ يَذُقْهُ ٱلشَّابُّ

---

(١) الوفر من المال الكثير الواسع (٢) الطاوي الجائع الذي لم يأكل شيئاً

أَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي فَضْلِ ٱلْغِنَى عَلَى ٱلْفَقْرِ

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَحْفَظُ مَالَهُ لِيَصُونَ بِهِ عِرْضَهُ، وَيَحْمِيَ بِهِ مُرُوءَتَهُ، وَيَصِلَ بِهِ رَحِمَهُ، وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ لِئَامِ ٱلنَّاسِ

وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلْفَقْرُ، ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ. وَقَالَ آخَرُ: مَنْ حَفِظَ دُنْيَاهُ حَفِظَ ٱلْأَكْرَمَيْنِ: دِينَهُ وَعِرْضَهُ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ: لَأَنْ تَذَرَ (١) وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً (٢) يَتَكَفَّفُونَ (٣) ٱلنَّاسَ

وَقَالَ ٱلْمُتَنَبِّي:

فَلَا مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَقَالَ آخَرُ:

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى بِهَا
عَلَى ٱلْحُرِّ ذِي ٱلْإِقْلَالِ وَسْمُ هَوَانِ (٤)
إِذَا قَالَ لَمْ يُسْمَعْ لِحُسْنِ مَقَالِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ

وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ: يَا بُنَيَّ أَكَلْتُ ٱلْحَنْظَلَ وَذُقْتُ ٱلصَّبْرَ

---

(١) تترك (٢) العالة جمع العائلة وهو المفتقر (٣) تكفف الرجل الناس اذا مد كفه اليهم بالمسئلة (٤) الوسم اثر الكي والعلامة

فَلَمْ أَرَ شَيْئاً أَمَرَّ مِنَ ٱلْفَقْرِ . فَإِنِ ٱفْتَقَرْتَ فَلا تُحَدِّثْ بِهِ ٱلنَّاسَ كَيْ لَا يَتَنَقَّصُوكَ [1] . وَلٰكِنِ ٱسْأَلِ ٱللّٰهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ . فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي سَأَلَ ٱللّٰهَ فَلَمْ يُعْطِهِ ، أَوْ دَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَكْشِفْ مَا بِهِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَلْفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ   وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَالُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَلْفَقْرُ يُخْرِسُ ٱلْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ وَيَجْعَلُهُ غَرِيباً فِي بَلْدَتِهِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَارَسْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَغَلَبْتُهُ وَمَارَسَنِي ٱلْفَقْرُ فَغَلَبَنِي . إِنْ سَتَرْتُهُ أَهْلَكَنِي ، وَإِنْ أَذَعْتُهُ فَضَحَنِي

وَقَالَ آخَرُ : طَلَبْتُ ٱلرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَرْوَحَ مِنْ تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيهَا ، وَتَوَحَّشْتُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَلَمْ أَرَ وَحْشَةً أَمَرَّ مِنْ قَرِينِ ٱلسُّوءِ ، وَشَهِدْتُ ٱلزُّحُوفَ [2] وَغَالَبْتُ ٱلْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرَ قِرْناً أَغْلَبَ لِلرَّجُلِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ٱلسُّوءِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى كُلِّ مَا يُذِلُّ ٱلْقَوِيَّ وَيَكْسِرُهُ فَلَمْ أَرَ شَيْئاً أَذَلَّ لَهُ وَلَا أَكْسَرَ مِنَ ٱلْفَاقَةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَلْمَالُ يَرْفَعُ سَقْفاً لَا عِمَادَ لَهُ   وَٱلْفَقْرُ يَهْدِمُ بَيْتَ ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ

---

(١) تنقصه ذمه وعابه (٢) جمع الزحف وهو مشي الجيش الى العدو

وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ ... شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ ٱلْكَلَامِ فَقَالَا
وَتَقَدَّمَ ٱلْإِخْوَانَ فَٱسْتَمَعُوا لَهُ ... وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ ٱلْوَرَى مُخْتَالَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ ٱلَّتِي فِي كِيسِهِ ... لَرَأَيْتَـهُ أَسْوَا ٱلْبَرِيَّةِ حَالَا
إِنَّ ٱلْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِٱلْخَطَا ... قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالَا
أَمَّا ٱلْفَقِيرُ فَإِنْ تَكَلَّمَ صَادِقاً ... قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ ٱلدَّرَاهِمَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... تَكْسُو ٱلرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَلَالَا
فَهِيَ ٱللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً ... وَهِيَ ٱلسِّنَانُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْأَحْنَفِ :

يُمْسِي ٱلْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ ... وَٱلنَّاسُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا
وَتَرَاهُ مَمْقُوتاً وَلَيْسَ بِمُذْنِبٍ ... وَيَرَى ٱلْعَدَاوَةَ لَا يَرَى أَسْبَابَهَا
حَتَّى ٱلْكِلَابُ إِذَا رَأَتْ ذَا بِزَّةٍ ... هَشَّتْ إِلَيْهِ وَحَرَّكَتْ أَذْنَابَهَا
وَإِذَا رَأَتْ يَوْماً فَقِيراً عَارِياً ... نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَشَّرَتْ أَنْيَابَهَا[1]

وَقَالَ آخَرُ :

جُرُوحُ ٱللَّيَالِي مَا لَهُنَّ طَبِيبُ ... وَعَيْشُ ٱلْفَتَى بِٱلْفَقْرِ لَيْسَ يَطِيبُ
وَحَسْبُكَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ فِي حَالِ فَقْرِهِ ... تُحَقِّرُهُ ٱلْأَقْوَامُ وَهُوَ لَبِيبُ

---

(١) كثيّر يتحدى بين يقال [illegible] المسح عن رابه

اَلْفَصْلُ التَّاسِعُ

فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْمَالِ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّبْذِيرِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : اَلتَّبْذِيرُ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَبَذْلُهُ عَلَى وَجْهٍ لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ

وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

لَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَاهُ ... وَسَيْرٍ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ

وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ ... وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي لَأُبْغِضُ أَهْلَ بَيْتٍ يُنْفِقُونَ رِزْقَ أَيَّامٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : مَا وَقَعَ تَبْذِيرٌ فِي كَثِيرٍ إِلَّا هَدَمَهُ ، وَلَا دَخَلَ تَدْبِيرٌ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ وَثَمَّرَهُ [١]

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِوَلَدِهِ يَزِيدَ : إِذَا أَعْطَيْتَ مَالَكَ فِي غَيْرِ الْحَقِّ يُوشِكُ أَنْ يَجِيءَ الْحَقُّ وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تُعْطِي مِنْهُ . وَقَالَ سُقْرَاطُ : لِتَكُنْ عِنَايَتُكَ بِحِفْظِ مَا اكْتَسَبْتَهُ كَعِنَايَتِكَ بِاكْتِسَابِهِ

وَقَالَ آخَرُ : اَلتَّدْبِيرُ يُنَمِّي الْيَسِيرَ ، وَالتَّبْذِيرُ يُدَمِّرُ الْكَثِيرَ . وَقِيلَ : رُبَّمَا عُوقِبَ الْمُبَذِّرُ بِالْإِفْلَاسِ وَصَارَ بِالْفَقْرِ مُثْلَةً بَيْنَ

---

(١) ثمّر المال نمّاه وكثّره

ٱلنَّاسِ . وَقِيلَ : ٱلسَّرَفُ فِي ٱلإِنْفَاقِ يُفْسِدُ مِنَ ٱلنَّفْسِ بِمِقْدَارِ مَا يُصْلِحُ مِنَ ٱلْعَيْشِ . وَقِيلَ : يُوشِكُ مَنْ أَنْفَقَ سَرَفاً أَنْ يَمُوتَ أَسَفاً . وَقَالَ أَفْلاطُونُ : رَأْسُ ٱلْعَقْلِ ٱلاِقْتِصَادُ فِي ٱلإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ بُخْلٍ . وَقِيلَ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْسِبَ بِبَعْضِ مَالِهِ ٱلْمَحْمَدَةَ وَيَصُونَ بِبَعْضِهِ وَجْهَهُ عَنِ ٱلْمَسْأَلَةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَنْفِقْ بِمِقْدَارِ مَا ٱسْتَفَدْتَ وَلَا تُسْرِفْ وَعِشْ فِيهِ عَيْشَ مُقْتَصِدِ

مَنْ كَانَ فِي مَا ٱسْتَفَادَ مُقْتَصِداً لَمْ يَفْتَقِرْ بَعْدَهَا أَلَى أَحَدِ

وَقَالَ حَكِيمٌ : إِنَّ فِي صَلَاحِ ٱلْأَمْوَالِ سَلَامَةَ ٱلدِّينِ ، وَجَمَالَ ٱلْوَجْهِ ، وَبَقَاءَ ٱلْعِزِّ ، وَصَوْنَ ٱلْعِرْضِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِصْلَاحُكَ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمُ مِنْ طَلَبِكَ مَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ

قِيلَ لِأَفْلاطُونَ : لِمَ تَدَّخِرُ ٱلْمَالَ وَأَنْتَ شَيْخٌ . فَقَالَ : لَأَنْ يَمُوتَ ٱلإِنْسَانُ وَيُخَلِّفَ مَالًا لِعَدُوِّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ فِي حَيَاتِهِ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : لِمَ حَفِظَتِ ٱلْفَلَاسِفَةُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ . فَقَالَ : لِئَلَّا يُقِيمُوا أَنْفُسَهُمُ ٱلْمَقَامَ ٱلَّذِي لَا يَسْتَحِقُّونَهُ . فَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لَا ٱتِّكَالَ عَلَى مَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ

وَقِيلَ لِٱبْنِ زِيَادٍ : لِمَ تُحِبُّ ٱلدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا . فَقَالَ : هِيَ وَإِنْ أَدْنَتْنِي مِنْهَا فَقَدْ أَغْنَتْنِي عَنْهَا

وَأَتَى قَوْمٌ قَيْسَ بْنَ عُبَادَةَ يَسْأَلُونَهُ حَمَالَةً [١] فَصَادَفُوهُ فِي حَائِطٍ لَهُ يَتَتَبَّعُ مَا يَسْقُطُ مِنَ ٱلْأَثْمَارِ فَيَعْزِلُ جَيِّدَهُ وَرَدِيَّهُ. فَقَامُوا حَتَّى فَرَغَ، فَكَلَّمُوهُ فِي ذٰلِكَ فَبَذَلَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَنِيعُكَ هٰذَا مُنَافٍ [٢] لِتَرْقِيحِ [٣] عَيْشِكَ. فَقَالَ: بِمَا رَأَيْتُمْ مِنْ فِعْلِي أَمْكَنَنِي أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتَكُمْ

وَلِيمَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ فِي ٱلْعَطَاءِ فَقَالَ: إِنَّا لَا نُعْطِي تَبْذِيرًا وَلَا نُمْسِكُ تَقْتِيرًا، وَإِنَّمَا نَحْنُ خَزَائِنُ ٱللهِ فِي بِلَادِهِ وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَيْنَا وَإِذَا كَرِهَ أَبَيْنَا. وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ مَا جَبَهْنَا [٤] قَائِلًا وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا

أَلْفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ

فِي ٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلسُّؤَالِ

قَالَ شُرَيْحٌ: مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلرِّقِّ [٥]، فَإِنْ قَضَاهَا ٱلْمَسْؤُولُ مِنْهُ ٱسْتَعْبَدَهُ بِهَا، وَإِنْ رَدَّهُ عَنْهَا رَجَعَ كِلَاهُمَا ذَلِيلًا، هٰذَا بِذُلِّ ٱلْبُخْلِ وَذَاكَ بِذُلِّ ٱلرَّدِّ

---

(١) الحالة الكفالة والدية والغرامة يحملها قوم عن قوم (٢) مباين ومخالف (٣) رقح المال او العيش اصلحه وقام عليه . والعيش ما يعاش به (٤) جبهه ضرب جبهته او ردّه عن حاجته (٥) من رق العبد اذا صار رقيقاً

وَكانَ لُقمانُ يقُولُ لِوَلَدِهِ : يا بُنَيَّ إيَّاكَ وَالسُّؤالَ ، فإنَّهُ يُذهِبُ ماءَ الحَياءِ مِنَ الوَجهِ . وَأعظَمُ مِن هذا استِخفافُ النَّاسِ بِكَ

وَوَرَدَ في الحَديثِ : لأَنْ يَأخُذَ أَحَدُكُمْ أَحبُلَهُ[1] فَيَحتَطِبَ بِهَا عَلى ظَهرِهِ أَهوَنُ عَلَيهِ مِنْ أَنْ يَأتِيَ رَجُلاً أَعطاهُ اللهُ مِنْ فَضلِهِ فَيَسأَلَهُ ، أَعطاهُ أَوْ مَنَعَهُ . وَقالَتِ الحُكَماءُ : احتَجْ إلى مَنْ شِئتَ تَكُنْ أَسيرَهُ . وَاستَغنِ عَمَّنْ شِئتَ تَكُنْ نَظيرَهُ . وَأَنعِمْ عَلى مَنْ شِئتَ تَكُنْ أَميرَهُ . وَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ : أَقرَبُ ما يَكُونُ العَبدُ مِنَ اللهِ إذا سَأَلَهُ . وَأَبعَدُ ما يَكُونُ مِنَ الخَلقِ إذا سَأَلَهُمْ

وَقالَ عَبدُ اللهِ بنُ المُعتَزِّ :

أَعاذِلَ لَيسَ البُخلُ مِنِّي سَجِيَّةً ... وَلكِن وَجَدتُ الفَقرَ شَرَّ سَبيلِ
لَمَوتُ الفَتى خَيرٌ مِنَ البُخلِ لِلفَتى ... وَلَلبُخلُ خَيرٌ مِن سُؤالِ بَخيلِ
لَعَمرُكَ ما شَيءٌ لِوَجهِكَ قِيمَةٌ ... فَلا تَلقَ إنساناً بِوَجهٍ ذَليلِ

وَقالَ أَكثَمُ بنُ صَيفِيٍّ : أَفضَلُ مِنَ السُّؤالِ رُكوبُ الأَهوالِ

قيلَ لِأَعرابِيٍّ : ما السَّقَمُ الَّذي لا يَبرَأُ مِنهُ ، وَالجُرحُ الَّذي لا يَندَمِلُ . قالَ : حاجَةُ الكَريمِ إلى اللَّئيمِ

(١) جمع حبل

أَلفَصْلُ ٱلحَادِيَ عَشَرَ

في ٱلحَسَدِ

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: مَنْ حَسَدَ ٱلنَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةِ نَفْسِهِ.
وَقَالَ آخَرُ: مِنْ صِغَرِ ٱلهِمَّةِ ٱلحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ.

وَقَالَ ٱلجَاحِظُ: مِنَ ٱلعَدْلِ أَنْ تَحُطَّ عَنِ ٱلحَاسِدِ نِصْفَ عِقَابِهِ، لِأَنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ قَدْ كَفَاكَ مَؤُونَةَ شَطْرِ غَيْظِكَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلأُدَبَاءِ: لَا يَفْقِدُ ٱلحَسَدَ إِلَّا مَنْ فَقَدَ ٱلخَيْرَ أَجْمَعَ. فَمَنْبَعُ ٱلحَسَدِ مَقَرُّ ٱلنِّعْمَةِ. وَلِذٰلِكَ قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

وَحِذَاءَ كُلِّ فَضِيلَةٍ حُسَّادُهَا

وَقَالَ أَبُو حَسَنٍ ٱلتِّهَامِيُّ:

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرِّ مَا ... ضَمَّتْ صُدُورُهُمُ مِنَ ٱلأَوْغَارِ[1]
نَظَرُوا صَنِيعَ ٱللهِ بِي فَعُيُونُهُمْ ... فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلخَطَّابِ: مَا كَانَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ لَهَا حَاسِدًا. فَلَوْ كَانَ ٱلرَّجُلُ أَقْوَمَ مِنَ ٱلقِدْحِ[2] مَا عَدِمَ غَامِزًا[3]

(١) جمع وغر بمعنى الحقد والعداوة (٢) القدح السهم قبل ان يراش وينصل
(٣) طاعناً وذاماً

وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ

وَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَيَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَإِنْ أَنَا لَمْ أُنْصِفْهُمُ ظَلَمُونِي

وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّوْا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي سَيْبَهُمْ(١) مَنَعُونِي

وَإِنْ نَالَهُمْ رِفْدِي(٢) فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتَمُونِي

وَإِنْ وَجَدُوا عِنْدِي رَخَاءً تَقَرَّبُوا وَإِنْ نَزَلَتْ بِي شِدَّةٌ خَذَلُونِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي نَكْبَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبَتْنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي

وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

إِنَّ الْعَرَانِينَ(٣) تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا

الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي الْكَرَمِ وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِنَّ فِي الْكَرَمِ عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الْآخِرَةِ وَحُسْنَ الْأُحْدُوثَةِ وَخُلُودَ جَمِيلِ الذِّكْرِ

---

(١) عطاؤهم (٢) عطائي (٣) جمع العرنين وهو السيد الشريف

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلاءِ : جُودُ ٱلرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلى أَعْدَائِهِ . وَبُخْلُهُ يُبَغِّضُهُ إِلى أَوِدَّائِهِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ ٱلنَّاسِ مَنْ عَاشَ ٱلنَّاسُ فِي فَضْلِهِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلاءِ : اِلْمَعْرُوفِ خِصَالٌ ثَلاثٌ : تَعْجِيلُهُ وَتَيْسِيرُهُ وَتَسْتِيرُهُ . فَمَنْ أَخَلَّ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ بَخَسَ ٱلْمَعْرُوفَ حَقَّهُ وَسَقَطَ عَنْهُ ٱلشُّكْرُ

وَقَالَ آخَرُ : أَحْيِ مَعْرُوفَكَ بِإِمَاتَةِ ذِكْرِهِ وَعَظِّمْهُ بِٱلتَّصْغِيرِ لَهُ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ ٱلْعَطِيَّةِ جَهْدُ ٱلْمُقِلِّ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ ذَا نَدًى   فَأَنْتَ إِذَا وَٱلْمُقْتِرُونَ سَوَاءُ
عَلى أَنَّ فِي ٱلْأَمْوَالِ يَوْماً تِبَاعَةً[1]   عَلى أَهْلِهَا وَٱلْمُقْتِرُونَ بَرَاءُ

وَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ : ٱسْتَقْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي ، وَٱسْتَكْثِرْ قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ ٱلْكَرِيمِ[2] فِي مَا يُعْطِي ، وَقُرَّةَ عَيْنِ ٱللَّئِيمِ فِي مَا يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ ٱلشَّحِيحَ لَكَ مُعِيناً ، وَلَا ٱلْكَذَّابَ أَدِيباً . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شُحٍّ ، وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ

وَقَالَ عَلِيٌّ . لَا تَسْتَحْيِ مِنْ عَطَاءِ ٱلْقَلِيلِ . فَٱلْحِرْمَانُ أَقَلُّ مِنْهُ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأَجْوَادِ : خَيْرُ ٱلنَّوَالِ مَا وَصَلَ قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ . مَنْ لَمْ يَصُنْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ فَصُنْ

(١) التباعة التبعة يدير ا لجمهور ارحل من النمر عقيب نداله (٢) اي فرح

وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ . وَقِيلَ : مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَالَكَ لَا يَسَعُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ ، فَتَوَخَّ بِهِ أَهْلَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ كَرَامَتَكَ لَا تَسَعُ ٱلْمُقِلِّينَ ، فَٱخْصُصْ بِهَا أَهْلَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْمُرُوءَةِ وَمَنْ تَمَسُّهُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْكَ . وَٱلْإِعْطَاءُ بَعْدَ ٱلْمَنْعِ أَجْمَلُ مِنَ ٱلْمَنْعِ بَعْدَ ٱلْإِنْعَامِ .

وَقَالَ ٱلْحَجَّاجُ: لَا يَمَلَّنَّ أَحَدُكُمُ ٱلْمَعْرُوفَ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يُعَوَّضُ خَيْراً مِنْهُ إِمَّا شُكْراً فِي ٱلدُّنْيَا وَإِمَّا ثَوَاباً فِي ٱلْآخِرَةِ

وَقَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

وَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي ٱلْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَعْظَمَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى ٱلْغِنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي ٱلْقُلُوبِ جَلِيلُ

وَلَيْسَ ٱلْغِنَى إِلَّا غِنًى زَيَّنَ ٱلْفَتَى عَشِيَّةَ يَقْرِي أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ

ألفصل الثالث عشر

في شكر النعمة والمكافأة على المعروف

قال المغيرة بن شعبة: اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك. فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت

وقال الحكماء: من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة. ومن منّ [1] بمعروفه سقط شكره. ومن أعجب بعمله حبط [2] أجره

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها. فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها

وقيل: الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكافأة اليد. كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال آخر يشكر من والى إحسانه إليه:

كلما قلت أعتق الشكر رقي ... صيرتني لك المكارم عبدا

فأحي عمر الزمان حتى أؤدي ... شكر إحسانك الذي لا يؤدى

---

(١) منّ عليه عدّ له ما فعله من الصنائع مثل ان يقول اعطيتك رفعت لك

(٢) بطل

وَقَالَ آخَرُ :

أَوْلَيْتَنِي نِعَماً أَبُوحُ بِشُكْرِهَا ... وَكَفَيْتَنِي كُلَّ ٱلْأُمُورِ بِأَسْرِهَا

فَلَأَشْكُرَنَّكَ مَاحَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلنِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَٱلنِّعَمُ تَفْنَى . وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ . فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَٱدْعُوا لَهُ

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ وَأَجَادَ :

سَأَشْكُرُ لَا أَنِّي أُجَازِيكَ مُنْعِماً
بِشُكْرِي وَلٰكِنْ كَيْ يَدُومَ لَكَ ٱلشُّكْرُ

وَأَذْكُرُ أَيَّاماً لَدَيَّ ٱصْطَنَعْتَهَا
وَآخِرُ مَا يَبْقَى عَلَى ٱلشَّاكِرِ ٱلذِّكْرُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ ٱلْمُكَافَأَةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِٱلشُّكْرِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاءِ : أَمْسِكُوا ٱلْمَعْرُوفَ عَنْ ثَلَاثَةٍ : ٱللَّئِيمِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَرْضِ ٱلسَّبِخَةِ [1] . وَٱلْفَاحِشِ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ ٱلَّذِي صَنَعْتَ إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ لِمَخَافَةِ فُحْشِهِ . وَٱلْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا أَسْدَيْتَ إِلَيْهِ

---

(١) الارض السبخة التي لم تحرث ولم تعمر

وسئل بعض الحكماء: ما أضيع الأشياء. قال: المطر الجود[1] في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، وسراج يوقد في الشمس، وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها

الفصل الرابع عشر

في السعي والعمل وعواقب الفراغ

قال بعض العقلاء: لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تضع مالك في غير صنيعة. فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والمال أقل من أن يصرف في غير الصنائع، والعاقل أجل من أن يفني أيامه في ما لا يعود عليه نفعه وخيره، وينفق أمواله في ما لا يحصل له ثوابه وأجره

وقال بزرجمهر: إن يكن الشغل مجهدة[2] فالفراغ مفسدة

وقال حبيب الطائي:

بصرت بالراحة العليا فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوراً

---

(١) الغزير (٢) متعبة

عَلى ٱلْخَلْقِ كُلِّهِ . وَأَهْلُ ٱلتَّحْصِيلِ وَٱلنَّظَرِ يَطْلُبُونَهُ بِأَحْسَنِ وُجُوهِ مِنَ ٱلتَّصَرُّفِ وَٱلتَّحَرُّزِ . وَأَهْلُ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ يَطْلُبُونَهُ بِأَقْبَحِ وُجُوهِهِ مِنَ ٱلسُّؤَالِ وَٱلِاتِّكَالِ وَٱلْخِلَابَةِ [1] وَٱلِاحْتِيَالِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : إِذَا عَمِلَ ٱلْمَرْءُ وَلَمْ يُدْرِكْ حَاجَةً فَحَسْبُهُ نَفْعاً أَنَّهُ يَسْلَمُ مِنْ عَوَاقِبِ ٱلتَّوَانِي ٱلَّتِي هِيَ أَسْوَأُ مِنْ مَغَبَّاتِ [2] ٱلْخَيْبَةِ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْعَمَلُ تُرْسٌ يَقِي سِهَامَ ٱلْبَلَاءِ ، وَٱلْجِدُّ سَيْفٌ يَقْطَعُ أَعْنَاقَ ٱلشَّقَاءِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِداً
نَدِمْتَ عَلى ٱلتَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ ٱلْبَذْرِ

وَقَالَ ٱلْمُتَنَبِّئُ :

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ ٱلْعُلَى
فَصَعْبُ ٱلْعُلَى فِي ٱلصَّعْبِ وَٱلسَّهْلُ فِي ٱلسَّهْلِ
تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ ٱلْمَعَالِي رَخِيصَةً
وَلَا بُدَّ دُونَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ

وَقَالَ آخَرُ :

انْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَٱدَّرِعْ تَعَباً
أَوْ فَٱرْضَ بِٱلذُّلِّ وَٱخْتَرْ رَاحَةَ ٱلْبَدَنِ

(١) الخداع (٢) عواقب

الفَصلَ الخَامِسَ عَشَرَ

فِي ذَمِّ العَجْزِ وَالتَّوَانِي

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : التَّوَانِي هُوَ الكَسَلُ وَتَضْيِيعُ الحَزْمِ [١] ، وَعَدَمُ القِيَامِ عَلى مَصَالِحِ النَّفْسِ ، وَتَرْكُ التَّسَبُّبِ [٢] وَالِاحْتِرَافِ وَالإِحَالَةُ عَلى المَقَادِيرِ . وَهٰذَا مِنْ أَقْبَحِ الأَفْعَالِ

وَقَالَ الأَحْنَفُ : إِيَّاكَ وَالكَسَلَ وَالضَّجَرَ . فَإِنَّكَ إِنْ كَسِلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا ، وَإِنْ ضَجِرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلى حَقٍّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : لَهَبُ الشَّوْقِ أَخَذَ مَحْمَلًا مِنْ مُقَاسَاةِ المَلَالَةِ

وَقَالَ أَحَدُ الحُكَمَاءِ : إِنَّ الضَّجُورَ خَائِبٌ . وَطَوِيلَ الأَمَلِ مَغْرُورٌ . وَفَاسِدَ الرَّأْيِ مُصَابٌ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الحُقُوقَ . وَمِنَ العَجْزِ طَلَبُ مَا فَاتَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ ، وَتَرْكُ مَا أَمْكَنَ مِمَّا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ لَا تَقْنَعْ بِمَعْجِزَةٍ   فَلَيْسَ حُرٌّ عَلى عَجْزٍ بِمَعْذُورِ

(١) الحزم ضبط الأمر وإحكامه   (٢) التسبب اذا طلب أسباب المعاش وغيره

وَقَالَ أَحدَ ٱلْفُضَلاء: مَنْ دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ . وَمِنَ ٱلتَوْفِيقِ بُغْضُ ٱلتَّوَانِي . وَقَالَ أَحدُ ٱلْحُكَمَاء : ٱحْذَرْ مُجَالَسَةَ ٱلْعَاجِزِ . فَإِنَّ مَنْ سَكَنَ إِلى عَاجِزٍ أَعْدَاهُ مِنْ عَجْزِهِ ، وَأَمَدَّهُ مِنْ جَزَعِهِ ، وَعَوَّدَهُ قِلَّةَ ٱلصَّبْرِ ، وَنَسَّاهُ مَا فِي ٱلْعَوَاقِبِ . وَلَيْسَ لِلْعَجْزِ ضِدٌّ إِلَّا ٱلْحَزْمُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَا تَكُونَنَّ فِي ٱلْأُمُورِ هَيُوباً[1] فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ ٱلْهَيُوبُ

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : ٱلْعَاجِزُ هُوَ ٱلْقَلِيلُ ٱلْحِيلَةِ ، ٱلْمُلَازِمُ لِلْأَمَانِي ٱلْمُسْتَحِيلَةِ . وَقِيلَ : مَنْ لَزِمَ ٱلرُّقَادَ عَدِمَ ٱلْمُرَادَ

وَقَالَ عَلِيٌّ : ٱلتَّوَانِي مِفْتَاحُ ٱلْبُؤْسِ . وَبِٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ تَوَلَّدَتِ ٱلْفَاقَةُ وَأُنْتِجَتِ ٱلْهَلَكَةُ . وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يَجِدْ وَأَفْضَى إِلى ٱلْفَسَادِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُهَلَّبٍ : مَا يَسُرُّنِي أَنِّي كُفِيتُ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا كُلَّهُ لِئَلَّا أَتَعَوَّدَ ٱلضَّجَرَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاء : مَا لَزِمَ أَحَدٌ ٱلدَّعَةَ[2] إِلَّا ذَلَّ . وَحُبُّ ٱلْهُوَيْنَا[3] يُكْسِبُ ٱلذُّلَّ ، وَحُبُّ ٱلْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ ٱلْعَجْزِ

---

(١) الهيوب الذي يخاف الناس (٢) الراحة (٣) الرفق والسكينة

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ

فِي

إِنَّ ٱلْحَيَاءَ فِي ٱلْإِنْسَانِ قَدْ يَكُونُ مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ : أَحَدُهَا حَيَاؤُهُ مِنَ ٱللهِ بِٱمْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَٱلْكَفِّ عَنْ زَوَاجِرِهِ[1]. وَٱلثَّانِي حَيَاؤُهُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَيَكُونُ بِدَفْعِ ٱلْأَذَى وَتَرْكِ ٱلْقَبِيحِ. وَٱلثَّالِثُ حَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِٱلنَّزَاهَةِ وَصِيَانَةِ ٱلْخَلَوَاتِ[2]

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ٱلْجَاحِظُ : ٱلْحَيَاءُ لِبَاسٌ سَابِغٌ ، وَحِجَابٌ وَاقٍ وَسِتْرٌ مِنَ ٱلْعَيْبِ ، وَأَخُو ٱلْعَفَافِ ، وَحَلِيفُ ٱلدِّينِ ، وَرَقِيبُ ٱلْعِصْمَةِ ، وَعَيْنٌ كَالِئَةٌ تَذُودُ[3] عَنْ إِتْيَانِ ٱلْفَحْشَاءِ ، وَتَنْهِي عَنِ ٱرْتِكَابِ ٱلْأَدْنَاسِ[4] ، وَسَبَبٌ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : لِيَكُنِ ٱسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنِ ٱسْتِحْيَائِكَ مِنْ غَيْرِكَ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ عَمِلَ فِي ٱلسِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ

وَقَالَ كَعْبٌ : ٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱللهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ فِي عَلَانِيَتِكُمْ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : عَلَيْكَ بِٱلْحَيَاءِ

(١) نواهيه وهي الامور التي ينهى عنها (٢) الوحدات (٣) تدفع (٤) الماثم

وَٱلْأَنَفَةِ[١] . فَإِنَّكَ إِنِ ٱسْتَحْيَيْتَ مِنَ ٱلْفَضَاحَةِ ٱجْتَنَبْتَ ٱلْخَسَاسَةَ ، وَإِنْ أَنِفْتَ مِنَ ٱلْغَلَبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ أَحَدٌ فِي مَرْتَبَةٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : طَيِّرُوا ٱلدَّمَ فِي وُجُوهِ ٱلصِّبْيَانِ : فَإِنْ بَدَا فِي وُجُوهِهِمِ ٱلْحَيَاءُ ، وَإِلَّا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْحَيَاءُ فِي ٱلصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ ٱلْخَوْفِ ، لِأَنَّ ٱلْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْعَقْلِ وَٱلْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى ٱلْجُبْنِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُصَحَاءِ : سِمَةُ ٱلْخَيْرِ ٱلدَّعَةُ[٢] وَٱلْحَيَاءُ ، وَسِمَةُ ٱلشَّرِّ ٱلْقِحَةُ وَٱلْبَذَاءُ . وَكَفَى بِٱلْحَيَاءِ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ عَلَى ٱلْخَيْرِ دَلِيلًا ، وَكَفَى بِٱلْقِحَةِ وَٱلْبَذَاءِ شَرًّا أَنْ يَكُونَا إِلَى ٱلشَّرِّ سَبِيلًا

وَقَالَ سِوَارُ ٱبْنُ ٱلْمُضَرِّبِ :

وَحَاجَةٍ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ بِهَا   جَعَلْتُهَا لِلَّتِي أَخْفَيْتُ عُنْوَانَا[٣]
إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ   وَلَا أَمَانَةَ وَسْطَ ٱلْقَوْمِ عُرْيَانَا

(١) الاستنكاف (٢) السكينه (٣) العنوان ما استدللت به على شيء

أَلفَصْلُ ٱلسَّابِع عشر

فِي ٱلحِلم

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : ٱلتَّشَفِّي طَرَفٌ مِنَ ٱلْعَجْزِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِهِ لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلظَّالِمِ إِلَّا سِتْرٌ رَقِيقٌ وَحِجَابٌ ضَعِيفٌ . وَلَأَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِسَعَةِ ٱلصَّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُذَمَّ بضِيقِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلشَّتِيمَةُ تُوغِرُ ٱلصُّدُورَ وَتُكْسِبُ ٱلْأَعْدَاءَ وَتَدُلُّ عَلَى سُوءِ ٱلأَدَبِ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ لَمْ يُقِلِ ٱلْعَثْرَةَ (١) سُلِبَ ٱلْقُدْرَةَ . وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ : مَنْ سَمِعَ ٱلْكَلِمَةَ يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا ٱنْقَطَعَ ضَرُّهَا عَنْهُ

وَقَالَ ٱلْمُؤَمَّلُ ٱلْمُحَارِبِيُّ :

وَكَمْ مِنْ لَئِيمٍ وَدَّ أَنِّي شَتَمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلْقَمُ
وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ ٱللَّئِيمِ تَكَرُّمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ

إِذَا أَنْتَ جَازَيْتَ السَّفِيهَ كَمَا جَزَى
فَأَنْتَ سَفِيهٌ مِثْلُهُ غَيْرُ ذِي حِلْمِ

(١) اقال عثرته ...

وَمِنْ كَلامِ عَلِيٍّ : ٱلْعَفْوُ يُفْسِدُ مِنَ ٱللَّئِيمِ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُ مِنَ ٱلْكَرِيمِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَكَارِمِ عَفْوُ ٱلْمُقْتَدِرِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ٱلْعَرَبِ : ٱحْلُمْ تَسُدْ

وَقَالَ ٱلْأَحْنَفُ : وَجَدْتُ ٱلِٱحْتِمَالَ أَنْفَعَ لِي مِنَ ٱلرِّجَالِ . وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مَنْ غَابَتْهُ ٱلْحِدَّةُ فَلا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّتِهِ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلاءِ : ٱحْتِمَالُ ٱلسَّفِيهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلتَّحَلُّقِ بِأَخْلاقِهِ ، وَٱلْإِغْضَاءُ عَنِ ٱلْجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَلَتِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

وَفِي ٱلْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَنِ ٱلْأَذَى
وَفِي ٱلْخُرْقِ إِغْرَاءٌ [1] فَلَا تَكُ أَخْرَقَا

وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : أَحْسَنُ مَا يَكُونُ ٱلصَّفْحُ عَمَّنْ عَظُمَ جُرْمُهُ [2] وَقَلَّ شُفَعَاؤُهُ وَلَمْ يَجِدْ نَاصِراً

وَقَالَ ٱلْأَحْنَفُ : إِيَّاكُمْ وَرَأْيَ ٱلْأَوْغَادِ . قَالُوا : وَمَا رَأْيُ ٱلْأَوْغَادِ . قَالَ : ٱلَّذِينَ يَرَوْنَ ٱلصَّفْحَ وَٱلْعَفْوَ عَاراً

وَقَالَ سَالِمٌ ٱلْيَشْكُرِيُّ :

إِذَا مَا غَفَرْتُ ٱلذَّنْبَ يَوْماً لِصَاحِبٍ فَلَسْتُ مُعِيداً مَا حَيِيتُ لَهُ ذِكْرَا
وَلَسْتُ إِذَا مَا حَالَ [3] عَنْ حِفْظِ وُدِّهِ وَعِنْدِي لَهُ سِرٌّ مُذِيعاً لَهُ سِرَّا

---

(١) الخرق ضد الرفق واغراه بالشيء اولعه به وحضه عليه (٢) ذنبه (٣) تحول وانصرف

وَأَتَى ٱلْهَادِي بِرَجُلٍ فَعَلَ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ إِقْرَارِي يُلْزِمُنِي ذَنْباً لَمْ أَفْعَلْهُ، وَيُلْحِقُ بِي جُرْماً لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ. وَإِنْكَارِي رَدٌّ عَلَيْكَ وَمُعَارَضَةٌ لَكَ، وَلٰكِنِّي أَقُولُ:

فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِٱلْعِقَابِ تَشَفِّياً فَلَا تَزْهَدَنْ عِنْدَ ٱلتَّجَاوُزِ فِي ٱلْأَجْرِ

فَقَالَ لَهُ: لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ مُعْتَذِرٍ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، مَا أَمْضَى لِسَانَكَ وَأَثْبَتَ جَنَانَكَ. وَعَفَى عَنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

وَكَانَ ٱلْأَحْنَفُ ٱبْنُ قَيْسٍ مَشْهُوراً بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحِلْمِ وَبِذٰلِكَ سَادَ عَشِيرَتَهُ. فَقِيلَ لَهُ: مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ ٱلْحِلْمَ. فَقَالَ: مِنْ قَيْسِ ٱبْنِ عَاصِمٍ. كُنَّا نَخْتَلِفُ[1] إِلَيْهِ فِي ٱلْحِلْمِ كَمَا يُخْتَلَفُ إِلَى ٱلْفُقَهَاءِ فِي ٱلْفِقْهِ. وَلَقَدْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ يَوْماً وَقَدْ أَتَوْهُ بِأَخٍ لَهُ قَدْ قَتَلَ ٱبْنَهُ فَجَاؤُوا بِهِ مَكْتُوفاً. فَقَالَ: ذَعَرْتُمْ[2] أَخِي أَطْلِقُوهُ وَٱحْمِلُوا إِلَى أُمِّ وَلَدِي دِيَتَهُ[3] فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ قَوْمِنَا. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَصْبِيراً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ

كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هٰذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

---

(١) نتردد (٢) خوّفتم (٣) الدية حق القتيل وهو مال يعطى وليَّ القتيل بدل النفس

الفصل الثامن عشر

في مساوئ الأخلاق ومحاسنها

قَالَ أَحَدُ ٱلأُدَبَاءِ : حُسْنُ ٱلْخُلْقِ يُوجِبُ ٱلْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ ٱلْخُلْقِ يُوجِبُ ٱلْمُبَاعَدَةَ ، وَٱلِانْبِسَاطُ (١) يُوجِبُ ٱلْمُؤَانَسَةَ ، وَٱلِانْقِبَاضُ (٢) يُوجِبُ ٱلْوَحْشَةَ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : بِٱلتَّأَنِّي تَسْهُلُ ٱلْمَطَالِبُ ، وَبِحُسْنِ ٱلْمُعَاشَرَةِ تَدُومُ ٱلْمَحَبَّةُ ، وَبِخَفْضِ ٱلْجَانِبِ (٣) تَأْنَسُ ٱلنُّفُوسُ ، وَبِسَعَةِ خُلْقِ ٱلْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ : مَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فِرَاقُهُ ، وَمَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ طَابَ وِصَالُهُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ ضَاقَ خُلْقُهُ مَلَّهُ أَهْلُهُ

وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ : مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقِمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلْقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَاحَى (٤) ٱلرِّجَالَ سَقَطَتْ مُرُوءَتُهُ وَذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ . وَأَفْضَلُ إِيمَانِ ٱلْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ٱللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : سَعَةُ ٱلْأَخْلَاقِ تَفْتَحُ كُنُوزَ ٱلْأَرْزَاقِ ،

(١) الادلال (٢) خلاف الانبساط (٣) خفض الجانب اللطف والتواضع
(٤) نازع وخاصم

وَتُكْثِرُ ٱلْأَصْفِيَاءَ وَتُقَلِّلُ ٱلْأَعْدَاءَ ، وَتُسَهِّلُ ٱلْمَصَاعِبَ ، وَتُنِيلُ أَسْنَى ٱلرَّغَائِبِ وَأَعَزَّ ٱلْمَطَالِبِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : مَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ ٱتَّسَعَ لِسَانُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ (١) ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : مِنْ أَكْبَرِ ٱلشَّوَائِبِ وَأَفْحَشِ ٱلْمَعَايِبِ أَنْ يَكُونَ ٱلْمَرْءُ بَذِيءَ ٱللِّسَانِ شَرِسَ (٢) ٱلطِّبَاعِ خَشِنَ ٱلْجَانِبِ (٣) سَيِّئَ ٱلْآدَابِ . تَأْخُذُهُ فَوْرَةُ ٱلْغَضَبِ (٤) لِأَقَلِّ إِسَاءَةٍ ، وَتَبْدُرُ مِنْهُ بَوَادِرُ (٥) ٱلْحِدَّةِ لِأَدْنَى إِهَانَةٍ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : دَمَاثَةُ ٱلْأَخْلَاقِ تُخْمِدُ مِنَ ٱلصُّدُورِ جَذْوَةَ (٦) ٱلْأَحْقَادِ ، وَتُزِيلُ ٱلْإِحَنَ (٧) وَٱلْحَزَازَاتِ (٨) . وَشَرَاسَةُ ٱلطِّبَاعِ تُضْرِمُ ٱلْفِتَنَ وَتُوقِدُ ٱلشُّرُورَ ، وَتُورِثُ ٱلْمَهَالِكَ وَتُعْقِبُ ٱلنَّدَمَ ، وَتُفْقِدُ ٱلسَّكِينَةَ وَتُعَرِّضُ لِلسُّخْرِيَّةِ ، وَتَحُطُّ مِنْ مَقَامِ ٱلْأُدَبَاءِ وَتُلْحِقُهُمْ بِزُمْرَةِ ٱلسُّفَهَاءِ ٱلْغَوْغَاءِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

لَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا ٱخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ

---

(١) خطأه (٢) الشرس السيء الخلق الشديد الخلاف (٣) الخشن الجانب الصعب الذي لايطاق (٤) فورة الغضب حدته (٥) بدرت منه بوادر غضب والبوادر جمع بادرة وهي مايبدر من الحدة في الغضب (٦) جمرة (٧) الاحقاد (٨) الحزازات من الحزازة وهي وجع في القلب من غيظ او اذى

ألفصلُ ألتّاسعَ عشر

في العداوةِ والبغضاء ومُداراةِ أهلِ الشرّ

قالَ عليٌّ : عداوةُ الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للحكماء ، والأشرارِ للأخيار ، طبعٌ لا يُستطاعُ تغييرُه .

وقالتِ الحكماءُ: العدوُّ عدوّانِ : عدوٌّ ظلمتَهُ فجنيتَ بظلمكَ إيّاهُ عداوتَهُ . وآخرُ ظلمكَ فجنى بظلمهِ إيّاكَ عداوتكَ . فإنْ نابتكَ نائبةٌ تضطرّكَ إلى أحدِهما ، فكُنْ بمنْ ظلمكَ أوثقَ منكَ بمنْ ظلمتَهُ . وقيلَ : لا سبيلَ إلى السّلامةِ منْ ألسنةِ العامّةِ

وقالَ أحدُ العقلاء : منَ الحزمِ أنْ لا يحتقرَ الرّجلُ عدوّهُ وإنْ كانَ ذليلاً ، ولا يغفلَ عنهُ وإنْ كانَ حقيراً . فكمْ برغوثٍ سهّدَ فيلاً ومنعَ الرّقادَ ملكاً جليلاً

وقالَ الشّاعرُ :

لا تحقرنَّ صغيراً في مُخاصمةٍ إنَّ الذّبابةَ أدمتْ مُقلةَ الأسدِ

وقالَ حكيمٌ : كونوا منَ الرّجلِ الدّغلِ [1] أخوفَ منَ الكاشحِ [2] المُعلنِ . فإنَّ مُداواةَ أهلِ العللِ الظّاهرةِ أهونُ

---

(١) الدغل الذي يخفي العداوة (٢) الكاشح الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه

مِنْ مُـدَاوَاةِ مَا خَفِيَ وَبَطَنَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : لَا تَسْتَصْغِرْ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَـهُ ، لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ . وَٱلضَّعِيفُ ٱلْمُحْتَرِسُ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى ٱلسَّلَامَـةِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ ٱلْمُغْتَرِّ بِٱلْعَدُوِّ ٱلضَّعِيفِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

دَعْ كُلَّ مَا يَدْعُو إِلَى فِتْنَةٍ   وَسَالِمِ ٱلنَّاسَ تَعِشْ سَالِمَا

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : لَا تُعَـادِيَنَّ أَحَداً فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو مِنْ عَدَاوَةِ جَاهِلٍ أَوْ عَاقِلٍ ، فَٱلْحَذَرَ مِنْ حِكْمَةِ ٱلْعَاقِلِ وَجَهْلِ ٱلْجَاهِلِ

وَقَالَ آخَرُ : شَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ ٱلنَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ

وَفِي كِتَابِ ٱلْهِنْدِ : إِذَا أَحْدَثَ لَكَ ٱلْعَـدُوُّ صَدَاقَةً لِعِلَّةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَيْكَ ، فَمَعَ ذَهَابِ ٱلْعِلَّةِ رُجُوعُ ٱلْعَدَاوَةِ ، كَٱلْمَاءِ تُسَخِّنُهُ فَإِذَا أَمْسَكْتَ عَنْهُ عَادَ إِلَى أَصْلِهِ بَارِداً

وَقَالَ دُرَيْدٌ :

وَلَا تَخْفَى ٱلضَّغِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ   وَلَا ٱلنَّظَرُ ٱلْمَرِيضُ مِنَ ٱلصَّحِيحِ

الفصل العشرون

في المودة والأخوة

قالت الحكماء : المودة والأخوة سبب التآلف ، والتآلف سبب القوة ، والقوة حصن منيع وركن شديد . وبها يمنع الضيم ، وتنال الرغائب ، وتنجح المقاصد

وقال زياد : خير ما اكتسب المرء الإخوان . فإنهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان ، وعون في السراء والضراء . وقال سليمان بن عبد الملك : ليس عندي ألذ من صديق أطرح معه مؤونة التحفظ [1] . وقال ابن المقفع : الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح

وقال الشاعر :

وما المرء إلا بإخوانه ... كما تقبض الكف بالمعصم [2]
ولا خير في الكف مقطوعة ... ولا خير في الساعد الأجذم [3]

ومما ينسب إلى علي :

عليك بإخوان الصفاء فإنهم ... عماد إذا استنجدتهم [4] وظهور

---

(١) التصون والاحتراز (٢) المعصم موضع السوار من الساعد او اليد (٣) المقطوع اليد او الذاهب الاناامل (٤) استعنت بهم

وَلَيسَ كَثِيراً أَلفُ خِلٍ وَصَاحِبٍ   وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِداً لَكَثِيرُ

وَقَالَ خَالِدُ بنُ صَفوَانَ : أَعجَزُ ٱلنَّاسِ مَنْ قَصَّرَ فِي طَلَبِ ٱلإِخوَانِ ، وَأَعجَزُ مِنهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ

وَقَالَ بْنُ عَائِشَةَ ٱلْقُرَشِيُّ : مُجَالَسَةُ ٱلإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلأَحْزَانِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلفُصَحَاء : ٱلصَّدِيقُ ٱلْحَمِيمُ عُدَّةٌ فِي ٱلبَلَايَا ، وَعُمْدَةٌ فِي ٱلمِحَنِ ، وَبَلسَمٌ فِي ٱلنَّوَائِبِ ، وَمَرْهَمٌ فِي ٱلشَّدَائِدِ .

وَقَالَ آخَرُ : لَا تُسَاغُ[1] مَرَارَةُ ٱلأَوْقَاتِ إِلَّا بِحَلَاوَةِ ٱلإِخْوَانِ ٱلثِّقَاتِ

وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عِرْفَةَ :

هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ   وَهَمِّي مِنَ ٱلدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدُ

نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ   فَجِسْمَانُنَا جِسْمَانِ وَٱلرُّوحُ وَاحِدُ

وَقَالَ عَلِيٌّ لِٱبْنِهِ ٱلْحَسَنِ : ٱلغَرِيبُ مَنْ لَيسَ لَهُ حَبِيبٌ

وَقَالَ بْنُ ٱلْمُعْتَزِّ : مَنِ ٱتَّخَذَ إِخْوَاناً كَانُوا لَهُ أَعْوَاناً

(١) يقال ساغ الشراب اذا هنأ وسلس وسهل مدخله في الحلق

ٱلفَصلُ ٱلحَادِيَ وَٱلعِشرُونَ

فِي ٱختِيَارِ ٱلأَصدِقَاءِ وَمُصَاحَبَةِ إِخوَانِ ٱلصَّلَاحِ

أَوْصَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ قَالَ : يَا بَنِيَّ عَاشِرُوا ٱلنَّاسَ أَحسَنَ عِشرَةٍ بِحَيْثُ إِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ فُقِدْتُمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ . يَابَنِيَّ إِنَّ ٱلقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاحَظُ بِٱلْمَوَدَّةِ وَتَتَنَاجَى[1] بِهَا وَكَذٰلِكَ هِيَ فِي ٱلْبُغْضِ . فَإِذَا أَحبَبْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱرْجُوهُ . وَإِذَا أَبغَضْتُمُ ٱلرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَٱحذَرُوهُ

وَقَالَتِ ٱلحُكَمَاءُ : ٱلْإِخوَانُ ثَلَاثَةٌ : أَخٌ يُخلِصُ لَكَ وُدَّهُ ، وَيَبذُلُ لَكَ رِفدَهُ[2] ، وَيَستَفرِغُ فِي مُهِمِّكَ[3] جَهدَهُ . وَأَخٌ يَقتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسنِ نِيَّتِهِ دُونَ رِفدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يُجَامِلُكَ بِلِسَانِهِ وَيَشتَغِلُ عَنكَ بِشَانِهِ وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : وَلَا خَيرَ فِي صَحبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنَ ٱلحَقِّ مِثلَ مَا تَرَى لَهُ . وَقَالَ بَعضُ ٱلْأُدَبَاءِ : شَرُّ ٱلْإِخوَانِ ٱلْوَاصِلُ فِي ٱلرَّخَاءِ ٱلْهَاجِرُ عِندَ ٱلشِّدَّةِ

وَقَالَ بَعضُ ٱلحُكَمَاءِ : إِحذَرْ مِنَ ٱلْكَرِيمِ إِذَا أَهَنتَهُ ، وَٱللَّئِيمِ

---

(١) تتحدث وتتسار (٢) عطاءه (٣) المهم الامر الشديد

إِذَا أَكْرَمْتَهُ ، وَٱلْعَاقِلِ إِذَا أَحْرَجْتَهُ ، وَٱلْأَحْمَقِ إِذَا مَازَحْتَهُ ، وَٱلْفَاجِرِ إِذَا عَاشَرْتَهُ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلصَّدِيقُ ٱلنَّصُوحُ مَنْ بَصَّرَكَ مَوَاضِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ غَيِّكَ

وَقَالَ ٱلْجَاحِظُ : لَا تُجَالِسِ ٱلْحَمْقَى فَإِنَّهُ يَعْلَقُ بِكَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ يَوْماً مِنَ ٱلْفَسَادِ مَا لَا يَعْلَقُ بِكَ مِنْ مُجَالَسَةِ ٱلْعُقَلَاءِ دَهْراً مِنَ ٱلصَّلَاحِ . فَإِنَّ ٱلْفَسَادَ أَشَدُّ ٱلْتِحَاماً بِٱلطَّبَائِعِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ ... وَجَهِلْتُ كَانَ ٱلْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ[1] إِلَى ٱلْمُدَامِ شَرِبْتُ مِنْ ... أَخْلَاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِطَرْفِهِ ... وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ

وَأَنْشَدَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ :

أَخُوكَ ٱلَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ ... يُجِبْكَ وَإِنْ تَغْضَبْ إِلَى ٱلسَّيْفِ يَغْضَبِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلَاءِ : ٱصْطَفِ مِنَ ٱلْإِخْوَانِ ذَا ٱلدِّينِ وَٱلْحَسَبِ وَٱلرَّأْيِ وَٱلْأَدَبِ . فَإِنَّهُ رِدْءٌ[2] لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، وَرُكْنٌ عِنْدَ نَائِبَتِكَ ، وَأُنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ

(١) من صبا اليه اذا حنّ (٢) عون

اَلْفَصْلُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي مُعَاتَبَةِ الصَّدِيقِ وَاسْتِبْقَاءِ مَوَدَّتِهِ

قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا انْقَطَعَتْ . لِأَنَّهُمْ إِذَا جَذَبُوهَا أَرْسَلْتُهَا وَإِذَا أَرْسَلُوهَا جَذَبْتُهَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ وَلَا تَهْجُرْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ أَمْراً تَكْرَهُهُ أَوْ خَلَّةً لَا تُحِبُّهَا فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ وَلَا تَصْرِمْ [1] وُدَّهُ . وَلٰكِنْ دَاوِ كَلْمَهُ [2] وَاسْتُرْ عَوْرَتَهُ وَأَبْقِهِ وَابْرَأْ مِنْ عَمَلِهِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ　　وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

يَا صَدِيقِي الَّذِي بَذَلْتُ لَهُ الْوُدَّ　　وَأَنْزَلْتُهُ عَلَى أَحْشَائِي

إِنَّ عَيْناً قَذَيْتَهَا [3]　　لَتُرَاعِيكَ عَلَى مَا بِهَا مِنَ الْأَقْذَاءِ [4]

مَا لَهَا حَاجَةٌ إِلَيْكَ وَلٰكِنْ　　هِيَ مَعْقُودَةٌ بِحَبْلِ الْوَفَاءِ

---

(١) تقطع (٢) جرحه (٣) يقال قذّى عينه اذا القى فيها القذى (٤) جمع القذى وهي التراب المدقق

وَقَالَ ٱلْأَحنَفُ : مِنْ حَقِّ ٱلصَّدِيقِ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ صَدِيقِهِ ثَلاثاً : ظُلْمَ ٱلْغَضَبِ ، وَظُلْمَ ٱلدَّالَّةِ ، وَظُلْمَ ٱلْهَفْوَةِ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : مِمَّا يَجِبُ عَلَى ٱلصَّدِيقِ لِصَدِيقِهِ ٱلإِغْضَاءُ عَنْ زَلَّاتِهِ وَٱلتَّجَاوُزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ . فَإِنْ رَجَعَ وَأَعْتَبَ [1] . وَإِلَّا عَاتَبَهُ بِلا إِكْثَارٍ . فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْعِتَابِ مَدْرَجَةٌ [2] لِلْقَطِيعَةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَعَيْنُ ٱلْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ   وَعَينُ ٱلْحُبِّ لَا تَجِدُ ٱلْعُيُوبَا

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا رَأَيْتُ ٱنْحِرَافاً مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
ضَاقَتْ عَلَيَّ بِرَحْبِ [3] ٱلْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِي كَيْ أُكَافِئَهُ
فَٱلْعَيْنُ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

دَارِ ٱلصَّدِيقَ إِذَا ٱسْتَشَاطَ تَغَيُّظاً   فَٱلْغَيْظُ يُخْرِجُ كَامِنَ ٱلْأَحْقَادِ

(١) ارضى (٢) طريق وسبيل (٣) الرحب الواسع

أَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلْبَغْيِ وَٱلظُّلْمِ وَٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاءِ : يَوْمُ ٱلْعَدْلِ عَلَى ٱلظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلْجَوْرِ عَلَى ٱلْمَظْلُومِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ ٱللهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : فِي مُعَاقَبَةِ ٱلظَّالِمِ أَعْظَمُ تَعْزِيَةٍ لِلْمَظْلُومِ وَأَبْلَغُ تَحْذِيرٍ لِلظَّالِمِ مِنْ إِنْزَالِ ٱلْعُقُوبَةِ وَإِنْ تَنَفَّسَتْ [1] مُدَّتُهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ : إِذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونَكَ عَاقَبَكَ مَنْ فَوْقَكَ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ كَثُرَ ظُلْمُهُ وَٱعْتِدَاؤُهُ قَرُبَ هَلَاكُهُ وَفَنَاؤُهُ ، وَمَنْ طَالَ تَعَدِّيهِ كَثُرَتْ أَعَادِيهِ

وَجَاءَ فِي ٱلْأَمْثَالِ : مَنْ حَفَرَ حَفِيراً لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ . وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلْعُدْوَانِ أُغْمِدَ فِي رَأْسِهِ . وَقِيلَ : ٱلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ . وَشَرُّ ٱلزَّادِ إِلَى ٱلْمَعَادِ ظُلْمُ ٱلْعِبَادِ

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ إِلَى ظُلْمِ ٱلنَّاسِ فَٱذْكُرْ قُدْرَةَ ٱللهِ عَلَيْكَ

(١) زادت وامتدت

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

نَامَتْ عُيُونُكَ وَٱلْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ   يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ ٱللّٰهِ لَمْ تَنَمِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأَفَاضِلِ : دَعْوَتَانِ أَرْجُو إِحْدَاهُمَا وَأَخَافُ ٱلْأُخْرَى : دَعْوَةُ مَظْلُومٍ أَعَنْتُهُ ، وَضَعِيفٍ ظَلَمْتُهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ : لَا يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَكُونَ جَائِرًا وَمِنْ عِنْدِهِ يُلْتَمَسُ ٱلْعَدْلُ . وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا وَمِنْ عِنْدِهِ يُلْتَمَسُ ٱلْعِلْمُ وَٱلْحِلْمُ

وَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : ٱلْمَلِكُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِ

وَقَالَ غَيْرُهُ : ٱلْمَمْلَكَةُ تَخْصِبُ بِٱلسَّخَاءِ ، وَتَعْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ، وَتَثْبُتُ بِٱلْعَقْلِ ، وَتُحْرَسُ بِٱلشَّجَاعَةِ ، وَتُسَاسُ بِٱلرِّئَاسَةِ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ :

وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ مِنْ كُلٍّ قَبِيحٌ   وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلنَّبِيهِ

وَقَالَ ٱلْمُتَنَبِّي :

وَٱلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ

ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

أَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلِاعْتِدَالِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ لِلْإِسْكَنْدَرِ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَلَيْكَ بِٱلِاعْتِدَالِ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ ، فَإِنَّ ٱلزِّيَادَةَ عَيْبٌ وَٱلنُّقْصَانُ عَجْزٌ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ : إِنَّ ٱلْعَدْلَ مَأْخُوذٌ مِنَ ٱلِاعْتِدَالِ . فَمَا جَاوَزَ ٱلِاعْتِدَالَ فَهُوَ خُرُوجٌ عَنِ ٱلْعَدْلِ . وَلَسْتَ تَجِدُ فَسَاداً إِلَّا وَسَبَبُهُ ٱلْخُرُوجُ فِيهِ مِنْ حَالِ ٱلْعَدْلِ إِلَى مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ مِنْ حَالَتَيِ ٱلزِّيَادَةِ وَٱلنُّقْصَانِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : خَيْرُ ٱلْأُمُورِ ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ ٱلْعَالِي وَبِهِ يَلْحَقُ ٱلتَّالِي . وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : خَيْرُ ٱلْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاءِ : أَحْسَنُ ٱلْأَحْوَالِ حَالٌ يُغَبِّطُكَ بِهَا مَنْ دُونَكَ وَلَا يُحَقِّرُكَ مَعَهَا مَنْ فَوْقَكَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : مَا جَاوَزَ ٱلْحَدَّ لَا يُسَمَّى فَضِيلَةً . كَٱلشُّجَاعِ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ ٱلشَّجَاعَةِ نُسِبَ إِلَى ٱلتَّهَوُّرِ [1] . وَٱلسَّخِيِّ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ ٱلسَّخَاءِ نُسِبَ إِلَى ٱلتَّبْذِيرِ

---

(١) التهور الوقوع في الامر بقلة مبالاة والوقوع في هلكة

وَقَالَ حَكِيمٌ : إِيَّاكَ وَمُفَارَقَةَ ٱلِاعْتِدَالِ . فَإِنَّ ٱلْمُسْرِفَ مِثْلُ ٱلْمُقَصِّرِ فِي ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْحَدِّ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ ٱلْأُمُورِ فَإِنَّهَا   نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذَلُولًا[1] وَلَا صَعْبَا

وَقَالَ ٱلْجَرِيمِيُّ :

وَخَيْرُ حَالِ ٱلْفَتَى فِي ٱلْقَوْلِ أَقْصَدُهَا[2]

بَيْنَ ٱلسَّبِيلَيْنِ لَا عَيٌّ وَلَا هَذَرُ

أَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلتَّأَنِّي وَٱلْعَجَلَةِ وَٱلرِّفْقِ وَٱلْعُنْفِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : مَعَ ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ وَمَعَ ٱلتَّأَنِّي ٱلسَّلَامَةُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ مَكْرُوهٌ : ٱللَّجَاجُ[3] وَٱلْعَجَلَةُ وَٱلتَّوَانِي وَٱلْعُجْبُ . فَثَمَرَةُ ٱللَّجَاجِ ٱلْحَيْرَةُ . وَثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ . وَثَمَرَةُ ٱلتَّوَانِي ٱلذِّلَّةُ . وَثَمَرَةُ ٱلْعُجْبِ ٱلْبِغْضَةُ

(١) البعير الذلول ضد الصعب (٢) اعدلها والعدل التوسط (٣) التمادي في العناد الى الفعل المزجور عنه

وَقَالَ بَعْضُ ٱلعُقَلَاء : إِذَا لَمْ يُدْرِكِ ٱلظَّفَرُ بِٱلرِّفْقِ وَٱلتَّأَنِي فَبِمَاذَا يُدْرَكُ

وَقَالَ أَفلاطُونُ ٱلحَكِيمُ : لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ ٱلعَمَلِ وَٱطْلُبْ تَجْوِيدَهُ . فَإِنَّ ٱلنَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمْ فَرَغَ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى إِتْقَانِهِ وَجُودَتِهِ

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْراً بِٱلغَلَبَةِ [1] وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِٱلحُجَّةِ ، وَلِمَنْ يَطْلُبُهُ بِخُرْقٍ [2] وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِرِفْقٍ :
وَقِيلَ : مَنْ أَسْرَعَ فِي ٱلجَوَابِ حَادَ عَنِ ٱلصَّوَابِ

وَقَالَ بَهْرَامَ جُورُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَن لَا يُضِيعَ ٱلتَّثَبُّتَ [3] عِنْدَمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ . فَإِنَّ ٱلرُّجُوعَ عَنِ ٱلصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلكَلَامِ . وَٱلعَطِيَّةَ بَعْدَ ٱلمَنْعِ خَيْرٌ مِنَ ٱلمَنْعِ بَعْدَ ٱلعَطِيَّةِ ، وَٱلإِقْدَامَ عَلَى ٱلعَمَلِ بَعْدَ ٱلتَّأَنِي خَيْرٌ مِنَ ٱلإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ ٱلإِقْدَامِ عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلعُقَلَاء : إِيَّاكَ وَٱلعَجَلَةَ فَإِنَّهَا تُكَنَّى أُمَّ ٱلنَّدَامَةِ . لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ ، وَيُجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ ، وَيَعْزِمُ قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ ، وَيَقْطَعُ قَبْلَ أَنْ يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَ ، وَيَذُمُّ قَبْلَ أَنْ يَخْبُرَ . وَلَنْ تَصْحَبَ هٰذِهِ ٱلصِّفَةُ أَحَداً إِلَّا صَحِبَ ٱلنَّدَامَةَ وَجَانَبَ ٱلسَّلَامَةَ

(١) الغلبة القهر (٢) الخرق ضد الرفق (٣) التأني

وَقَالَ ٱلْمُهَلَّبُ : أَنَاةٌ [1] فِي عَوَاقِبِهَا دَرَكٌ [2] خَيْرٌ مِنْ عَجَلَةٍ فِي عَوَاقِبِهَا فَوْتٌ [3] . وَقِيلَ : ٱلرِّفْقُ مِفْتَاحُ ٱلرِّزْقِ . وَكُتِبَ عَلَى سَيْفٍ : ٱلتَّأَنِّي فِي مَا لَا يُخَافُ فِيهِ ٱلْفَوْتُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْعَجَلَةِ إِلَى إِدْرَاكِ ٱلْأَمَلِ

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلتَّنَزُّهِ عَنِ ٱسْتِمَاعِ ٱلْكَلَامِ ٱلْقَبِيحِ وَٱلْقَوْلِ بِهِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ : نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنِ ٱسْتِمَاعِ ٱلْخَنَى [4] كَمَا تُنَزِّهُ لِسَانَكَ عَنِ ٱلْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ ٱلسَّامِعَ شَرِيكُ ٱلْقَائِلِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ يَصِفُ رَجُلًا مُتَرَفِّعًا عَنِ ٱلْبَذَاءَةِ :

عَيِيٌّ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ [5] أَمَّا لِسَانُهُ فَعَفٌّ وَأَمَّا طَرْفُهُ فَكَلِيلُ

وَقَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلرَّضِيُّ :

إِذَا ٱلْعَدُوُّ عَصَانِي خَافَ حَدَّ يَدِي
وَعِرْضُهُ آمِنٌ مِنْ هَاجِرَاتِ [6] فَمِي
جَعَلْتُ سَمْعِي عَلَى قَوْلِ ٱلْخَنَى حَرَمًا فَأَيُّ فَاحِشَةٍ تَدْنُو إِلَى حَرَمِي

---

(١) الاناة الرفق (٢) الدرك اللحاق والبلوغ والادراك (٣) الفوت ذهاب الامر وعدم ادراكه وهو ضد الدرك (٤) الخنى الفحش في الكلام (٥) القبح والاعتداء في القول (٦) الهاجرات الفضائح وكلمات فيها فحش

وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ :

أُحِبُّ ٱلْفَتَى يَنْفِي ٱلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ   كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا [١]

سَلِيمَ دَوَاعِي ٱلصَّدْرِ [٢] لَا بَاسِطاً أَذًى

وَلَا مَانِعاً خَيْراً وَلَا قَائِلاً هُجْرَا [٣]

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ   فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

وَقَالَ حَاتِمٌ ٱلطَّائِيُّ :

وَكَلِمَةِ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ [٤]   سَمِعْتُ فَقُلْتُ مُرِّي فَٱنْفُذِينِي [٥]

وَعَابُوهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَعِبْنِي   وَلَمْ يَعْرَقْ لَهَا يَوْماً جَبِينِي

وَقِيلَ لِبُزُرْجُمْهَرَ : مَنْ أَعْقَلُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : مَن لَمْ يَجْعَلْ سَمْعَهُ غَرَضاً لِسَمَاعِ ٱلْفَحْشَاءِ وَكَانَ ٱلْغَالِبَ عَلَيْهِ ٱلتَّغَافُلُ

أَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلْكَلَامِ وَٱلصَّمْتِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱلْزَمِ ٱلصَّمْتَ إِلَّا عَنْ حَقٍّ تُوضِحُهُ أَوْ بَاطِلٍ تَدْحَضُهُ [٦] أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا ، أَوْ نِعْمَةٍ تَذْكُرُهَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : ٱحْبِسْ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ

---

(١) من وقرت اذنه اذا ثقلت او ذهب سمعه كله (٢) دواعي الصدر همومه (٣) الهجر القبيح من الكلام (٤) الجرم الذنب (٥) من نفذه اذا جاز عنه (٦) تبطله

أَوْ يُتْلِفَ نَفْسَكَ . فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يَقْصُرُ عَنِ ٱلصَّوَابِ وَيُسْرِعُ إِلَى ٱلْجَوَابِ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ : ٱلسُّكُوتُ عَمَّا يَعْنِيكَ خَيْرٌ مِنَ ٱلْكَلَامِ فِي مَا يَضُرُّكَ ، وَٱلسُّكُوتُ عَمَّا لَا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ ٱلْكَلَامِ فِي مَا لَا يَعْنِيكَ

وَقَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ :

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا ... كَلَامُكَ حَيٌّ وَٱلسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ ... فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ ٱلسَّدِيدِ سَدَادُ

وَقَالَ بَطْلِيمُوسُ : ٱفْرَحْ بِمَا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ مِنَ ٱلْخَطَإِ أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِكَ بِمَا نَطَقْتَ بِهِ مِنَ ٱلصَّوَابِ

وَقَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلدُّؤَلِيُّ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ مَنْ هُمْ فَوْقَكَ فَيَسْتَثْقِلُوكَ ، وَلَا بِكَلَامِ مَنْ هُمْ دُونَكَ فَيَزْدَرُوكَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاءِ : أَشَدُّ ٱلنَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَنَاءً مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ وَقَلْبٌ مُطْبَقٌ (1) . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَعَنِ ٱلْحَدِيثِ : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَّ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ

(1) مغطى

وَقَالَ آخَرُ : رُبَّ أَلْسِنَةٍ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا .

وَقَالَ أَحدُ الْحُكَماء : مَنْ أُعْجِبَ بِقَوْلِهِ كَثُرَ زَلَلُهُ وَقَلَّ سَامِعُوهُ . وَلَيْسَ لِكَثْرَةِ الْهَذَرِ نَفعٌ يُوازِي [١] ضَرَّهُ .

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : لَأَنْ أَرَى لِعقْلِ الرَّجُلِ فَضْلًا عَلى لِسَانِهِ أَحبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى لِلِسَانِهِ فَضْلًا عَلى عقْلِهِ

وَقَالَ آخرُ : الْكَلَامُ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّمْتِ ، وَالصَّمْتُ فِي الشَّرِّ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلامِ

وَاجْتَمعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا : يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلٌّ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنهُ عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ [٢] . قَالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنَا عَلى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كانَتْ لَهُ لَمْ تَنفَعْهُ ، وَإِنْ كانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ [٣] . وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ، وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتُهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلى مَالَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيراً

(١) يقابل (٢) اي على الباقي منه (٣) اهلكته

أَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي كِتْمَانِ ٱلسِّرِّ

قَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ : ٱلصُّدُورُ خَزَائِنُ ٱلْأَسْرَارِ وَٱلشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا وَٱلْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا . فَلْيَحْفَظْ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : مِنْ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ أَنَّ ٱلْأَمْوَالَ كُلَّمَا كَثُرَتْ خُزَّانُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا . وَأَمَّا ٱلْأَسْرَارُ فَإِنَّهَا كُلَّمَا كَثُرَتْ خُزَّانُهَا كَانَ أَضْيَعَ لَهَا

وَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ : ٱلظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ وَٱلسَّلَامَةُ مِنَ ٱلسَّطَوَاتِ . وَقِيلَ : أَضْعَفُ ٱلنَّاسِ مَنْ ضَعُفَ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ ، وَأَقْوَاهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى غَضَبِهِ ، وَأَصْبَرُهُمْ مَنْ سَتَرَ فَاقَتَهُ ، وَأَغْنَاهُمْ مَنْ قَنِعَ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : ٱلْحَازِمُ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ عَنْ صَدِيقِهِ مَخَافَةَ أَنْ تَنْتَقِلَ صَدَاقَتُهُ فَيُذِيعَ سِرَّهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ كُنْ جَوَّاداً بِٱلْمَالِ فِي مَوْضِعِ ٱلْحَقِّ ، ضَنِيناً بِٱلْأَسْرَارِ عَلَى جَمِيعِ ٱلْخَلْقِ . فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ ٱلْمَرْءِ ٱلْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ ٱلْبِرِّ وَٱلْبُخْلُ بِمَكْتُومِ ٱلسِّرِّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : ثَلاثَةٌ مِنْ عَلامَاتِ ٱللُّؤْمِ : إِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ وَغِيبَةُ ٱلْأَحْرَارِ ، وَإِسَاءَةُ ٱلْجِوَارِ

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى أَحَدٍ قَطُّ فَأَفْشَاهُ فَلُمْتُهُ إِذْ كَانَ صَدْرِي بِهِ أَضْيَقَ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا مَاضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ ... وَأَفْشَتْهُ ٱلرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

فَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي ... وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا ٱلْمَلُومُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاءِ : إِظْهَارُ ٱلرَّجُلِ سِرَّ غَيْرِهِ أَقْبَحُ مِنْ إِظْهَارِ سِرِّ نَفْسِهِ . لِأَنَّهُ يَبُوءُ [١] بِإِحْدَى وَصْمَتَيْنِ [٢] : ٱلْخِيَانَةِ إِنْ كَانَ مُؤْتَمَناً . وَٱلنَّمِيمَةِ إِنْ كَانَ مُسْتَوْدَعاً

أَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلْمَشُورَةِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ ٱلْعُقَلَاءِ ، وَيَجْمَعَ إِلَى عَقْلِهِ عُقُولَ ٱلْحُكَمَاءِ . فَإِنَّ ٱلرَّأْيَ ٱلْفَذَّ رُبَّمَا زَلَّ ، وَإِنَّ ٱلْعَقْلَ ٱلْفَرْدَ رُبَّمَا ضَلَّ

(١) يقر (٢) الوصمة العيب

وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أُخْطِئَ وَقَدِ ٱسْتَشَرْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدِ ٱسْتَبْدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ فَقَدْ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : ٱلْخَطَأُ مَعَ ٱلِاسْتِرْشَادِ أَحْمَدُ مِنَ ٱلصَّوَابِ مَعَ ٱلِاسْتِبْدَادِ

وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : ٱلْمُشَاوِرُ بَيْنَ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ : إِمَّا صَوَابٍ فَيَفُوزَ بِثَمَرَتِهِ أَوْ خَطَإٍ فَيُشَارِكَ فِي مَكْرُوهِهِ

وَسُئِلَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَيُّ ٱلْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيداً لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَاراً بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيداً لَهُ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَتَجْرِبَةُ ٱلْأُمُورِ ، وَحُسْنُ ٱلتَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَاراً بِهِ ثَلَاثَةٌ : ٱلِاسْتِبْدَادُ ، وَٱلتَّهَاوُنُ ، وَٱلْعَجَلَةُ

أَوْصَى رَجُلٌ ٱبْنَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَدَارَ بَيْنَهُمْ تَدْبِيرٌ فَلَا تُعَجِّلْ بِٱلْجَوَابِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَهُمْ وَلَا تَتَكَبَّرْ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ إِذَا ظَهَرَ لَكَ ٱلْحَقُّ . فَإِنَّ ٱلْمُتَابَعَةَ عَلَى ٱلصَّوَابِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلِابْتِدَاءِ بِٱلْخَطَإِ . وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ إِصَابَتَكَ ٱلرَّأْيَ بَعْدَ خَطَإِ ٱلْقَوْمِ أَحْمَدُ لَكَ مِنْ إِصَابَتِكَ قَبْلَ كَلَامِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ فَضْلُ رَأْيِكَ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِمَا عِنْدَهُمْ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَسْتَبِينُ ٱلْقَوْلُ ٱلسَّدِيدُ مِنَ ٱلسَّفِيهِ ، وَٱلرَّأْيُ ٱلرَّشِيدُ مِنَ ٱلْكَرِيهِ . وَمَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآرَاءِ عَلِمَ مَوَاضِعَ ٱلْخَطَإِ

أَلفَصلُ ٱلثَّلاثُونَ

فِي ٱلِانتِصَاحِ وَٱلِاتِّعَاظِ

قَالَتِ ٱلحُكَمَاءُ : ٱلنَّصِيحَةُ مُرَّةٌ لَا يَقبَلُهَا إِلَّا أُولُو ٱلعَزمِ

وَقَالَ بَعضُ ٱلعُقَلَاءِ : مَنْ أَوجَرَكَ (١) ٱلمُرَّ لِتَبرَأَ أَشفَقُ عَلَيكَ مِمَّنْ أَوجَرَكَ ٱلحُلوَ لِتَسقَمَ

وَقَالَ أَحدُ ٱلفُضَلَاءِ : مَنْ لَمْ يَقبَلْ نَصِيحَةَ أَصحَابِهِ عَادَ ضَرَرُهُ عَلَيهِ . كَٱلمَرِيضِ ٱلَّذِي يَترُكُ مَا يَصِفُ لَهُ ٱلطَّبِيبُ وَيَعمِدُ (٢) لِمَا يَشتَهِيهِ فَيَهلِكُ

وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

لَا تَحقِرَنَّ ٱلرَّأْيَ وَهوَ مُوَافِقٌ حُكمَ ٱلصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصِ
فَٱلدُّرُّ وَهوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقتَنَى مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ ٱلغَائِصِ

وَقَالَ بَعضُ ٱلأُدَبَاءِ : مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ وَمَنْ أَبغَضَكَ أَغرَاكَ

وَقَالَ لُقمَانُ : ٱلمَوعِظَةُ تَشُقُّ عَلَى ٱلسَّفِيهِ كَمَا يَشُقُّ صُعُودُ ٱلوَعرِ (٣) عَلَى ٱلشَّيخِ ٱلكَبِيرِ . وَقَالَ بْنُ شُبرُمَةَ : إِذَا كَانَ ٱلبَدَنُ سَقِيماً لَمْ يَنفَعْهُ ٱلطَّعَامُ وَلَا ٱلشَّرَابُ . وَإِذَا كَانَ ٱلقَلبُ مُغرَماً بِحُبِّ ٱلدُّنيَا لَمْ تَنجَعْ فِيهِ ٱلمَوعِظَةُ

---

(١) من اوجره الدواء اذا صبه في فمه (٢) يقصد (٣) الوعر ضد السهل

شَاوَرَ ٱلْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ فَكَانَ ٱلرَّأْيُ مُخَالِفاً لِهَوَى ٱلْمَأْمُونِ. فَقَالَ يَحْيَى: مَا أَحَدٌ بَالَغَ فِي نَصِيحَةِ ٱلْمُلُوكِ إِلَّا ٱسْتَغَشُّوهُ. قَالَ: وَلِمَ يَا يَحْيَى. قَالَ: لِصَرْفِهِ لَهُمْ عَمَّا يُحِبُّونَ إِلَى مَا لَعَلَّهُمْ يَكْرَهُونَ فِي ٱلْوَقْتِ. وَٱلْهَوَى إِلٰهٌ مَعْبُودٌ

أَلْفَصْلُ ٱلْحَادِيَ وَٱلثَّلَاثُونَ

فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلتَّأَسِّي فِي ٱلشِّدَّةِ

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: أَفْضَلُ ٱلْعُدَّةِ ٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلشِّدَّةِ. وَقَالَ ٱبْنُ مُبَارَكٍ: ٱلْمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ فَإِذَا جَزِعَ صَاحِبُهَا فَهُمَا ٱثْنَتَانِ. لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا ٱلْمُصِيبَةُ بِعَيْنِهَا، وَٱلثَّانِيَةَ ذَهَابُ أَجْرِهِ وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلْمُصِيبَةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

عَلَيْكَ بِٱلصَّبْرِ فِي مَا قَدْ مُنِيتَ (١) بِهِ
فَٱلصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ (٢)
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي ٱلدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ
قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ ٱلْفَرَجِ

(١) ابتليت (٢) ضيق

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لَأُغْضِي مُقْلَتَيَّ عَلى الْقَذَى
وَأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجَا (١)
وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ
عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا (٢)
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ
أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللهِ مَخْرَجَا

وَقَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى
ذَرْعاً وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ (٣) حَلَقَاتُهَا (٤)
فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا نَالَكَ الدَّهْرُ بِالْحَادِثَاتِ فَكُنْ رَابِطَ الْجَأْشِ صَعْبَ الشَّكِيمَةْ
وَلَا تُهِنِ النَّفْسَ عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ لِلنَّفْسِ قِيمَةْ
فَوَاللهِ مَا لَقِيَ الشَّامِتُونَ بِأَحْسَنَ مِنْ صَبْرِ نَفْسٍ كَرِيمَةْ

---

(١) مشرقاً مضيئاً (٢) يتكشف (٣) تمكنت (٤) دوائرها

الباب الثالث

في الحكم والمواعظ والنصائح

قَالَ ٱلرَّشِيدُ لِمَنصُورِ بْنِ عَمَّارٍ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَلْ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ. قَالَ: لَا. قَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا تَسِيءَ إِلى مَنْ تُحِبُّ فَافْعَلْ

أَلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا مِمَّنْ سَمِعَهَا وَلَا يُبَالِي مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ .. لَا يَطْلُبُ ٱلرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ

مَنْ بَلَغَ أَشُدَّهُ [1] لَاقَى مِنَ ٱلْعَيْشِ أَشَدَّهُ

خِيَارُ [2] شُبَّانِكُمْ ٱلْمُتَشَبِّهُونَ بِشُيُوخِكُمْ. وَشِرَارُ شُيُوخِكُمْ ٱلْمُتَشَبِّهُونَ بِشُبَّانِكُمْ

أَفْضَلُ ٱلْبِرِّ ٱلرَّحْمَةُ. وَرَأْسُ ٱلْمَوَدَّةِ ٱلِاسْتِرْسَالُ [3]. وَرَأْسُ ٱلْعُقُوقِ مُكَاتَمَةُ ٱلْأَدْنِينَ [4]. وَرَأْسُ ٱلْعَقْلِ ٱلْإِصَابَةُ بِٱلظَّنِّ

عَلَيْكُمْ بِثَلَاثٍ: جَالِسُوا ٱلْكُبَرَاءَ، وَخَالِطُوا ٱلْحُكَمَاءَ، وَسَائِلُوا ٱلْعُلَمَاءَ ... مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ

---

(١) يقال بلغ فلان اشده اي قوته وهو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين سنة
(٢) افضل (٣) الانبساط والاستئناس (٤) الادنون اقرب العشيرة نسباً

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَنْ أَبْعَدُ ٱلنَّاسِ سَفَراً . قَالَ : مَنْ كَانَ سَفَرُهُ فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلأَخِ ٱلصَّالِحِ

لَيْسَ فِي ٱلْحُظُوظِ تَقْدِيرٌ لِحَقٍّ وَلَا تَمْيِيزٌ لِمُسْتَحِقٍّ . وَإِنَّمَا هِيَ كَٱلسَّحَابِ ٱلَّذِي يُمْسِكُ عَنْ مَنَابِتِ ٱلْأَشْجَارِ إِلَى مَغَايِضِ (١) ٱلْبِحَارِ وَيَتْرُكُ حَيْثُ صَادَفَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ . فَإِنْ صَادَفَ أَرْضاً طَيِّبَةً نَفَعَ ، وَإِنْ صَادَفَ أَرْضاً خَبِيثَةً ضَرَّ . وَكَذٰلِكَ ٱلْحَظُّ ، إِنْ صَادَفَ نَفْساً شَرِيفَةً نَفَعَ وَكَانَ نِعْمَةً عَامَّةً ، وَإِنْ صَادَفَ نَفْساً دَنِيئَةً ضَرَّ وَكَانَ نَقْمَةً طَامَّةً (٢)

لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ حَوْلَهُ . فَقَالَ : جَادَ عَلَيْكُمْ هِشَامٌ بِٱلدُّنْيَا وَجُدْتُمْ عَلَيْهِ بِٱلْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ جَمِيعَ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبِ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ ٱللّٰهُ لَهُ

أَكْرَمُ ٱلشِّيَمِ أَرْعَاهَا لِلذِّمَمِ

إِذَا سَكَنَ ٱلْخَوْفُ فِي ٱلْقَلْبِ لَا يَنْطَلِقُ ٱللِّسَانُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ

جُبِلَتِ ٱلْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا . . . إِذَا نَزَلَ ٱلْقَضَاءُ كَانَ ٱلْعَطَبُ فِي ٱلْحِيلَةِ

---

(١) المغايض جمع مغيض وهو من الماء مدخله في الارض ومجتمعه (٢) غامرة وغالبة ما سواها

كانَ مُعاوِيَةُ يَقُولُ: مَعرُوفُ زَمانِنا مُنكَرُ(١) زَمانٍ قَدْ مَضَى. وَمُنكَرُهُ مَعرُوفُ زَمانٍ لَمْ يَأْتِ

مَنْ تَصَوَّرَ عُقْبَى أَمانَتِهِ وَجَدْوَى(٢) ثِقَتِهِ عَلِمَ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَرْبَحِ بَضائِعِ جاهِهِ وَأَقْوَى شُفَعاءِ تَقَدُّمِهِ، مَعْ مايَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلعِزِّ وَيُقابَلُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلإِعْظامِ

وَقالَ ٱبْنُ ٱلمُقَفَّعِ: ٱلِاسْتِطالَةُ(٣) لِسانُ ٱلجَهالَةِ. وَكَفُّ ٱلنَّفْسِ عَنْها بِما يَصُدُّها مِنَ ٱلزَّواجِرِ(٤) أَسْلَمُ. وَهُوَ بِذِي ٱلمُرُوءَةِ أَجْمَلُ

مَنْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ تَقْوَى ٱللهِ تَعالَى فِي أَوامِرِهِ. وَٱتَّقاهُ فِي زَواجِرِهِ، وَأَلْزَمَها ما أَلْزَمَ مِنْ طاعَتِهِ. وَحَذَّرَها ما حَذَّرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَعْلَمَها أَنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرٌ، وَأَنَّهُ يُجازِي ٱلمُحْسِنَ وَيُكافِئُ ٱلمُسِيءَ، ٱنْقادَتْ إِلَى ٱلكَفِّ عَنِ ٱلمَآثِمِ وَٱلصَّدِّ عَنِ ٱلمَحارِمِ

أَلنَّاسُ لا يُقْنِعُهُمُ ٱلقَوْلُ دُونَ ٱلفِعْلِ. وَيَرَوْنَهُ كَٱلصَّدَى إِنْ رَدَّ صَوْتاً لَمْ يُجْدِ نَفْعاً

لِكُلِّ حِينٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلعُمْرِ خُلُقٌ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقاتِ ٱلدَّهْرِ عَمَلٌ. فَإِنْ تَخَلَّقْتَ فِي كِبَرِكَ بِأَخْلاقِ ٱلصِّغَرِ

---

(١) المنكر ضد المعروف (٢) نفع (٣) التطاول (٤) الروادع والموانع

وَتَعَاطَيْتَ أَفعَالَ ٱلفَكاهَةِ وَٱلبَطَرِ ٱستَصْغَرَكَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ وَحقَّرَكَ مَنْ هُوَ أَحقَرُ

كُنْ أَيُّهَا ٱلعَاقِلُ مُقْبِلًا (١) عَلى شَأْنِكَ ، رَاضِياً عَنْ زَمَانِكَ ، سِلْماً لِأَهلِ دَهرِكَ ، جَارِياً عَلى عَادَةِ عَصْرِكَ ، مُنقَاداً لِمَنْ قَدَّمَهُ ٱلنَّاسُ عَلَيْكَ ، مُتَجَنِّباً عَلى مَنْ قَدَّمَكَ ٱلنَّاسُ عَلَيْهِ . وَلَا تُبَايِنْهُمْ بِٱلعُزْلَةِ عَنْهُمْ فَيمقُتُوكَ ، وَلَا تُجَاهِرْهُمْ بِٱلمُخَالَفَةِ لَهُمْ فَيُعَادُوكَ . فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِمَمْقُوتٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِمُعَادًى

إِجعَلْ نُصْحَ نَفْسِكَ غَنِيمَةَ عَقْلِكَ . وَلَا تُدَاهِنْهَا بِإِخفَاءِ عَيْبِكَ وَإِظْهَارِ عُذْرِكَ . فَإِنَّ ذٰلِك يُغْرِيهَا وَيَحْمِلُهَا عَلى أَنْ تَرْكَبَ هَوَاهَا وَتَتَمَادَى فِي غَيِّهَا حَتَّى تَتَوَرَّطَ وَتُوقِعَكَ فِي شَرِّ ٱلْمَهَالِكِ

أَصلِحْ نَفْسَكَ لِنَفسِكَ يَكُنِ ٱلنَّاسُ تَبَعاً لكَ . فَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنفَ أَعَادِيهِ . وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ بَلَغَ كُنْهَ (٢) أَمَانِيهِ . . . مَنْ عَرَفَ مَعَابَهُ (٣) فَلا يَلُمْ مَنْ عَابَهُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَمَصْرُوفَةٌ عَيْنَاهُ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ
وَلَوْ بَانَ عَيْبٌ مِنْ أَخِيهِ لَأَبْصَرَا

(١) اقبل على الامر لزمه واخذ فيه (٢) غاية (٣) نقصه

وَلَوْ كانَ ذَا ٱلإِنْسَانُ يُنْصِفُ نَفْسَهُ
لَأَمْسَكَ عَنْ عَيْبِ ٱلصَّدِيقِ وَقَصَّرَا

لَا تُضَيِّعْ صِحَّةَ جِسْمِكَ وَفَرَاغَ وَقْتِكَ بِٱلتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَٱلثِّقَةِ بِسَالِفِ عَمَلِكَ

مَنْ كانَ صَحِيحَ ٱلرَّغْبَةِ فِي ثَوَابِ ٱللهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسَرَّةٌ إلَّا فِي طَاعَتِهِ

إنَّ ٱلدُّنْيَا إذَا وَصَلَتْ [1] فَتَبِعَاتٌ مُوبِقَةٌ . وَإذَا فَارَقَتْ فَفَجَعَاتٌ مُحْرِقَةٌ . وَلَيْسَ لِوَصْلِهَا دَوَامٌ وَلَا مِنْ فِرَاقِهَا بُدٌّ ، فَرُضْ نَفْسَكَ عَلى قَطِيعَتِهَا لِتَسْلَمَ مِنْ تَبِعَاتِهَا ، وَعَلى فِرَاقِهَا لِتَأْمَنَ فَجَعَاتِهَا

مَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ ٱلحَقَّ وَلَا يُطِيعُهُ

إرْضَاءُ ٱلجُمْهُورِ مِنَ ٱلمُعْجِزِ ٱلَّذِي لَا يُدْرَكُ . . إنْتَهِزِ ٱلفُرَصَ عِنْدَ إمْكانِهَا وَلَا تُحَمِّلْ نَفْسَكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ

مَا نَقَصَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إلَّا بِبَضْعَةٍ [2] مِنْ نَفْسِكَ

فِرَّ مِنَ ٱلشَّرَفِ يَتْبَعْكَ ٱلشَّرَفُ . . لَا تَخْتَرْ لِلْمَنْصِبِ إلَّا زَاهِداً فِيهِ غَيْرَ طَالِبٍ لَهُ

إذَا فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ لَا يَضُرُّكُمْ ضَلالُ مَنْ ضَلَّ

(١) ضد هجرت وفارقت (٢) البضعة القطعة

قَالَ أَفلاطُونُ : عُقُولُ ٱلنَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي أَطْرَافِ أَقلامِهِمْ ، وَظَاهِرَةٌ فِي حُسْنِ ٱخْتِيَارِهِمْ

أَلْعَاقِلُ بِخُشُونَةِ ٱلْعَيْشِ مَعَ ٱلْعُقَلَاءِ أَسَرُّ مِنْهُ بِلِينِ ٱلْعَيْشِ مَعَ ٱلسُّفَهَاءِ . . أَكْبَرُ ٱلْأَدْوَاءِ لِلْبَدَنِ ٱلتَّلَهُّفُ عَلى مَا لَا يُدْرَكُ

مَا تَزَاحَمَتِ ٱلظُّنُونُ على أَمْرٍ إِلَّا كَشَفَتْهُ

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَسَأْتَ ٱلظَّنَّ . قَالَ : إِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمَّا ٱمْتَلَأَتْ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ وَجَبَ عَلى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يَمْلَأَهَا مِنَ ٱلْحَذَرِ

أَلْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ

ثَلاثَةٌ لَا يُصْلَحُ فَسَادُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحِيَلِ : ٱلْعَدَاوَةُ بَيْنَ ٱلْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُدُ ٱلْأَكْفَاءِ ، وَٱلرَّكَاكَةُ [1] فِي ٱلْمُلُوكِ

أَلْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَٱلْعُقُولُ مَعَادِنُ . فَمَا فِي ٱلْوِعَاءِ يَنْفَدُ إِذَا لَمْ يُمِدَّهُ ٱلْمَعْدِنُ . . إِنَّ ٱتِّقَاءَ ٱلشَّرِّ مِنْ ضُرُوبِ ٱلْخَيْرِ

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ : مَنْ خَافَ ٱللهَ أَخَافَ ٱللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ

مَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ ٱللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَصْلَحَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَمَنْ أَخْلَصَ سَرِيرَتَهُ أَخْلَصَ ٱللهُ عَلانِيَتَهُ

أَدْوِيَةُ ٱلدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُمُومِهَا وَنَسِيمُهَا لَا يَفِي بِسُمُومِهَا [2]

(١) الركاكة الضعف في العقل والرأي والعمل (٢) السموم الريح الحارة

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَنْتَ مُزْرٍ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ

أَفْضَلُ مَا ٱدَّخَرْتَ ٱلتَّقْوَى ، وَأَجْمَلُ مَا لَبِسْتَ ٱلْوَرَعُ ، وَأَحْسَنُ مَا أُكْسِيتَ ٱلْحَسَنَاتُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَعِلاجُ ٱلْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْباً حِينَ تَعْتَلُّ مِنْ عِلاجِ ٱلْعُقُولِ

وَقَالَ آخَرُ :

لَيسَ ٱلشُّجَاعُ ٱلَّذِي يَحْمِي فَرِيسَتَهُ عِنْدَ ٱلْقِتَالِ وَنَارُ ٱلْحَرْبِ تَشْتَعِلُ

لٰكِنَّ مَنْ كَفَّ طَرْفاً أَوْ ثَنَى قَدَماً عَنِ ٱلْحَرَامِ فَذَاكَ ٱلْفَارِسُ ٱلْبَطَلُ

وَقَالَ آخَرُ :

لَيسَ ٱلْبَلِيَّةُ فِي أَيَّامِنَا عَجَباً بَلِ ٱلسَّلامَةُ فِيهَا أَعْجَبُ ٱلْعَجَبِ

مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ

وَقَالَ لُقْمَانُ : لَا تَمْتَطِ ٱلْأَمَلَ وَٱلرَّجَاءَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ ، فَإِنَّهُمَا يَسُوقَانِ ٱلرَّجُلَ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَمْرِ إِلَى ٱلْمَكْرُوهِ بِسُهُولَةٍ

رُبَّمَا كَانَ حَتْفُ ٱمْرِئٍ فِي مَا تَمَنَّى

لَمَّا حَضَرَتْ يُونَانَ ٱلْوَفَاةُ أَوْصَى ٱبْنَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ وَافَيْتُ ٱلْأَجَلَ وَقَرُبْتُ مِنَ ٱلْحَتْمِ [1] وَإِنِّي رَاحِلٌ عَنْكَ وَمُفَارِقُكَ

(١) الحتم القضاء

وَمُفَارِقٌ أَهْلَ بَيْتِكَ وَإِخْوَتِكَ . وَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُكُمْ حَسَنَةَ النِّظَامِ . وَكُنْتُ لَكُمْ كَهْفاً فِي ٱلشَّدَائِدِ وَعَوْناً عَلَى ٱلْمِحَنِ وَمِجَنّاً[1] فِي ٱلرَّزَايَا . فَعَلَيْكَ بِٱلْجُودِ فَإِنَّهُ قُطْبُ[2] ٱلْمُلْكِ وَمِفْتَاحُ ٱلسِّيَاسَةِ وَبَابُ ٱلرِّئَاسَةِ وَدَرَجُ ٱلسِّيَادَةِ . وَكُنْ حَرِيصاً عَلَى ٱقْتِنَاءِ ٱلرِّجَالِ بِٱلْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ تَكُنْ سَيِّداً رَشِيداً . وَإِيَّاكَ وَٱلْحَيْدَةَ عَنِ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلْمُثْلَى ٱلَّتِي عَلَيْهَا مَبْنَى ٱلْعَقْلِ . فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ رَأْيَ ٱللُّبِّ وَثَمَرَةَ ٱلْعَقْلِ تَوَرَّطَ فِي ٱلْمَهَالِكِ وَوَقَعَ فِي ٱلْمَتَاعِبِ

قَالَ عَلِيٌّ : إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ ٱلْإِنْسَانِ ٱنْقَطَعَ إِلَى ٱلرَّأْيِ . وَإِذَا ضَعُفَتِ ٱنْقَطَعَ إِلَى ٱلْبَخْتِ

وَمِنْ وَصِيَّةِ بَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱطْلُبْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْعِلْمَ وَٱلْمَالَ تَحُزِ ٱلرِّئَاسَةَ عَلَى ٱلنَّاسِ . لِأَنَّهُمْ بَيْنَ خَاصٍّ وَعَامٍّ . فَٱلْخَاصَّةُ تُفَضِّلُكَ بِٱلْعِلْمِ ، وَٱلْعَامَّةُ تُفَضِّلُكَ بِٱلْمَالِ . وَٱلْتَمِسِ ٱلرِّفْعَةَ بِٱلتَّوَاضُعِ ، وَٱلشَّرَفَ بِالدِّينِ . وَأَصْلِحْ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ مَا يَسْتَقْبِلُكَ فَسَادُهُ إِنْ لَمْ تُصْلِحْهُ . وَصُنْ عَقْلَكَ بِٱلْحِلْمِ ، وَمُرُوءَتَكَ بِٱلْعَفَافِ ، وَعِلْمَكَ بِمُجَانَبَةِ ٱلْخُيَلَاءِ ، وَخَلَّتَكَ بِٱلْإِجْمَالِ فِي ٱلطَّلَبِ . وَإِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَحَدٍ شَرٌّ فَلَا تَعْقِدِ ٱلشَّرَّ بِقَلْبِكَ وَلَا تَطْوِ عَلَيْهِ سِرَّكَ . وَقَلِّلِ ٱلتَّفَقُّدَ لِعُيُوبِ ٱلنَّاسِ يَقِلَّ

(١) ترساً (٢) مدار

تَفَقُّدُ ٱلنَّاسِ لِعَيْبِكَ . وَٱحذَرْ ان يَحُطَّكَ ٱلتَّهَاوُنُ عَمَّا وَقَاكَ إِلَيْـهِ ٱلتَّحَفُّظُ . وَٱحذَرِ ٱلجَاهِلَ وَإِنْ كَانَ لَكَ نَاصِحاً كَمَا تَحْذَرُ عَدَاوَتَهُ إِذَا كَانَ غَـاشّاً . وَلَا تَصْحَبْ مَنْ يَكُونُ ٱسْتِمْتَاعُـهُ بِمَالِكَ وَجَاهِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِمْتَـاعِهِ لَكَ بِشُكْرِ لِسَانِهِ وَفَوَائِدِ عَمَلِهِ . وَمَنْ كَانَتْ غَايَتُهُ ٱلِٱحتِيَالَ عَلَى مَالِكَ وَإِطْرَاءَكَ فِي وَجْهِكَ فَإِنَّ هٰذَا لَا يَكُونُ إِلَّا رَدِيءَ ٱلغَيْبِ سَرِيعاً إِلَى ٱلذَّمِّ . وَٱجعَلِ ٱخْتِيَـارَكَ لِلإِنْسَانِ مِنْ أَفْعَالِهِ خُصُوصاً لَا مِنَ أَقْوَالِهِ ، فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ أَفعَالُهُمْ رَدِيئَةٌ وَأَقَاوِيلُهُمْ سَدِيدَةٌ . وَطَهِّرْ قَلْبَكَ مِنْ دَنَسِ ٱلبُخْلِ بِمُجَانَبَتِهِ ، وَٱرْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ ، وَنَزِّهْ سَمْعَكَ عَنْ قَبِيحِ ذِكْرِهِ . فَـلَا دَاءَ أَدْوَأُ مِنَ ٱلبُخْلِ ، وَلَا حَالَ أَنْـكَرُ مِنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ . وَإِذَا أَنْـعَمَ ٱللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فِيهَـا فَضْلٌ عَنْكَ فَٱعْلَمْ أَنَّ فِيهَا نَصِيباً لِغَيْرِكَ فَتَسَرَّعْ إِلَى إِخْرَاجِهِ تَأْمَنْ بَغْتَـةَ ٱلِٱسْتِدْرَاكِ

الباب الرابع

في اللطائف

قَتَلَهُ بِكَثْرَةِ فُضُولِهِ

أَكَبَّ [١] رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ عَلى مَالِكِ بْنِ أَسْماءَ يُحَدِّثُهُ فِي يَوْمِ صَيْفٍ وَيَغُمُّهُ وَيُثَقِّلُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : لَا وَلٰكِنَّنِي أَعْرِفُ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنَّا فِي ٱلْإِسْلَامِ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ . قَالَ أَنَا . قَتَلْتَنِي ٱلْيَوْمَ بِطُولِ حَدِيثِكَ وَكَثْرَةِ فُضُولِكَ

ٱلْبَرَاعَةُ فِي ٱلشَّكْوَى

تَظَلَّمَ أَهْلُ ٱلْكُوفَةِ مِنْ وَالِيهِمْ فَشَكَوْهُ إِلى ٱلْمَأْمُونِ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ مِنْ عُمَّالِي أَعْدَلَ وَلَا أَقْوَمَ [٢] بِأَمْرِ ٱلرَّعِيَّةِ وَلَا أَعْوَدَ [٣] بِالرِّفْقِ عَلَيْهِمْ [٤] مِنْهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا أَحَدٌ أَوْلَى بِالْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ مِنْكَ . فَإِنْ كَانَ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَعَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَلِّيَهُ بَلَداً بَلَداً حَتَّى يَلْحَقَ كُلَّ بَلَدٍ مِنْ

---

(١) اكب على الرجل اقبل عليه ولزمه (٢) من قام بامره اذا تولاه (٣) من عاد عليه بالمعروف اذا افضل (٤) من رفق به وعليه اذا لطف به

عَدْلِهِ مِثْلُ ٱلَّذِي لَحِقَنَا . وَيَأْخُذَ بِقِسْطِهِ [١] مِنْهُ كَمَا أَخَذْنَا . وَإِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ لَمْ يُصِبْنَا مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ قَوْلِهِ وَعَزَلَهُ عَنْهُمْ

فِي ٱلتَّأَنِّي سَلَامَةٌ وَفِي ٱلْعَجَلَةِ نَدَامَةٌ

قَالَ ٱلشَّعْبِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى ٱبْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدْ أُتِيَ بِقَوْمٍ فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنَّ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلسِّجْنَ كَانَ حَكِيمًا . جَعَلَهُ قَيْدًا لِلْعَجَلَةِ وَبَابًا إِلَى ٱلتَّثَبُّتِ وَسَبَبًا إِلَى ٱلْأَنَاةِ . فَعَلَيْكَ بِٱلتُّؤَدَةِ [٢] وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ . فَأَنْتَ عَلَى عُقُوبَتِنَا أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّهَا . فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمْ ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ

خِلَالُ ٱلْقَاضِي

رُوِيَ عَنِ ٱلرَّشِيدِ أَنَّهُ أَحْضَرَ رَجُلًا يُوَلِّيهِ ٱلْقَضَاءَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَا أُحْسِنُ ٱلْقَضَاءَ وَلَا أَنَا فَقِيهٌ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ: فِيكَ شَرَفٌ وَٱلشَّرَفُ يَمْنَعُ أَهْلَهُ مِنَ ٱلدَّنَاءَاتِ. وَلَكَ حِلْمٌ وَٱلْحِلْمُ يَمْنَعُكَ مِنَ ٱلْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُعَجِّلْ قَلَّ خَطَاؤُهُ . وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ . وَأَمَّا ٱلْفِقْهُ فَسَيَنْضَمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ . فَوُلِّيَ فَمَا وُجِدَ فِيهِ طَعْنٌ

(١) القسط النصيب والحصة (٢) التؤدة التأني

أَلرَّجُلُ يُشَرِّفُ عَمَلَهُ

عَزَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ عَامِلًا عَنْ عَمَلٍ نَفِيسٍ وَوَلَّاهُ عَمَلًا خَسِيساً . فَقَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ عَمَلَكَ . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّهُ لَيْسَ بِٱلْعَمَلِ ٱلْكَبِيرِ يَنْبُلُ ٱلرَّجُلُ لٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ يَنْبُلُ عَمَلُهُ بِهِ وَإِنْ كَانَ خَسِيساً لِحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ وَإِنْصَافِ ٱلرَّعِيَّةِ

زِينَةُ ٱلنَّفْسِ تَجْلِبُ زِينَةَ ٱلْجِسْمِ

دَخَلَ يَوْماً رَجُلٌ رَثُّ ٱلْهَيْئَةِ عَلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ ، فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ وَسُئِلَ فَأَصَابَ ٱلْجَوَابَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْإِسْكَنْدَرُ : لَوْ أَعْطَيْتَ جِسْمَكَ حَقَّهُ مِنَ ٱلزِّينَةِ كَمَا أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ حَقَّهَا مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ لَأَشْبَهَ بَعْضُكَ بَعْضاً . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَمَّا ٱلْكَلَامُ فَأَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنِّي مَالِكُهُ . وَأَمَّا ٱلزِّينَةُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا لِأَنِّي لَا أَمْلِكُهَا . فَعَلِمَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ

ٱلْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ

دَخَلَ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَلِكُ ٱلْحِيرَةِ وَٱلْيَمَامَةِ . وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ دَمِيمَ ٱلْخِلْقَةِ قَصِيرَ ٱلْقَامَةِ ، وَكَانَ ذِكْرُهُ قَدْ شَاعَ فِي ٱلْآفَاقِ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْخِصَالِ ٱلْمَحْمُودَةِ . فَلَمَّا رَآهُ

ٱلْمُنْذِرُ ٱحْتَقَرَهُ لِدَمَامَةِ خِلْقَتِهِ وَقِصَرِ قَامَتِهِ . فَقَالَ : لَأَنْ تَسْمَعَ بِٱلْمُعَيْدِيِّ [1] خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ . فَقَالَ لَهُ ضَمْرَةُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَيْسَ ٱلْمَرْءُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ وَكَمَالِهِ وَهَيْئَتِهِ وَثِيَابِهِ . لَا وَٱللهِ حَتَّى يُشَرِّفَهُ أَصْغَرَاهُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ وَيَعْلُوَ بِهِ أَكْبَرَاهُ هِمَّتُهُ وَلُبُّهُ [2]

عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ وَعَمْرٌو يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ يَا عَمْرُو . قَالَ : إِنَّ أَبِي أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوصِ بِي . قَالَ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَوْصَاكَ . قَالَ : أَوْصَانِي أَلَّا يَفْقِدَ إِخْوَانُهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ ٱبْنَ سَعِيدٍ هٰذَا سَيَكُونُ نِعْمَ ٱلْخَلَفُ لِأَبِيهِ

فَضْلُ ٱلْكُتُبِ

دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ يَوْمًا عَلَى ٱبْنِهِ هَٰرُونَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَقَالَ : مَا هٰذَا . قَالَ : كِتَابٌ يَشْحَذُ ٱلْفِطْنَةَ وَيُغْنِي عَنِ ٱلْعِشْرَةِ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَ لِي ذُرِّيَّةً [3] يَرَى بِعَيْنِ عَقْلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَرَى بِعَيْنِ جِسْمِهِ

---

(١) تصغير معدي . والعبارة مثل يضرب للرجل له صيت وذكر في الناس فاذا رأيته ازدريت مرآته (٢) عقله (٣) الذرية ولد الرجل

وُجُوبُ ٱلعَمَلِ

قَالَ رَجُلٌ لِلحَسَنِ : إِنِّي أَنشُرُ مُصْحَفِي [1] فَأَقْرَأُهُ بِٱلنَّهَارِ كُلِّهُ . فَقَالَ : ٱقْرَأْهُ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ وَيكُونُ يَوْمُكَ فِي حِرْفَتِكَ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ

ذَمُّ ٱلشَّرَابِ

قِيلَ لِلعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ : لِمَ تَرَكْتَ ٱلشَّرَابَ وَهُوَ يَزِيدُ فِي سَمَاحَتِكَ . فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أُصْبِحَ سَيِّدَ قَوْمِي وَأُمْسِي سَفِيهَهُمْ

حسن التخلص

لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَهُ حِيَالَ [2] قَصْرِ ٱلْمَأْمُونِ قِيلَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَاهَاكَ [3] وَبَارَاكَ [4] . فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ بَنَيْتَ هٰذَا ٱلْقَصْرَ مُحَاذِياً لِقَصْرِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَحبَبْتُ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَجَعَلْتُهُ نُصْبَ عَيْنِكَ . فَٱسْتَحْسَنَ ٱلْمَأْمُونُ جَوَابَهُ وَأَجْزَلَ عَطِيَّتَهُ

سَيِّدُ ٱلعَرَبِ

وَفَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَارَةَ عَلَى بَابِ كِسْرَى وَكَانَ قَدْ مَنَعَ تَمِيمَ

(١) المصحف الكرّاسة وقد غلب على القرآن (٢) قبالة (٣) فاخرك في الحسن (٤) عارضك اي فعل مثل فعالك

رِيفَ ٱلْعِرَاقِ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : قُلْ لِلْمَلِكِ أَنَّ بِٱلْبَابِ رَجُلًا مِنَ ٱلْعَرَبِ يُرِيدُ ٱلْوُفُودَ عَلَيْكَ وَٱلْمُثُولَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَأَعْلَمَ ٱلْحَاجِبُ كِسْرَى بِمَا قَالَ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : سَيِّدُ ٱلْعَرَبِ . قَالَ : أَلَسْتَ ٱلْقَائِلَ لِلْحَاجِبِ إِنَّكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ . قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ ذٰلِكَ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْكَ وَمُثُولِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَأَمَّا وَقَدْ حَظِيتُ بِرُؤْيَتِكَ فَقَدْ صِرْتُ سَيِّدَ ٱلْعَرَبِ . فَقَالَ كِسْرَى زِهْ وَأَمَرَ أَنْ يُحْشَى فَمُهُ دُرًّا

أَلْمُرُوءَةُ ٱلصَّحِيحَةُ

كَانَ فَتًى مِنْ طَيِّءٍ يَجْلِسُ إِلَى ٱلْأَحْنَفِ وَكَانَ يُعْجِبُهُ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : يَا فَتًى هَلْ تَزِينُ جَمَالَكَ بِشَيْءٍ . قَالَ : نَعَمْ . إِذَا حَدَّثْتُ صَدَقْتُ ، وَإِذَا حُدِّثْتُ ٱسْتَمَعْتُ ، وَإِذَا عَاهَدْتُ وَفَيْتُ ، وَإِذَا وَعَدْتُ أَنْجَزْتُ ، وَإِذَا ٱئْتُمِنْتُ لَمْ أَخُنْ . فَقَالَ ٱلْأَحْنَفُ : هٰذِهِ ٱلْمُرُوءَةُ حَقًّا

إِيَّاكَ وَٱلِٱغْتِيَابَ

قَالَ ٱلْوَاثِقُ لِٱبْنِ أَبِي دَاوُدَ : قَدْ كَانَ عِنْدِي ٱلسَّاعَةَ ٱلزَّيَّاتُ فَذَكَرَكَ بِكُلِّ قَبِيحٍ . فَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَحْوَجَهُ إِلَى ٱلْكَذِبِ عَلَيَّ وَنَزَّهَنِي عَنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ فِيهِ

جواب بليغ

لَمَّا قُتِلَ ٱلْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ دَخَلَ ٱلْمَأْمُونُ على أُمِّهِ يُعَزِّيهَا فِيهِ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّاهُ لَا تَحْزَنِي عَلى ٱلْفَضْلِ فَأَنَا خَلَفٌ مِنْهُ . فَقَالَتْ: كَيْفَ لَا أَحْزَنُ على وَلَدٍ عَوَّضَنِي مِنْهُ خَلِيفَةٌ مِثْلُكَ . فَعَجِبَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ جَوَابِهَا وَكَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَجْلَبَ لِلْقُلُوبِ

مَا هُوَ ٱلسُّؤْدُدُ

سَأَلَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رُوحَ بْنَ زِنْبَاعٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ قَالَ: لَوْ غَضِبَ مَالِكٌ لَغَضِبَ مَعَهُ مِئَةُ أَلْفِ سَيْفٍ لَا يَسْأَلُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِمَ غَضِبْتَ . فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : هٰذَا وَٱللهِ السُّؤْدُدُ

أَلتَّرْحِيبُ بِٱلضَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ

نَزَلَ بِأَبِي ٱلْبُخْتُرِيِّ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ ٱلْقُرَشِيِّ ضَيْفاً . فَسَارَعَ عَبِيدُهُ إِلَى إِنْزَالِهِ وَخَدَمُوهُ أَحْسَنَ خِدْمَةً وَفَعَلُوا بِهِ كُلَّ جَمِيلٍ . فَلَمَّا هَمَّ بِٱلرَّحِيلِ لَمْ يَقْرُبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَتَجَنَّبُوهُ . فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : نَحْنُ إِنَّمَا نُعِينُ ٱلنَّازِلَ عَلى ٱلْإِقَامَةِ وَلَا نُعِينُهُ عَلَى ٱلرَّحِيلِ

أَلْحُسَيْنُ وَٱلْفَرَزْدَقُ

لَقِيَ ٱلْحُسَينُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْفَرَزْدَقَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى ٱلْعِرَاقِ . فَسَأَلَهُ عَنِ ٱلنَّاسِ فَقَالَ : ٱلْقُلُوبُ مَعَكَ وَٱلسُّيُوفُ عَلَيْكَ وَٱلنَّصْرُ فِي ٱلسَّماء

إِسْتَعِنْ بِٱلْحَقِّ

قَالَ أَبُو جعفرٍ لِعمرِ بْنِ عُبَيْدٍ : أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ يَا أَبَا عُثْمانَ . قَالَ : ٱرْفَعْ عَلَمَ ٱلْحَقِّ يَتْبَعْكَ ٱلنَّاسُ

أَلْعِلْمُ يُتَّبَعُ حَيْثُ كانَ

قَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ لِزَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ : أَنْتَ سَيِّدُ ٱلنَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ . تَذْهَبُ إِلَى هٰذَا ٱلْعَبْدِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فَتَجْلِسَ مَعَهُ . فَقَالَ : يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يُتَّبعَ حَيْثُ كانَ

أَلْإِسْكَنْدَرُ وَٱلْبَيَاتُ

أُشِيرُ عَلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ بِٱلْبَيَاتِ [١] فِي بَعْضِ ٱلْحُرُوبِ . فَقَالَ لَا يَلِيقُ بِٱلْمُلُوكِ ٱسْتِرَاقُ ٱلظَّفَرِ

بَعْضُ أَخْبارِ كِسْرَى

كَانَ ٱلْمُؤْبِذُ فِي مَجْلِسِ كِسْرَى . فَسَمِعَ ضَحِكَ ٱلْخَدَمِ فَقَالَ:

(١) البيات مهاجمة العدو ليلًا

مَا يَمْنَعُ جَلاَلَةُ ٱلْمُلْكِ وَهَيْبَتُهُ هٰؤُلَاءِ ٱلْغِلْمَانَ عَنِ ٱلصِّبَا . فَسَمِعَهُ كِسْرَى فَقَالَ : إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا

— وَقَالَ كِسْرَى يَوْماً لِبَعْضِ عُمَّالِهِ : كَيْفَ نَوْمُكَ بِٱللَّيْلِ . قَالَ : أَنَامُهُ كُلَّهُ . قَالَ أَحْسَنْتَ لَوْ سَرَقْتَ ٱلرَّعِيَّةَ وَلَمْ تُؤَدِّ حُقُوقَهَا مَا نِمْتَ هٰذَا ٱلنَّوْمَ

— وَكَانَ كِسْرَى إِذَا غَضِبَ عَلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ هَجَرَهُ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ خَيْرَهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . فَقَالَ : نَحْنُ نُعَاقِبُ بِٱلْهِجْرَانِ لَا بِٱلْحِرْمَانِ

دَفْعُ ٱلضَّلَالِ بِٱلْحُجَّةِ لا بِٱلسَّيْفِ

لَمَّا ظَهَرَ مَانِي ٱلزِّنْدِيقُ فِي أَيَّامِ سَابُورَ بْنِ أَزْدَشِيرَ وَدَعَا ٱلنَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِ أَخَذَهُ سَابُورُ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ نُصَحَاءُ دَوْلَتِهِ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ : إِنْ قَتَلْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْطَعَهُ بِٱلْحُجَّةِ[١] قَالَ ٱلْعَامَّةُ بِقَوْلِهِ ، وَيَقُولُونَ مَلِكٌ جَبَّارٌ قَتَلَ زَاهِداً . وَلٰكِنِّي أُنَاظِرُهُ فَإِذَا غَلَبْتُهُ بِٱلْحُجَّةِ قَتَلْتُهُ

مُرَاعَاةُ ٱلْجُلَسَاءِ

نَهَضَ هِشَامٌ يَوْماً مِنْ مَجْلِسِهِ فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ لِيَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ فَجَذَبَهُ هِشَامٌ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ : مَهْلًا إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءَنَا خَوَلًا[٢]

---

(١) قطعه بالحجة غلبه بها حتى اسكته (٢) عبيداً وخدماً

قَلَّالٌ يَعْجَبُ ٱلرَّشِيدُ بِأَدَبِهِ

حُكِيَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَبِي شُعَيْبٍ ٱلْقَلَّالِ [١] كَيْفَ يَعْمَلُ ٱلْقِلَالَ. فَأَدْخَلُوهُ ٱلْقَصْرَ وَأَتَوْهُ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ ٱلْعَمَلِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْمَلُ إِذَا هُوَ بِٱلرَّشِيدِ قَدْ أَقْبَلَ. فَلَمَّا رَآهُ نَهَضَ قَائِمًا. فَقَالَ لَهُ ٱلرَّشِيدُ: دُونَكَ وَمَا دُعِيتَ لَهُ. فَإِنِّي لَمْ آتِ بِكَ لِتَقُومَ لِي. وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِكَ لِتَعْمَلَ بَيْنَ يَدَيَّ. فَقَالَ: وَأَنَا لَمْ آتِكَ لِيَسُوءَ أَدَبِي وَإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لِأَزْدَادَ بِكَ أَدَبًا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَأَجَازَهُ

ذَكَاءُ ٱبْنَتَيْنِ

حُكِيَ أَنَّ شَاعِرًا كَانَ لَهُ عَدُوٌّ. فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ ٱلطُّرُقِ إِذَا بِعَدُوِّهِ إِلَى جَانِبِهِ. فَعَلِمَ ٱلشَّاعِرُ أَنَّ عَدُوَّهُ قَاتِلُهُ لَا مَحَالَةَ [٢] فَقَالَ لَهُ: يَا هٰذَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَنِيَّةَ قَدْ حَضَرَتْ وَلٰكِنْ سَأَلْتُكَ ٱللهَ إِذَا أَنْتَ قَتَلْتَنِي ٱمْضِ إِلَى دَارِي وَقِفْ بِٱلْبَابِ وَنَادِ: أَلَا أَيُّهَا ٱلْبِنْتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِ أَتَى إِلَى دَارِهِ وَوَقَفَ بِٱلْبَابِ وَقَالَ: أَلَا أَيُّهَا ٱلْبِنْتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا. وَكَانَ لِلشَّاعِرِ ٱبْنَتَانِ. فَلَمَّا سَمِعَتَا قَوْلَ ٱلرَّجُلِ أَجَابَتَاهُ بِفَمٍ وَاحِدٍ: قَتِيلٌ خُذَا

---

(١) صانع القلال وهي الجرار من الفخار (٢) اي لا ريب

بِالثَّأْرِ مِمَّنْ أَتَاكُمَا. ثُمَّ تَعَلَّقَتَا بِالرَّجُلِ وَرَافَعَتَاهُ[١] إِلَى الْحَاكِمِ فَأَقَرَّ بِقَتْلِهِ فَقَتَلَهُ

أَلْمَأْمُونُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ

قَالَ الْمَأْمُونُ لِإِبْرٰهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: إِنِّي شَاوَرْتُ فِي أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قَدْرَكَ فَوْقَ ذَنْبِكَ فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلَازِمِ حُرْمَتِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُشِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ. إِلَّا أَنَّكَ أَبَيْتَ أَنْ تَطْلُبَ النَّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ مَا عُوِّدْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ. فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ

قِيمَةُ الشِّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ

أَمْسَكَ عَلَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الشِّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَعْدَةَ غَزَوْا قَوْماً فَظَفِرُوا بِهِمْ. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَعْدِيُّ اسْتَخَفَّهُ الطَّرَبُ فَاسْتَحَثَّهُ الشِّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ: وَاللهِ لَنَحْنُ بِإِطْلَاقِ لِسَانِ شَاعِرِنَا أَسَرُّ مِنَّا بِالظَّفَرِ بِعَدُوِّنَا

أَلْعَدْلُ أَمِ الشَّجَاعَةُ

سَأَلَ الْإِسْكَنْدَرُ حُكَمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ: أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمُ الشَّجَاعَةُ أَمِ الْعَدْلُ. قَالُوا: إِذَا اسْتَعْمَلْنَا الْعَدْلَ اسْتَغْنَيْنَا بِهِ عَنِ الشَّجَاعَةِ

(١) رافعه الى الحاكم شكاه وقدمه

مَا أَجْمَلَ ٱلشَّفَقَةَ وَٱلْعَدْلَ فِي ٱلْمُلُوكِ

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عُمَرَ: ٱسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجِ سَرْدُوسَ. فَأَخَذَ فِي حَفْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ فَجَعَلَ أَهْلُ ٱلْقُرَى يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجْرِيَ لَهُمُ ٱلْخَلِيجَ تَحْتَ قُرَاهُمْ وَكَانُوا يُعْطُونَهُ مَالًا. فَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ وَمِنَ ٱلشِّمَالِ إِلَى ٱلْقِبْلَةِ، وَيَسُوقُهُ كَيْفَ أَرَادَ وَإِلَى حَيْثُ قَصَدَ. فَلَيْسَ خَلِيجٌ بِمِصْرَ أَكْثَرَ عُطُوفاً [1] مِنْهُ. فَٱجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جَزِيلَةٌ فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِٱلْخَبَرِ. فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يَعْطِفَ عَلَى عَبِيدِهِ وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ، وَلَا يَرْغَبَ فِي مَا بِأَيْدِيهِمْ. رُدَّ عَلَى أَهْلِ ٱلْقُرَى أَمْوَالَهُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ

مَا أَحْكَمَ ٱلشُّيُوخَ

حُكِيَ أَنَّ كِسْرَى مَرَّ بِشَيْخٍ كَبِيرٍ يَغْرِسُ فَسِيلًا [2] فَقَالَ لَهُ: يَا هٰذَا كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ ٱلْعُمْرِ، قَالَ ثَمَانُونَ سَنَةً. قَالَ أَتُؤَمِّلُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هٰذَا ٱلنَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ

(١) ميلًا (٢) الفسيل جمع الفسيلة وهي النخله الصغيرة تقلع من الارض وتقطع من الام فتغرس

وَأَنْتَ قَدْ فَنِيَ عُمْرُكَ . فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَوِ ٱتَّكَلَ ٱلْآبَاءُ عَلَى هٰذَا لَضَاعَ ٱلْأَبْنَاءُ . فَٱسْتَحْسَنَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ . فَأَخَذَهَا ٱلشَّيْخُ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْفَسِيلُ تُطْعِمُ بَعْدَ سِنِينَ مِنْ غَرْسِهَا ، وَهٰذِهِ قَدْ أَطْعَمَتْنِي فِي سَنَتِهَا . فَتَعَجَّبَ كِسْرَى مِنْ ذَكَائِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى . فَأَخَذَهَا وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْفَسِيلُ تُطْعِمُ فِي ٱلسَّنَةِ مَرَّةً وَهٰذِهِ قَدْ أَطْعَمَتْنِي فِي أَوَّلِ ٱلسَّنَةِ مَرَّتَيْنِ . فَٱزْدَادَ عَجَبُ كِسْرَى بِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى. فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ: إِنْ لَمْ يَنْهَضِ ٱلْمَلِكُ أَرْدَى[1] هٰذَا ٱلشَّيْخُ بِحِكْمَتِهِ بَيْتَ ٱلْمَالِ . فَقَالَ : لَيْسَ ٱلْمَالُ فِي شَيْءٍ بِٱلْقِيَاسِ إِلَى حِكْمَةِ هٰذَا ٱلشَّيْخِ وَبُعْدِ نَظَرِهِ . فَلْيَتَشَبَّهْ بِهِ أَبْنَاءُ رَعِيَّتِي فَيَسْعَدُوا . قَالَ هٰذَا وَٱنْصَرَفَ ٱلشَّيْخُ حَامِداً

حَيْثُ لَا حَاجَةَ الَى حَاكِمٍ

دَخَلَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مُقَاطَعَةً عَظِيمَةً فَلَمْ يَجِدْ حَاكِماً لِلْقَضَاءِ . فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ أَهْلُهَا : إِنَّنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا دَامَ قَوِيُّنَا يَرْحَمُ ضَعِيفَنَا وَلَا يَعْلُو عَلَيْهِ . وَكُلٌّ مِنَّا عَالِمٌ بِمَا لَهُ وَمَا لِغَيْرِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّهُ

---

(١) اهلك

حُسْنُ ٱلْأَخلَاقِ لَا حُسْنُ ٱلْوُجوهِ

دَخلَ مُحمَّدُ بْنُ عِيادٍ عَلَى ٱلْمَأْمونِ فَجَعَلَ يُعَمِّمُهُ بِيَدِهِ وَجَارِيَةٌ عَلى رَأْسِهِ تَتَبَسَّمُ . فقَالَ لَها ٱلْمَأْمونُ مِمَّ تَضْحَكِينَ . فقَالَ ٱبْنُ عِيادٍ : أَنا أُخبِرُكَ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، تَتَعَجَّبُ مِنْ قُبْحِي وَإِكْرَامِكَ إِيَّايَ . فقَالَ : لَا تَعْجَبِي ، فَإِنَّ تَحْتَ هٰذِهِ ٱلْعِمَامَةِ كَرَماً وَمَجْداً . قَالَ ٱبْنُ نَبَاتَةَ :

وَهَلْ يَنْفَعُ ٱلْفِتْيَانَ حُسْنُ وُجوهِهِمْ
إِذَا كَانَتِ ٱلْأَعْرَاضُ غَيْرَ حِسَانِ
فَلا تَجْعَلِ ٱلْحُسْنَ ٱلدَّلِيلَ عَلى ٱلْفَتَى
فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ ٱلْحَدِيدِ يَمَانِ

تَرْكُ ٱلْمَرْءِ مَا لَا يَعْنِيهِ

قَالَ رَجُلٌ لِلْأَحْنَفِ : بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ وَمَا أَنْتَ بِأَشْرَفِهِمْ بَيْتاً ، وَلَا أَصْبَحِهِمْ وَجْهاً ، وَلَا أَحسَنِهِمْ خُلْقاً ، فَقَالَ : بِخِلافِ مَا فِيكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ تَرْكِي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَعْنِينِي كَمَا عَنَاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَعْنِيكَ

لا تفعل شيئاً وأنت غضبان

أَمَرَ مَلِكٌ مِنْ مُلوكِ فَارِسَ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ طَعَامٌ وَدَعَا قَوْماً مِنْ خَاصَّتِهِ إلى مَائِدَتِهِ . فَلَمَّا مُدَّ ٱلسِّمَاطُ [١] أَقْبَلَ ٱلْخَادِمُ وَعَلى كَفِّهِ صَحْنٌ فِيهِ طَعَامٌ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَدْرَكَتْهُ ٱلْهَيْبَةُ فَعَثَرَ ، فَوَقَعَ مِنْ مَرَقِ ٱلصَّحْنِ شَيْءٌ يَسِيرٌ عَلَى طَرَفِ ثَوْبِ ٱلْمَلِكِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْخَادِمُ ٱلْعَزِيمَةَ عَلَى ذٰلِكَ صَبَّ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي ٱلصَّحْنِ عَلى رَأْسِ ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَا هٰذَا . فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هٰذَا شِحّاً [٢] عَلى عِرْضِكَ وَغَيْرَةً عَلَيْكَ ، لِئَلَّا يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِذَا سَمِعُوا ذَنْبِي ٱلَّذِي بِهِ تَقْتُلُنِي : قَتَلَهُ فِي ذَنْبٍ خَفِيفٍ لَمْ يَضُرَّهُ وَأَخْطَأَ فِيهِ ٱلْعَبْدُ وَلَمْ يَقْصِدْهُ ، فَتُنْسَبَ إلى ٱلظُّلْمِ وَٱلْجَوْرِ . فَصَنَعْتُ هٰذَا ٱلذَّنْبَ ٱلْعَظِيمَ لِتُعْذَرَ فِي قَتْلِي وَتُرْفَعَ عَنْكَ ٱلْمَلامَةُ . قَال : فَأَطْرَقَ ٱلْمَلِكُ مَلِيّاً [٣] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ عَفَوْنَا عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ ذَنْبِكَ لِحُسْنِ ٱعْتِذَارِكَ فَٱذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللهِ تَعَالى

(١) بساط الطعام (٢) حرصاً (٣) اي طويلاً

مَا أَجْمَلَ ٱلْوَفَاءَ

رَوَى مَسْرُورٌ ٱلْكَبِيرُ قَالَ : كَانَ أَبُو بَكَّارٍ ٱلْأَعْمَى قَدِ ٱنْقَطَعَ إِلَى آلِ بَرْمَكَ وَكَانَ مِنْ أَصْدِقَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى . فَلَمَّا أَمَرَنِي ٱلرَّشِيدُ بِقَتْلِ جَعْفَرٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ أَبَا بَكَّارٍ ٱلْأَعْمَى يُغَنِّيهِ وَيَقُولُ :

فَلَا تَحْزَنْ فَكُلُّ فَتًى سَيَأْتِي عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ يَطْرُقُ[1] أَوْ يُغَادِي[2]

فَقُلْتُ : فِي هٰذَا وَٱللّٰهِ قَدْ أَتَيْتُكَ . ثُمَّ أَمْسَكْتُ بِيَدِ جَعْفَرٍ وَأَقَمْتُهُ وَضَرَبْتُ عُنُقَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكَّارٍ : نَاشَدْتُكَ[3] ٱللّٰهَ إِلَّا أَلْحَقْتَنِي بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ مَا ٱلَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا . فَقَالَ : أَغْنَانِي عَنِ ٱلنَّاسِ . فَقُلْتُ : حَتَّى أَسْتَأْمِرَ[4] ٱلرَّشِيدَ . ثُمَّ أَحْضَرْتُ ٱلرَّأْسَ إِلَى ٱلرَّشِيدِ وَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ أَبِي بَكَّارٍ . فَقَالَ : هٰذَا رَجُلٌ فِيهِ مُصْطَنَعٌ[5] ٱضْمُمْهُ إِلَيْكَ وَٱنْظُرْ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ[6] جَعْفَرٌ فَٱدْفَعْهُ إِلَيْهِ

---

(١) من طرق اذا اتى ليلا (٢) من غاداه اذا باكره اي اتاه بكرة (٣) ناشده الله استحلفه اي سأله واقسم عليه بالله ومعنى العبارة ما طلبت منك شيئاً من الاشياء الا الحاقي به (٤) اشاور (٥) اي فيه محل للصنيعة اي الاحسان (٦) اي ما كان يخصصه به من الجراية وهي ما يناله الجندي من الطعام او الاجرة كل يوم

مُكافأةُ أمير

قَالَ رَجُلٌ لِسَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ وَهُوَ أَمِيرُ ٱلْكُوفَةِ : يَدِي عِنْدَكَ بَيْضَاءُ . قَالَ وَمَا هِيَ . قَالَ : كَبَتْ بِكَ فَرَسُكَ فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ قَبْلَ غِلْمَانِكَ . فَأَخَذْتُ بِعَضُدِكَ وَأَرْكَبْتُكَ وَسَقَيْتُكَ مَاءً . قَالَ فَأَيْنَ كُنْتَ إِلى ٱلآنِ . قَالَ : حُجِبْتُ عَنِ ٱلْوُصُولِ إِلَيْكَ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَبِمَا يَمْلِكُهُ ٱلْحَاجِبُ إِذْ حَجَبَكَ عَنَّا

حُرِّيَّةُ ٱلضَّمِيرِ تُوَلِّدُ ٱلْجُرْأَةَ

إِمْتَدَحَ ٱبْنُ مَيَّادَةَ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ : وَٱللهِ مَا قَبَّلْتُ يَدَ قُرَشِيٍّ غَيْرِكَ إِلَّا وَاحِداً . قَالَ : فَمَنْ هُوَ . قَالَ : ٱلْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ . فَغَضِبَ جَعْفَرٌ وَقَالَ : وَٱللهِ مَا قَبَّلْتَهَا للهِ تَعَالَى . فَقَالَ ٱبْنُ مَيَّادَةَ : وَٱللهِ وَلَا يَدَكَ قَبَّلْتُهَا للهِ تَعَالَى وَلٰكِنْ قَبَّلْتُهَا لِنَفْسِي . فَقَالَ جَعْفَرٌ : وَٱللهِ لَا ضَرَّكَ ٱلصِّدْقُ عِنْدِي . أَعْطُوهُ مِئَةً أُخْرَى

جُودُ حَاتِمٍ وَٱبْنَتِهِ

كَانَتْ سَفَّانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ مِنْ أَجْوَدِ نِسَاءِ ٱلْعَرَبِ فَكَانَ أَبُوهَا يُعْطِيهَا ٱلضَّرِيبَةَ مِنْ إِبِلِهِ فَتَهَبُهَا وَتُعْطِيهَا ٱلنَّاسَ . فَقَالَ لَهَا

أَبُوهَا يَا بُنَيَّةُ إِنَّ ٱلْكَرِيمَيْنِ إِذَا ٱجْتَمَعَا فِي ٱلْمَالِ أَتْلَفَاهُ . فَإِمَّا أَنْ أُعْطِيَ وَتُمْسِكِي ، وَإِمَّا أَنْ أُمْسِكَ وَتُعْطِي . فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى هٰذَا شَيْءٌ . فَقَالَتْ لَهُ : مِنْكَ تَعَلَّمْتُ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ

أَلْحَمَامَةُ وَٱلرَّازِيُّ

كَانَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ ٱلرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حِجْرِهِ كَٱلْمُسْتَجِيرَةِ بِهِ . فَأَنْشَدَ شَرَفُ ٱلدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَبْيَاتاً فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ ٱلزَّمَانِ حَمَامَةٌ ... وَٱلْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ

مَنْ أَنْبَأَ ٱلْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

فِي ٱلِٱتِّحَادِ قُوَّةٌ

دَعَا أَكْتَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَٱسْتَدْعَى إِضَامَةً[1] مِنَ ٱلسِّهَامِ فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى كَسْرِهَا . ثُمَّ بَدَّدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا فَٱسْتَسْهَلُوا

---

(١) جماعة

كَسْرَهَا . فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ لِيَعْجِزَ مَنْ نَاوَأَكُمْ [١] عَنْ كَسْرِكُمْ كَعَجْزِكُمْ عَنْ كَسْرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهُلَ كَسْرُكُمْ . وَأَنْشَدَ :

كُونُوا جَمِيعاً يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبَى الْقِدَاحُ [٢] إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّراً وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

عَبْدُ الدِّينَار

« للزمخشري »

يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا ؟ وَيَا أَسِيرَ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا ؟ هَيْهَاتَ لَا عَتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ الْمُمَزَّقِ ، وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُفَادِيَ بِخَيْرِكَ الْمُلَزَّقِ . يَا مَنْ يُشْبِعُهُ الْقُرْصُ ، مَا هٰذَا الْحِرْصُ ؟ وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ الْجُرَعُ ، مَا هٰذَا الْجَزَعُ . سَتَعْلَمُ غَداً مَتَى تَنَدَّمْتَ ، أَنَّ لَيْسَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ . وَإِذَا لَقِيتَ الْمَنُونَ ، لَمْ يَنْفَعْكَ مَالٌ وَلَا بَنُونٌ . مَا يَصْنَعُ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ، عَابِرُ هٰذِهِ الْقَنْطَرَةِ . وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرْحَةِ ، نَازِلُ ظِلِّ السَّرْحَةِ

---

(١) عاداكم (٢) جمع القدح وهو السهم قبل ان يراش وينصل

نصائح

« لابن المقفع »

إعلَمْ أنَّ رَأْيَكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَفَرِّغْهُ لِلْمُهِمِّ ، وَأَنَّ مَالَكَ لَا يُغْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاْخْتَصَّ بِهِ ذَوِي الْحُقُوقِ ، وَأَنَّ كَرَامَتَكَ لَا تُطَبِّقُ الْعَامَّةَ فَتَوَخَّ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ ، وَأَنَّ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتِكَ وَإِنْ دَأَبْتَ فِيهِمَا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ إلى أَدَائِهَا سَبِيلٌ مَعَ حَاجَةِ جَسَدِكَ إلى نَصِيبِهِ مِنْهُمَا ، فَأَحْسِنْ قِسْمَتَهُمَا بَيْنَ دَعَتِكَ وَعَمَلِكَ

الباب الخامس

في الحكايات والنوادر

أَلْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ ٱلْبَيَانِ

لَمَّا قَتَلَ شِيرَوَيْهِ أَبَاهُ كِسْرَى أَبْرَوِيزَ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ يَوْماً وَقَدْ رَجَعَ مِنَ ٱلْمَيْدَانِ . فَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي قَتَلَ أَبْرَوِيزَ عَلَى يَدَيْكَ وَمَلَّكَكَ مَا كُنْتَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُ ، وَأَرَاحَ آلَ سَاسَانَ مِنْ جَبَرُوتِهِ وَعُتُوِّهِ وَبُخْلِهِ وَنُكْدِهِ [1] . فَإِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَأْخُذُ بِٱلْجَوْرِ ، وَيَقْتُلُ بِٱلظَّنِّ ، وَيُخِيفُ ٱلْبَرِيءَ ، وَيَعْمَلُ بِٱلْهَوَى . فَقَالَ لَهُ شِيرَوَيْهِ : كَمْ كَانَ رِزْقُكَ فِي حَيَاةِ أَبْرَوِيزَ . قَالَ : كُنْتُ فِي كِفَايَةٍ . قَالَ : فَكَمْ رِزْقُكَ ٱلْيَوْمَ . قَالَ : مَا زِيدَ فِيهِ شَيْءٌ . قَالَ : فَهَلْ وَتَرَكَ [2] أَبْرَوِيزُ فَٱنْتَصَرْتَ مِنْهُ بِمَا قُلْتَ ٱلْيَوْمَ فِي حَقِّهِ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا دَعَاكَ إِلَى ٱلْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْكَ رِزْقاً وَلَا وَتَرَكَ فِي نَفْسِكَ . وَمَا لِلرَّعِيَّةِ وَٱلْوُقُوعَ فِي ٱلْمُلُوكِ . وَأَمَرَ أَنْ يُنْزَعَ لِسَانُهُ وَقَالَ : بِحَقٍّ مَا يُقَالُ : ٱلْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ ٱلْبَيَانِ

---

(١) النكد قلة العطاء (٢) اصابك بظلم او ادركك بمكروه

ٱلأَدَبُ يَزِينُ صَاحِبَهُ

حَكَى ٱلصَّاحِبُ كَمالُ ٱلدِّينِ أَنَّ ٱلْقَاضِيَ بَهَاءَ ٱلدِّينِ بْنَ شَدَّادٍ قَاضِيَ حَلَبَ ٱلَّذِي بَلَغَ عِنْدَ صَلاحِ ٱلدِّينِ وَٱبْنِهِ ٱلظَّاهِرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِ مَرِضَ بِحَلَبَ . فَمَشَيْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلشُّبَّانِ إِلى عِيادَتِهِ . فَعِنْدَمَا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَامَ لَنا فَجَعَلْنا نَحْلِفُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ ٱللهَ تَتَفَكَّرُونَ فِي مَرَضِي وَتَتَعَنَّوْنَ[1] مِنْ أَمَاكِنِكُمْ إِلى مَنْزِلِي ثُمَّ أَبْخَلُ عَلَيْكُمْ بِقَوْمَةٍ ؛ هٰذَا وَٱللهِ غَيْرُ طَرِيقِ ٱلْمُرُوءَةِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَوْلَادِي لَقَدْ دَخَلْتُ عَلى كَبِيرٍ وَأَنَا فِي سِنِّكُمْ فَلَمْ يَحْتَفِلْ بِي . فَإِلَى ٱلْآنَ مَا أَذْكُرُ ذٰلِكَ إِلَّا أَسَأْتُ ذِكْرَهُ وَنَدِمْتُ عَلى وُصُولِي إِلَيْهِ . وَلَا يَتَجَنَّبُ ٱلْمَعَايِبَ إِلَّا أَهْلُ ٱلتَّجَارِبِ .

قَالَ : وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلى مَجْلِسِ كَمَالِ ٱلدِّينِ بْنِ يَغْمُورٍ وَهُوَ نَائِبُ ٱلسَّلْطَنَةِ بِٱلشَّامِ . وَكَانَ يَقُومُ لِي كُلَّمَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ . فَدَخَلْتُ يَوْماً فَإِذَا بِهِ مُضْطَجِعٌ فَلَمْ يَقُمْ وَأَخَذَ فِي مَا كَانَ يَأْخُذُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي قَامَ ثُمَّ جَلَسَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : هٰذِهِ ٱلْأَخِيرَةُ عِوَضُ قَوْمَةِ أَمْسِ كَانَتْ عَلَيَّ دَيْناً لِعُذْرٍ تَتَفَضَّلُ

(١) تتعبون

بِقُبُولِهِ دُونَ مُطَالَبَةٍ بِذِكْرِهِ . فَتَعَجَّبْتُ مِنْ فَضْلِهِ وَدَمَاثَةِ أَخْلَاقِهِ وَكَمَالِ أَدَبِهِ وَقُلْتُ : مَا سَارَ لِهَذَا ٱلرَّجُلِ مَا سَارَ فِي ٱلْآفَاقِ مِنْ بَاطِلٍ

أَنجَعُ دَوَاءٍ لِلصَّبْرِ

رُوِيَ أَنَّ أَنُوشِرْوَانَ سَخِطَ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهَرَ . فَسَجَنَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ [١] بِٱلْحَدِيدِ وَيُلْبَسَ ٱلْخَشِنَ مِنَ ٱلصُّوفِ . وَأَلَّا يُزَادَ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ عَلَى قُرْصَيْنِ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَدَوْرَقِ [٢] مَاءٍ . فَأَقَامَ شُهُوراً عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ لَا تُسْمَعُ لَهُ شَكْوَى . فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : أَدْخِلُوا عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَمُرُوهُمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ثُمَّ أَنْبِئُونِي بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْمُخْتَصِّينَ بِهِ فَإِذَا هُوَ مَشْرُوحُ ٱلصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ ٱلنَّفْسِ نَاعِمُ ٱلْبَالِ فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ أَنْتَ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ مِنَ ٱلضِّيقِ وَشَظَفِ ٱلْعَيْشِ وَٱلشَّقَاءِ ، وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّ سَحْنَةَ [٣] وَجْهِكَ وَصِحَّةَ جِسْمِكَ عَلَى حَالِهِمَا لَمْ تَتَغَيَّرَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي تَرَفٍ وَنَعِيمٍ . فَقَالَ : إِنِّي عَمِلْتُ دَوَاءً لِلصَّبْرِ مِنْ خَمْسَةِ أَخْلَاطٍ ، فَأَتَنَاوَلُ مِنْهُ

---

(١) يشد ويوثق (٢) الدورق اناء للشراب (٣) السحنة اللون والهيئة

كُلَّ يَوْمٍ شَيْئاً فَهُوَ ٱلَّذِي أَبْقَانِي عَلى مَا تَرَوْنَ . فَقَالُوا : صِفْهُ لَنَا فَلَعَلَّنَا نَنْتَفِعُ بِهِ عِنْدَ ٱلْبَلْوَى . فَقَالَ : نَعَمْ أَمَّا ٱلْخِلْطُ ٱلأَوَّلُ فَهُوَ ٱلثِّقَةُ بِٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا ٱلثَّانِي فَٱلصَّبْرُ خَيْرُ مَا ٱسْتَعْمَلَهُ ٱلْمُمْتَحَنُ ، وَأَمَّا ٱلثَّالِثُ فَإِنْ لَمْ أَصْبِرْ فَأَيَّ شَيْءٍ أَعْمَلُ وَلَا أُعِينُ عَلى نَفْسِي بِٱلْجَزَعِ . وَأَمَّا ٱلرَّابِعُ فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ أَكُونَ فِي شَرٍّ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ ، وَأَمَّا ٱلْخَامِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَمَّا بَلَغَ أَنُوشِرْوَانَ مَا قَالَهُ أَطْلَقَهُ وَأَعَزَّهُ وَأَعَادَهُ إِلَى حُظْوَتِهِ عِنْدَهُ

عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ لَا يُطِيقُ ٱلْهَوَانَ

كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَانْسُوسَ رَجُلاً جَلِيلاً أَدِيباً مِنْ رُؤَسَاءِ ٱلْبَرْبَرِ ، وَكَانَ وَزِيراً عِنْدَ ٱلأَمِيرِ عَبْدِ ٱللّٰهِ صَاحِبِ ٱلأَنْدَلُسَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْماً وَكَانَ عَظِيمَ ٱللِّحْيَةِ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلأَمِيرُ مُقْبِلاً جَعَلَ يَهْجُوهُ بِأَبْيَاتٍ تَدُلُّ عَلى ٱلِازْدِرَاءِ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ وَقَدْ غَضِبَ : أَيُّهَا ٱلأَمِيرُ إِنَّ ٱلنَّاسَ يَرْغَبُونَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةِ لِيَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمِ ٱلضَّيْمَ . وَأَمَّا إِذَا صَارَتْ جَالِبَةً لِلذُّلِّ فَلَنَا دُورٌ تَسَعُنَا وَتُغْنِينَا عَنْكُمْ . فَإِنْ حُلْتُمْ [1] بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَنَا قُبُورٌ تَسَعُنَا لَا تَقْدِرُونَ عَلى أَنْ تَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا . ثُمَّ خَرَجَ

---

(١) حجبتم وسددتم

مِنْ غَيرِ أَنْ يُسَلِّمَ وَنَهَضَ إلى مَنْزِلِهِ . فَغَضِبَ ٱلْأَمِيرُ وَأَمَرَ بِعَزْلِهِ عَنِ ٱلْوَزَارَةِ وَرَفَعَ دَسْتَهُ [١] ٱلَّذِي كانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَبَقِيَ كَذٰلِكَ مُدَّةً . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَمِيرَ حَزِنَ على فَقْدِهِ لِعَفَافِهِ وَأَمانَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَفَضْلِ رَأْيِهِ . فَقَالَ لِلْوُزَرَاءِ : لَقَدْ حَزِنْتُ لِفَقْدِ سُلَيْمانَ . وَإِنْ أَرَدْتُ ٱسْتِرْجَاعَهُ وَتَبَرّأً مِنَّا كانَ ذٰلِكَ غَضَاضَةً [٢] عَلَيْنَا ، وَلَوَدِدْتُ أَنْ يَبْدَأَنَا بِٱلرَّغْبَةِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ ٱلْوَلِيدِ : إِنْ أَذِنْتَ لِي بِٱلْمَسِيرِ إِلَيْهِ ٱسْتَنْهَضْتُهُ إِلى هٰذَا . فَأَذِنَ لَهُ فَنَهَضَ إِلى دَارِ ٱبْنِ وَانْسُوسَ ، وَكانَتْ رُتْبَةُ ٱلْوَزَارَةِ بِٱلْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ أَلَّا يَقُومَ ٱلْوَزِيرُ إِلَّا لِوَزِيرٍ مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ وَيُنْزِلُهُ مَعَهُ على مَرْتَبَتِهِ وَلَا يَحْجُبُهُ [٣] وَلَا لَحْظَةً . فَأَبْطَأَ ٱلْإِذْنُ على أَبِي مُحَمَّدٍ حِيناً ثُمَّ أَذِنَ لَهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَاعِداً فَلَمْ يَتَزَحْزَحْ لَهُ وَلَا قَامَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ : مَا هٰذَا ٱلْكِبْرُ . عَهْدِي [٤] بِكَ وَأَنْتَ وَزِيرُ ٱلسُّلْطَانِ وَفِي أُبَّهَةِ رِضَاهُ تَتَلَقَّانِي على قَدَمٍ ، وَتَتَزَحْزَحُ لِي عَنْ صَدْرِ مَجْلِسِكَ ، وَأَنْتَ ٱلْآنَ فِي مَوْجِدَتِهِ [٥] بِضِدِّ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ لِأَنَّنِي كُنْتُ حِينَئِذٍ عَبْداً مِثْلَكَ وَأَنَا ٱلْيَوْمَ حُرٌّ . فَيَئِسَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْهُ وَخَرَجَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ وَرَجَعَ إِلى ٱلْأَمِيرِ فَأَخْبَرَهُ فَٱبْتَدَأَ ٱلْأَمِيرُ بِٱلْإِرْسَالِ إِلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلى أَفْضَلِ مِمَّا كانَ عَلَيْهِ

---

(١) مجلسه (٢) ذلة (٣) يمنعه عن الدخول (٤) معرفتي (٥) غضبه

مُرُوءَةٌ نادِرَةٌ

رَوَى سَعِيدُ بنُ مُسْلِمٍ قَالَ : سَعَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَلَمَّا عَلِمَ بِهِ ٱلْمَهْدِيُّ أَهْدَرَ دَمَهُ[1] ، وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مَائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَأَقَامَ ٱلرَّجُلُ حِيناً مُتَنَكِّراً مُتَوَارِياً ثُمَّ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ مَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ شَوَارِعِهَا خَائِفاً مُتَرَقِّباً إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ طَوْقِهِ وَنَادَى : هٰذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَأَمْكَنَ ٱلرَّجُلَ مِنْ قِيَادِهِ وَنَظَرَ إِلى ٱلْمَوْتِ أَمَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ حَوْلَهُ خَلْقٌ يَسِيرٌ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ ٱلْخَيْلِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَٱلْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا ٱلْوَلِيدِ أَجِرْنِي أَجَارَكَ ٱللهُ . فَوَقَفَ مَعْنٌ وَقَالَ لِلرَّجُلِ ٱلْمُتَعَلِّقِ بِهِ . مَا شَأْنُكَ وَهٰذَا . فَقَالَ لَهُ . إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : خَلِّ سَبِيلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : ٱنْزِلْ عَنْ دَابَّتِكَ وَٱحْمِلِ ٱلرَّجُلَ عَلَيْهَا وَٱنْطَلِقْ بِهِ إِلى مَنْزِلِي . فَصَاحَ ٱلرَّجُلُ ٱلْمُتَعَلِّقُ بِهِ : يَا مَعْشَرَ ٱلنَّاسِ مَعْنٌ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ بُغْيَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ

---

(١) اباحه

لَهُ مَعنٌ : اُذْهَبْ فَقُلْ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ عِنْدِي. فَانْطَلَقَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ . فَوَجَّهَ ٱلْمَهْدِيُّ إِلَى مَعْنٍ مَنْ يَحْضُرُ بِهِ فِي ٱلسَّاعَةِ . فَلَمَّا أَتَتْهُ رُسُلُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ دَعَا أَوْلَادَهُ وَمَمَالِيكَهُ وَأَقَارِبَهُ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُوذُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ : أُقْسِمُ عَلَيْكُمْ بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ مَكْرُوهٌ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ [١]

ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ أَتُجِيرُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَهْدِيُّ : وَنَعَمْ أَيْضاً ؟ وَٱشْتَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنٌ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ قَتَلْتُ فِي طَاعَتِكُمْ بِٱلْيَمَنِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفاً ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقَدَّمَ فِي دَوْلَتِكُمْ بَلَائِي [٢] وَحُسْنُ عَنَائِي ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَمِي ، أَفَمَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا أَنْ أُجِيرَ رَجُلًا وَاحِداً ٱسْتَجَارَ بِي بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَهْماً مِنْهُ أَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ أَصْحَابِ ٱلْحُظْوَةِ عِنْدَهُ . فَمُرْ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ فَأَطْرَقَ ٱلْمَهْدِيُّ مَلِيّاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سُرِّيَ عَنْهُ [٣] وَقَالَ : قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أَبَا ٱلْوَلِيدِ . فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِلَهُ بِصِلَةٍ يَعْلَمُ مِنْهَا مَوْقِعَ

---

(١) تنظر او تتحرك بالنظر (٢) يقال ابلى في الحرب بلاء حسنا اي اظهر بأسه حتى بلاه الناس وامتحنوه (٣) كشف عنه ما كان يجده من الغضب

ٱلرِّضى فَيَكُونُ قَدْ أَحيَاهُ وَأَغْنَاه. لِأَنَّ قَلْبَ ٱلرَّجُلِ قَدِ ٱنْخَلَعَ مِنْ صَدْرِهِ خَوْفاً. فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ. قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلفَ دِرْهَمٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صِلاتِ ٱلْخُلَفَـاء عَلى قَدَرِ جِنَايَاتِ ٱلرَّعِيَّةِ، وَإِنَّ ذَنْبَ ٱلرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزِلْ لَهُ ٱلصِّلَةَ. قَالَ: قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَـالَ لَهُ مَعْنٌ: عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْبِرِّ عَاجِلُهُ. فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا. ثُمَّ ٱنْصَرَفَ مَعْنٌ إِلى مَنْزِلِهِ وَلَحِقَهُ ٱلْمَـالُ فَدَعَا ٱلرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ: خُذْ صِلَةَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْحَقْ بِأَهْلِكَ، وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ ٱلْخُلَفَـاء وَٱلتَّعَرُّضَ لِمَسَاخِطِهِمْ. فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلْمَالَ وَشَكَرَ لِمَعْنٍ حُسْنَ صَنِيعِهِ، وَدَعَا لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْعِزِّ وَٱلتَّأْيِيدِ

ٱلمَالُ يُكَثِّرُ ٱلْأَنْصَارَ

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ سُوَيْدٍ: أَعْدَمَ أَبِي إِعْدَامَـةً[1] بِٱلْبَصْرَةِ وَأَبْغَضَ. فَخَرَجَ إِلى خُرَاسَانَ فَلَمْ يُصِبْ بِهَا طَوْلًا[2]. فَبَيْنَمَا هُوَ يَشْكُو تَعَذُّرَ ٱلْأَشْيَاء عَلَيْهِ إِذْ عَـدَا غُلَامُهُ عَلى كِسْوَتِهِ وَبَغْلَتِهِ فَذَهَبَ بِهِمَا. فَأَتَى أَبَا سَاسَانَ حُضَيْنَ بْنَ ٱلْمُنْذِرِ ٱلرَّقَاشِيَّ فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو سَاسَانَ: وَٱللهِ يَا ٱبْنَ أَخِي مَا عَمُّكَ

---

(١) اي افتقر افتقارًا (٢) الطول الغنى

مِمَّنْ يَحمِلُ مَحَامِلَكَ ، وَلَعَلِّي أَنْ أَحتَالَ لَكَ . فَدَعَا بِكُسْوَةٍ حَسَنَةٍ فَأَلبَسَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ : اَمضِ بِنَا ، فَأَتَى بَابَ وَالِي خُرَاسَانَ فَدَخَلَ وَتَرَكَهُ بِٱلبَابِ . فَلَمْ يَلبَثْ أَنْ خَرَجَ ٱلحَاجِبُ فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بنُ سُوَيدٍ . فَدَخَلَ إِلى ٱلوَالِي فَإِذَا حُضَينٌ على فِرَاشٍ جَنْبَهُ . فَسَلَّمَ عَلى ٱلوَالِي فَرَدَّ عَلَيهِ . ثُمَّ أَقبَلَ عَلَيهِ حُضَينٌ فَقَالَ : أَصلَحَ ٱللهُ ٱلأَمِيرَ هٰذَا عَلِيُّ بنُ سُوَيدٍ ، سَيِّدُ فِتيَانِ بَكرِ بنِ وَائِلٍ ، وَٱبنُ سَيِّدِ كُهُولِهَا ، وَأَكثَرُ ٱلنَّاسِ مَالًا حَاضِراً بِٱلبَصرَةِ وَفِي كُلِّ مَوضِعٍ مَلَكَتْ بِهِ بَكرُ بنُ وَائِلٍ مَالًا . وَقَدْ تَجَمَّلَ [1] بِي إِلى ٱلأَمِيرِ فِي حَاجَةٍ . قَالَ : هِيَ مَقضِيَّةٌ . قَالَ : فَإِنَّهُ يَسأَلُكَ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ مِنْ مَالِهِ وَمَرَاكِبِهِ وَسِلاحِهِ إِلى مَا أَحبَبتَ . قَالَ : لَا وَٱللهِ لَا أَفعَلُ ذٰلِكَ بِهِ ، نَحنُ أَولى بِزِيَادَتِهِ . قَالَ : فَقَدْ أَعفَينَاكَ مِنْ هٰذِهِ إِذَا كَرِهتَهَا . فَهُوَ يَسأَلُكَ أَنْ تُحَمِّلَهُ حَوَائِجَكَ . قَالَ إِنْ كَانَتْ حَاجَةٌ فَهُوَ فِيهَا ثِقَةٌ ، وَلٰكِنْ أَسأَلُكَ أَنْ تُكَلِّمَهُ فِي قَبُولِ مُعَاوَنَةٍ مِنَّا . فَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ يُرَى عَلى مِثلِهِ مِنْ أَثَرِنَا . فَأَقبَلَ حُضَينٌ على عَلِيٍّ فَقَالَ : يَا أَبَا ٱلحَسَنِ عَزَمتُ عَلَيكَ أَلَّا تَرُدَّ على عَمِّكَ شَيْئاً أَكرَمَكَ بِهِ . فَسَكَتَ . قَالَ : فَدَعَا لَهُ بِمَالٍ وَدَوَابَّ وَكَسَاوٍ وَرَقِيقٍ [2] فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا أَبَا سَاسَانَ لَقَدْ أَوقَفتَنِي عَلى خُطَّةٍ [3]

---

(١) تلطف (٢) الرقيق المملوك (٣) الخطة الامر

مَا وَقَفْتُ عَلى مِثْلِهَا . قَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَمَكَ أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ . إِنَّ النَّاسَ إِنْ عَلِمُوا لَكَ غِرَارَةً [١] مِنْ مَالٍ حَشَوْا لَكَ أُخْرَى ، وَإِنْ يَعْلَمُوكَ فَقِيراً تَعَدَّوْا عَلَيْكَ مَعَ فَقْرِكَ

لَا شَيْءَ أَرْفَعُ فِي الذِّكْرِ مِنَ الجُودِ

إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُدِيلُ [٢] بَيْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَمَرْوَانَ ابْنِ الْحَكَمِ فِي وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا دَخَلَ سَعِيدٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَرْوَانَ . قَالَ : تَرَكْتُهُ مُنَفِّذاً لِأَمْرِكَ مُصْلِحاً لِعَمَلِكَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّهُ كَصَاحِبِ الْخُبْزَةِ كَفَى إِنْضَاجَهَا [٣] فَأَكَلَهَا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مِنْ قَوْمٍ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا حَصَدُوا ، وَلَا يَحْصُدُونَ إِلَّا مَا زَرَعُوا . قَالَ فَمَا الَّذِي بَاعَدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . قَالَ خِفْتُهُ عَلَى شَرَفِي وَخَافَنِي عَلَى مِثْلِهِ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَهُ عِنْدَكَ . قَالَ : أَسُوءُهُ حَاضِراً وَأَسُرُّهُ غَائِباً . قَالَ : يَا أَبَا عُثْمَانَ تَرَكْتَنَا فِي هٰذِهِ الْحُرُوبِ . قَالَ : حَمَلْتَ الثِّقْلَ وَكُفِيتَ الْحَزْمَ [٤] . قَالَ : فَمَا أَبْطَأَ بِكَ . قَالَ : غَنَاؤُكَ عَنِّي ، وَكُنْتُ قَرِيباً لَوْ دَعَوْتَ لَأَجَبْنَاكَ ، وَلَوْ أَمَرْتَ لَأَطَعْنَاكَ . قَالَ : ذٰلِكَ ظَنُّنَا

---

(١) الغرارة العدل الكبير (٢) اي ينزع الولاية من احدهما ويعطيها الآخر على التداول (٣) اي جعله كافياً (٤) اي كان حزمك كافياً لك ومغنياً عن مساعدة غيرك

بِكَ . فَأَقْبَلَ مُعَـاوِيَةُ على أَهْلِ ٱلشَّامِ فقَالَ : يَا أَهْلَ ٱلشَّامِ هٰؤُلَاءِ قَوْمِي وَهٰذَا كَلامُهُمْ . ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ مَالِكَ فَقَدْ نُبِّئْتُ أَنَّكَ تَتَحَرَّى [1] فِيهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَنَـا مَالٌ يَخْرُجُ لنَا مِنْهُ فَضْلٌ . فَإِذَا كانَ مَا خَرَجَ قَلِيلًا أَنْفَقْنَاهُ عَلَى قِلَّتِهِ ، وَإِنْ كانَ كَثِيراً فَكَذٰلِكَ . غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَدَّخِرُ مِنْـهُ شَيْئاً عَنْ مُعْسِرٍ وَلَا طَالِبٍ وَلَا مُخْتَلٍّ [2] ، وَلَا نَسْتَأْثِرُ مِنْهُ بِفِلْذَةِ [3] لَحْمٍ وَلَا مِزْعَةِ [4] شَحْمٍ . قَالَ : فَكَمْ يَدُومُ لَكَ هٰـذَا . قَالَ : مِنَ ٱلسَّنَةِ نِصْفَهَا . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ فِي بَاقِيهَا . قَالَ : نَجِدُ مَنْ يُسْلِفُنَا [5] وَيُسَارِعُ إِلَى مُعَامَلَتِنَا . قَالَ : مَا أَحَـدٌ أَحْوَجُ إِلى أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ مِنْكَ . قَالَ : إِنَّ شَأْنَنَـا لَصَالِحٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ زِدْتَ فِي مَالِي مِثْلَهُ مَا كُنْتُ إِلَّا بِمِثْلِ هٰـذِهِ ٱلْحَالِ . فَأَمَرَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : ٱشْتَرِ بِهَا ضَيْعَـةً تُعِينُكَ عَلى مُرُوءَتِكَ . فقَالَ سَعِيدٌ . بَلْ أَشْتَرِي بِهَا حَمْداً وَذِكْراً بَاقِياً . أُطْعِمُ بِهَا ٱلْجَائِعَ ، وَأُزَوِّجُ بِهَا ٱلْأَيِّمَ [6] ، وَأَفُكُّ بِهَا ٱلْعَانِيَ [7] ، وَأُوَاسِي بِهَا ٱلصَّدِيقَ ، وَأُصْلِحُ بِهَا حَالَ ٱلْجَارِ . فَلَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَعِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ . فقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا فَضِيلَةٌ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ أَرْفَعَ

---

(١) تطلب ما هو احرى واولى (٢) محتاج (٣) قطعة (٤) قطعـة (٥) يقرضنا (٦) الايم من لا زوج لها (٧) الاسير

فِي ٱلذِّكْرِ وَلَا أَنْبَهَ [1] فِي ٱلشَّرَفِ مِنَ ٱلْجُودِ

أَلعَفْوُ مِنْ شِيَمِ ٱلكِرَامِ

قَالَ ٱلشَّعْبِيُّ : ٱسْتَأْذَنَتْ بَكَّارَةُ ٱلْهِلَالِيَّةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ . فَأَذِنَ لَهَا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِٱلْمَدِينَةِ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ قَدْ أَسَنَّتْ وَعَشَا [2] بَصَرُهَا وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا . فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ فَرَدَّ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ ٱلسَّلَامَ وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَةُ . فَقَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: غَيَّرَكِ ٱلدَّهْرُ . قَالَتْ كَذٰلِكَ هُوَ ذُو غِيَرٍ مَنْ عَاشَ كَبِرَ ، وَمَنْ مَاتَ فُقِدَ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ : هِيَ وَٱللهِ ٱلْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ :

يَا زَيْدُ دُونَكَ فَٱحْتَفِرْ مِنْ دَارِنَا
سَيْفاً حُسَاماً فِي ٱلتُّرَابِ دَفِينَا
قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ [3]
فَٱلْيَوْمَ أَبْرَزَهُ ٱلزَّمَانُ مَصُونَا

وَقَالَ مَرْوَانُ : هِيَ وَٱللهِ ٱلْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ :

أَتُرَى ٱبْنُ هِنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكاً هَيْهَاتِ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

---

(١) اشرف واشهر (٢) عشا الرجل اذا ساء بصره بالليل والنهار او ابصر بالنهار ولم يبصر بالليل (٣) حرب

مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي ٱلْخَلاءِ ضَلالَةً[1] أَغْرَاكَ عَمْرٌو لِلشَّقَا وَسَعِيدُ

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ ٱلْعَاصِ : هِيَ وَٱللهِ ٱلْقَائِلَةُ :

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى
فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ مِنْ أُمَيَّةَ خَاطِبَا
فَٱللهُ أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلَتْ
حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ ٱلزَّمَانِ عَجَائِبَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَزَالُ خَطِيبُهُمْ
بَيْنَ ٱلْجَمِيعِ لِآلِ أَحْمَدَ عَائِبَا

ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ : يَا مُعَاوِيَةُ كَلَامُكَ أَعْشَى بَصَرِي وَقَصَّرَ حُجَّتِي ، أَنَا وَٱللهِ قَائِلَةُ مَا قَالُوا وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ . فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذٰلِكَ مِنْ بِرِّكِ . قَالَتْ حَسْبِي عَفْوُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَحِلْمُهُ . وَٱنْصَرَفَتْ تَنْشُرُ أَلْوِيَةَ ٱلْحَمْدِ وَتُطْلِقُ أَلْسِنَةَ ٱلشُّكْرِ

إِمْرَأَةٌ أَشَدُّ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ جُرْأَةً

حَكَى عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَمْرٍو ٱلْغَسَّانِيُّ عَنِ ٱلشَّعْبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَسْمُرُ[2] مَعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ : بَيْنَمَا مُعَاوِيَةُ

(١) اي جعلت الضلالة من امانيك (٢) يتحدث ليلًا

ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَ عَمْرٍو وَسَعِيدٍ وَعُتْبَةَ وَٱلْوَلِيدِ إِذْ ذَكَرُوا ٱلزَّرْقَاءَ
ٱبْنَةَ عَدِيِّ بْنِ قَيْسٍ ٱلْهَمْدَانِيَّةَ . وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ قَوْمِهَا
وَقَائِعَ صِفِّينَ . فَقَالُوا : إِنَّهَا كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ تُسْمِعُ
أَصْحَابَ عَلِيٍّ كَلَاماً كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحِثَّةً لَهُمْ عَلَى ٱلْقِتَالِ بِقَوْلٍ
لَوْ سَمِعَهُ ٱلْجَبَانُ لَقَاتَلَ ، وَٱلْمُدْبِرُ لَأَقْبَلَ ، وَٱلْمُسَالِمُ لَحَارَبَ ،
وَٱلْفَارُّ لَكَرَّ ، وَٱلْمُتَزَلْزِلُ لَٱسْتَقَرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ
كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ
فِي أَمْرِهَا . فَقَالُوا نُشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لِذٰلِكَ . فَقَالَ
لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بِئْسَ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ ، وَقُبْحاً لِمَا قُلْتُم . أَيَحْسُنُ بِمِثْلِي
أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَ ٱمْرَأَةً بَعْدَ مَا ظَفِرَ بِهَا . فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ
بِٱلْكُوفَةِ أَنْ يُوفِدَهَا[1] إِلَيْهِ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ ذَوِي مَحَارِمِهَا وَفُرْسَانٍ
مِنْ قَوْمِهَا . وَأَنْ يُمَهِّدَ لَهَا وِطَاءً[2] لَيِّناً ، وَمَرْكَباً ذَلُولاً ، وَيُوسِعَ
لَهَا فِي ٱلنَّفَقَةِ . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا .
فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ ٱلْخِيَارَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ،
وَإِنْ كَانَ قَدْ حَتَمَ فَٱلطَّاعَةُ أَوْلَى . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ[3] وَجَعَلَ غِشَاءَهُ
خَزّاً مُبَطَّناً ، وَأَحْسَنَ جِهَازَهَا[4] عَلَى مَا أُمِرَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى

---

(١) يرسلها (٢) الوطاء خلاف الغطاء (٣) الهودج مركب للنساء مستدير مقبب (٤) جهازها ما تحتاج إليه

مُعَاوِيَةَ قالَ لَها : مَرْحباً وَأَهْلاً ، قَدِمْتِ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حالُكِ يا خالَةُ . قالَتْ : بِخَيْرٍ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدامَ ٱللهُ لَكَ ٱلنِّعْمَةَ . قالَ : كَيْفَ كُنْتِ فِي مَسِيرِكِ . قالَتْ : رَبِيبَةَ[1] بَيْتٍ أَوْ طِفْلاً مُمَهَّداً . قالَ بِذٰلِكَ أَمَرْنَاهُمْ . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ . قالَتْ : أَنَّى لِي بِعِلْمِ ٱلْغَيْبِ . قالَ : أَلَسْتِ ٱلرَّاكِبَةَ ٱلْجَمَلَ ٱلْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَٱلْوَاقِفَةَ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ تَحُضِّينَ عَلى ٱلْقِتَالِ وَتُوقِدِينَ نَارَ ٱلْحَرْبِ . فَمَا حَمَلَكِ عَلى ذٰلِكَ . قالَتْ: يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَاتَ ٱلرَّأْسُ وَبُتِرَ[2] ٱلذَّنَبُ ، وَلَمْ يَعُدْ مَا ذَهَبَ . وَٱلدَّهْرُ ذُوغِيَرٍ وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَٱلْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ ٱلْأَمْرُ . فَقَالَ لَها مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتِ فَهَلْ تَحْفَظِينَ كَلامَكِ يَوْمَئِذٍ . قالَتْ . لا وَٱللهِ . قالَ لٰكِنِّي أَحْفَظُهُ فَلَقَدْ كُنْتِ تَقُولِينَ : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱرْعَوُوا وَٱرْجِعُوا إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلابِيبَ ٱلظُّلَمِ وَجَارَتْ[3] بِكُمْ عَنْ قَصْدِ ٱلْمَحَجَّةِ[4] . فَيَا لَهَا فِتْنَةً عَمْيَاءَ صَمَّاءَ بَكْمَاءَ لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقٍ وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدٍ . إِنَّ ٱلْمِصْبَاحَ لا يُضِيءُ فِي ٱلشَّمْسِ ، وَإِنَّ ٱلْكَوَاكِبَ لَا تُنِيرُ مَعَ ٱلْقَمَرِ ، وَإِنَّ ٱلْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ ٱلْفَرَسَ ، وَلَا يَقْطَعُ ٱلْحَدِيدَ إِلَّا ٱلْحَدِيدُ . أَلَا مَنِ ٱسْتَرْشَدَنَا أَرْشَدْنَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا

---

(١) مؤنث ربيب وهو المربَّى (٢) انقطع (٣) مالت وحالت
(٤) المحجة جادة الطريق اي معظمه ووسطه

أَخبَرْنَاهُ . أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلحَقَّ كانَ يَطلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا . فَصَبْراً يَا مَعْشَرَ ٱلمُهَاجِرِينَ عَلى ٱلغُصَصِ فَكأَنَّكُمْ وَقَدِ ٱلتَأَمَ شَمْلُ ٱلشَّتَاتِ ، وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ ٱلعَدْلِ ، وَغَلَبَ ٱلحَقُّ ٱلبَاطِلَ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي ٱلمُحِقُّ وَٱلمُبْطِلُ ، فَٱلنِّزَالَ ٱلنِّزَالَ وَٱلصَّبْرَ ٱلصَّبْرَ . أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ ٱلنِّسَاءِ ٱلحِنَّاءُ ، وَخِضَابَ ٱلرِّجَالِ ٱلدِّمَاءُ ، وَٱلصَّبْرُ خَيْرُ ٱلأُمُورِ عَاقِبَةً . إِيتُوا ٱلحَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ وَلَا مُتَشَاكِسِينَ[1] ثُمَّ قَالَ لَهَا : وَٱللهِ يَا زَرْقَاءُ لَقَدْ شَارَكْتِ عَلِيّاً فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ ٱللهُ بِشَارَتَكَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ فَمِثْلُكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسُرُّ جَلِيسَهُ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوَقَدْ سَرَّكِ ذٰلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَٱللهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ وَأَنَّى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ . وَٱللهِ لَوَفَاؤُكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ . فَٱذْكُرِي حَوَائِجَكِ تُقْضَ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ : آلَيْتُ عَلى نَفْسِي أَلَّا أَسْأَلَ أَحَداً بَعْدَ عَلِيٍّ حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكِ بِقَتْلِكِ . فَقَالَتْ : لُؤْمٌ مِنَ ٱلمُشِيرِ ، وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَشَارَكْتَهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكِ وَنُحْسِنُ إِلَيْكِ وَنَرْعَاكِ . فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ : كَرَمٌ مِنْكَ وَمِثْلُكَ مَنْ قَدَرَ فَعَفَا ، وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ ، وَأَعْطَى عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَجَادَ عَنْ غَيْرِ طَلَبَةٍ . قَالَ :

(١) متخالفين

صَدَقْتِ وَأَمَرَ لَهَا وَلِلَّذِينَ جَاؤُوا مَعَهَا بِجَوَائِزَ وَكِسَاءٍ وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً (١) تُغِلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً ، وَكَتَبَ إِلَى وَالِي ٱلْكُوفَةِ بِٱلْوَصِيَّةِ بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَعَذَّبَهُ وَٱسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ . فَتَوَصَّلَ يَزِيدُ بِحُسْنِ تَلَطُّفِهِ إِلَى ٱسْتِمَالَةِ ٱلسَّجَّانِ وَسَوَّلَ لَهُ ٱلْفِرَارَ فَهَرَبَا مَعاً وَقَصَدَا ٱلشَّامَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . وَكَانَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱلْوَلِيدَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ . فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ . فَكَتَبَ ٱلْحَجَّاجُ إِلَى ٱلْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ هَرَبَ مِنَ ٱلسِّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْياً . فَكَتَبَ ٱلْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بِذٰلِكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَا أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ ٱلْمُهَلَّبِ إِلَّا لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ مِنْ

(١) اي جعل لها علتها رزقاً

صَنائِعِنا [1] قَدِيماً وَحَدِيثاً . وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَكانَ ٱلْحَجَّاجُ قَدْ قَصَدَهُ وَعَذَّبَهُ وَأَغْرَمَهُ [2] أَرْبَعَةَ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ظُلْماً . ثُمَّ طالَبَهُ بَعْدَها بِثَلاثَةِ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَقَدْ صارَ إِلَيَّ وَٱسْتَجارَ بِي فَأَجَرْتُهُ . وَأَنا أَغْرَمُ عَنْهُ هٰذِهِ ٱلثَّلاثَةَ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ . فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْكَرَمِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ ٱلْوَلِيدُ : أَنْ لا بُدَّ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مَغْلُولاً مُقَيَّداً . فَلَمَّا وَرَدَ ذٰلِكَ عَلى سُلَيْمانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ وَدَعا بِيَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ فَقَيَّدَهُ . ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هٰذا إِلى قَيْدِ هٰذا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّهُما جَمِيعاً بِغُلَّيْنِ [3] وَأَرْسَلَهُما إِلى أَخِيهِ ٱلْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ يَزِيدَ وَٱبْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثالِثَهُما : فَإِنْ هَمَمْتَ يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَبِٱللّٰهِ عَلَيْكَ ٱبْدَأْ بِأَيُّوبَ مِنْ قَبْلِهِ ثُمَّ ٱجْعَلْ يَزِيدَ ثانِياً وَٱجْعَلْنِي إِذا شِئْتَ ثالِثاً وَٱلسَّلامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمانَ عَلى ٱلْوَلِيدِ فِي سِلْسِلَةٍ واحِدَةٍ أَطْرَقَ ٱلْوَلِيدُ ٱسْتِحْياءً وَقالَ : لَقَدْ أَسَأْنا إِلى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَغْنا بِهِ هٰذا ٱلْمَبْلَغَ . فَأَخَذَ يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَحْتَجُّ لِنَفْسِهِ .

(١) جمع صنيعة تقول هذا صنيعتي اذا ربيته وخرجته واختصصته بالصنع الجميل

(٢) اي الزمه اداء (٣) مثنى غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق او اليد

فَقَالَ لَهُ ٱلوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ إِلى كَلامٍ فَقَدْ قَبِلْنَا عُذْرَكَ ، وَعَلِمْنَا ظُلْمَ ٱلحَجَّاجِ . ثُمَّ إِنَّهُ ٱسْتَحْضَرَ حَدَّاداً فَأَزَالَ عَنْهُمَا ٱلحَدِيدَ ، وَوَصَلَ ٱلوَلِيدُ أَيُّوبَ بْنَ أَخِيهِ بِثَلاثِينَ أَلفَ دِرْهَمٍ ، وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ ٱلمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلى سُلَيْمَانَ . وَكَتَبَ كِتَاباً إِلى ٱلحَجَّاجِ يَقُولُ لَهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ ٱلمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ ٱليَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ إِلى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلمَلِكِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى ٱلمَرَاتِبِ وَأَرْفَعِ ٱلمَنَازِلِ

بِئْسَ ٱلسِّعَايَةَ وَنِعْمَ ٱلعَفْوَ

قَالَ ٱلرَّبِيعُ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَرْبَطَ جَأْشاً [١] وَأَثْبَتَ جَنَاناً وَأَظْهَرَ حُجَّةً مِنْ رَجُلٍ سُعِيَ بِهِ إِلى ٱلمَنْصُورِ أَنَّ عِنْدَهُ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمَيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ٱلمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا أَنَّ عِنْدَكَ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا وَسِلاحاً لِبَنِي أُمَيَّةَ فَأَحْضِرْهَا إِلَيْنَا وَلَا تَكْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ أَنتَ وَارِثُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَوَصِيٌّ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَرِبَاعِهِمْ [٢] . قَالَ : لَا . قَالَ فَلِمَ تَسْأَلُ إِذاً عَمَّا فِي يَدِي مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ فَأَطْرَقَ ٱلمَنْصُورُ وَتَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِنَّ بَنِي

---

(١) ربط جأشه اذا اشتد قلبه والجأش اضطراب القلب عند الفزع

(٢) جمع ربع بمعنى الدار والمنزل

أُمَيَّةَ ظَلَمُوا ٱلْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَأَنَا وَكِيلُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي حُقُوقِهِمْ وَأُرِيدُ أَنْ آخُذَ مَا ظَلَمُوا ٱلْمُسْلِمِينَ فِيهِ فَأَجْعَلَهُ فِي بَيْتِ أَمْوَالِهِمْ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَحْتَاجُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلى إِقَامَةِ بَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ تَشْهَدُ أَنَّ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي لِبَنِي أُمَيَّةَ هُوَ ٱلَّذِي فِي يَدِي ، وَأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي غَصَبُوهُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ أَمْوَالٌ لِأَنْفُسِهِمْ غَيْرُ أَمْوَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَأَطْرَقَ ٱلْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا رَبِيعُ مَا أَرَى ٱلشَّيْخَ إِلَّا قَدْ صَدَقَ . فَمَا يَجِبُ لَنَا عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَا يَسَعُنَا إِلَّا أَنْ نَعْفُوَ عَمَّا قِيلَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ مَا هِيَ . قَالَ : أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي إِلَيْكَ . فَوَٱللهِ ٱلَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا لِبَنِي أُمَيَّةَ عِنْدِي مَالٌ وَلَا سِلَاحٌ ، وَلٰكِنَّنِي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَلِمْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ وَٱتِّبَاعِ ٱلْحَقِّ وَٱجْتِنَابِ ٱلْمَظَالِمِ فَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي صَدَرَ مِنِّي هُوَ أَقْرَبُ إِلى ٱلْخَلَاصِ وَٱلنَّجَاةِ . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : يَا رَبِيعُ ٱجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِهِ . فَجَمَعْتُ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : هٰذَا غُلَامِي ٱخْتَلَسَ لِي ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبَقَ[1] مِنِّي وَخَافَ مِنْ طَلَبِي لَهُ فَسَعَى بِي عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

(١) ابق العبد ذهب بلا خوف ولا كد عمل

فَشَدَّدَ ٱلْمَنْصُورُ عَلى ٱلْغُلَامِ وَخَوَّفَهُ فَأَقَرَّ بِأَنَّهُ غُلامُهُ وَأَنَّهُ أَخَذَ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ، وَسَعَى بِهِ كَذِباً عَلَيْهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي يَدِهِ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: قَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَفَوْتُ عَنْهُ وَأَعْتَقْتُهُ وَوَهَبْتُهُ ثَلاثَةَ آلَافٍ إِخْرَى أَدْفَعُهَا إِلَيْهِ لِأَجْلِ وُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَحُضُورِي مَجْلِسَكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: مَا عَلَى مَا فَعَلْتَ مِنْ مَزِيدٍ. قَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هٰذَا كُلَّهُ لَقَلِيلٌ فِي مُقَابَلَةِ كَلَامِكَ لِي وَعَفْوِكَ عَنِّي. فَٱسْتَحْسَنَ ٱلْمَنْصُورُ كَلامَهُ وَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلى بَلَدِهِ مُعَزَّزاً. وَكَانَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هٰذَا ٱلشَّيْخِ قَطُّ، وَلَا أَثْبَتَ مِنْ جَنَانِهِ، وَلَا أَوْسَعَ مِنْ حِلْمِهِ، وَلَا مَنْ حَجَّنِي مِثْلَهُ

مُرُوءَةٌ نَادِرَةٌ وَوَفَاءٌ عَجِيبٌ

حُكِيَ أَنَّ ٱلنُّعْمَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ لَهُ يَوْمَيْنِ: يَوْمَ بُؤْسٍ، مَنْ صَادَفَهُ فِيهِ قَتَلَهُ وَأَرْدَاهُ، وَيَوْمَ نُعْمٍ [١] مَنْ لَقِيَهُ فِيهِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَغْنَاهُ. وَٱتَّفَقَ أَنَّ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَفْرَاءَ ٱلطَّائِيَّ قَدْ رَمَاهُ حَادِثُ دَهْرِهِ بِسِهَامِ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ، فَأَخْرَجَتْهُ ٱلْفَاقَةُ مِنْ مَحَلِّ ٱسْتِقْرَارِهِ لِيَرْتَادَ [٢] شَيْئاً لِصِبْيَتِهِ وَصِغَارِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ صَادَفَهُ

(١) النعم ضد البؤس (٢) ليطلب

ٱلنُّعْمَانُ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلطَّائِيُّ عَلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَأَنَّ دَمَهُ مَطْلُولٌ [١] فَقَالَ حَيَّا ٱللهُ ٱلْمَلِكَ إِنَّ لِي صِبْيَةً صِغَاراً وَأَهْلًا جِيَاعاً . وَقَدْ أَرَقْتُ مَاءَ وَجْهِي فِي ٱلْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْبُلْغَةِ [٢] لَهُمْ . وَقَدْ أَقْدَمَنِي سُوءُ ٱلْحَظِّ عَلَى ٱلْمَلِكِ فِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْعَبُوسِ . وَقَدْ قَرُبْتُ مِنْ مَقَرِّ ٱلصِّبْيَةِ وَٱلْأَهْلِ وَهُمْ عَلَى شَفَا [٣] تَلَفٍ [٤] مِنَ ٱلطَّوَى [٥] وَلَنْ يَتَفَاوَتَ [٦] ٱلْحَالُ فِي قَتْلِي بَيْنَ أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ وَآخِرِهِ . فَإِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أُوصِلَ إِلَيْهِمْ هٰذَا ٱلْقُوتَ وَأُوصِيَ بِهِمْ أَهْلَ ٱلْمُرُوءَةِ مِنَ ٱلْحَيِّ لِئَلَّا يَهْلِكُوا ضَيَاعاً . ثُمَّ أَعُودُ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأُسَلِّمَ نَفْسِي لِنَفَاذِ [٧] أَمْرِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنُّعْمَانُ صُورَةَ مَقَالِهِ وَفَهِمَ حَقِيقَةَ حَالِهِ وَرَأَى تَلَهُّفَهُ عَلَى ضَيَاعِ أَطْفَالِهِ رَقَّ لَهُ وَرَثَى لِحَالِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: لَا آذَنُ لَكَ حَتَّى يَضْمَنَكَ رَجُلٌ مَعَنَا فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ قَتَلْنَاهُ . وَكَانَ شَرِيكُ بْنُ عَدِيٍّ نَدِيمُ ٱلنُّعْمَانِ مَعَهُ فَٱلْتَفَتَ إِلَى شَرِيكٍ وَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ   مَا مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱنْهِزَامْ
مَنْ لِأَطْفَالٍ ضِعَافٍ   عَدِمُوا طَعْمَ ٱلطَّعَامْ
بَيْنَ جُوعٍ وَٱنْتِظَارٍ   وَٱفْتِقَارٍ وَسَقَامْ

(١) مهدور ومباح (٢) البلغة ما يكتفى به من العيش (٣) طرف (٤) هلاك (٥) الجوع (٦) يختلف (٧) اقضاء

يَا أَخَا كُلِّ كَرِيمٍ   أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ كِرَامْ
يَا أَخَا ٱلنُّعْمَانِ جُدْ لِي   بِضَمَانٍ وَٱلْتِزَامْ
وَلَكَ ٱللهُ بِأَنِّي   رَاجِعٌ قَبْلَ ٱلظَّلَامْ

فَقَالَ شَرِيكٌ : أَصْلَحَ ٱللهُ ٱلْمَلِكَ ، عَلَيَّ ضَمَانُهُ . فَمَرَّ ٱلطَّائِيُّ مُسْرِعاً وَصَارَ ٱلنُّعْمَانُ يَقُولُ لِشَرِيكٍ : إِنَّ صَدْرَ ٱلنَّهَارِ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ ٱلرَّجُلُ . وَشَرِيكٌ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ ٱلْمَسَاءُ . فَلَمَّا قَرُبَ ٱلْمَسَاءُ قَالَ ٱلنُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ : قَدْ جَاءَ وَقْتُكَ قُمْ فَتَأَهَّبْ لِلْقَتْلِ . فَقَالَ شَرِيكٌ : هٰذَا شَخْصٌ قَدْ لَاحَ مُقْبِلًا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ ٱلطَّائِيَّ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَأَمْرُ ٱلْمَلِكِ مُمْتَثَلٌ . قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ وَإِذَا بِٱلطَّائِيِّ قَدِ ٱشْتَدَّ عَدْوُهُ فِي سَيْرِهِ مُسْرِعاً حَتَّى وَصَلَ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ يَنْقَضِيَ ٱلنَّهَارُ قَبْلَ وُصُولِي . ثُمَّ وَقَفَ قَائِماً وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مُرْ بِأَمْرِكَ . فَأَطْرَقَ ٱلنُّعْمَانُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَٱللهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكُمَا . أَمَّا أَنْتَ يَا طَائِيُّ فَمَا تَرَكْتَ لِأَحَدٍ فِي ٱلْوَفَاءِ مَقَاماً يَقُومُ فِيهِ ، وَلَا ذَاكِراً يَفْتَخِرُ بِهِ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا شَرِيكُ فَمَا تَرَكْتَ لِكَرِيمٍ سَمَاحَةً يُذْكَرُ بِهَا فِي ٱلْكُرَمَاءِ فَلَا أَكُونُ أَنَا أَلْأَمَ ٱلثَّلَاثَةِ . أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ يَوْمَ بُؤْسِي عَنِ ٱلنَّاسِ وَنَقَضْتُ عَادَتِي كَرَامَةً لِوَفَاءِ ٱلطَّائِيِّ وَكَرَمِ شَرِيكٍ . فَقَالَ ٱلطَّائِيُّ .

وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمُ مِنَ ٱلْإِضْلَالِ
إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنِّي ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفَعَالُ[1] كُلِّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالِ

فَقَالَ لَهُ ٱلنُّعْمَانُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ٱلْوَفَاءِ وَفِيهِ إِتْلَافُ نَفْسِكَ. فَقَالَ : دِينِي . فَمَنْ لَا وَفَاءَ فِيهِ لَا دِينَ لَهُ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ٱلنُّعْمَانُ وَوَصَلَهُ بِمَا أَغْنَاهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى أَهْلِهِ مُكَرَّماً ، وَأَنَالَهُ مَا تَمَنَّاهُ

ٱلْبَرِيءُ لَا يَهَابُ

رُفِعَ إِلَى هٰرُونَ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ بِدِمَشْقَ رَجُلاً مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةَ عَظِيمَ ٱلْمَالِ عَرِيضَ ٱلْجَاهِ رَفِيعَ ٱلْمَكَانَةِ فِي قَوْمِهِ ، مُطَاعاً فِي بَلَدِهِ ، لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِيكُ يَرْكَبُونَ ٱلْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ ٱلسِّلَاحَ وَيَغْزُونَ ٱلرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمْحٌ جَوَادٌ كَثِيرُ ٱلْبَذْلِ وَٱلضِّيَافَةِ حَتَّى يُخْشَى عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ مِنْهُ . وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ بِٱلْكُوفَةِ فَعَظُمَ ٱلْأَمْرُ عَلَيْهِ فَٱسْتَدْعَى خَادِماً لَهُ يُسَمَّى مَنَارَةَ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ يُهِمُّنِي وَقَدْ مَنَعَنِي ٱلنَّوْمَ فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَ ٱلْأُمَوِيِّ وَقَالَ : ٱرْكَبِ ٱلسَّاعَةَ إِلَى دِمَشْقَ وَخُذْ مَعَكَ مِائَةَ غُلَامٍ وَٱئْتِنِي بِذٰلِكَ ٱلْأُمَوِيِّ . وَهٰذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ ، وَهٰذِهِ قُيُودٌ فَٱبْدَأْ بِٱلرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَيِّدْهُ

(١) الفعال الفعل الحسن والكرم وهو معطوف على الوفاء

وَجِئْنِي بِهِ ، وَإِنْ عَصَى فَٱحْتَفِظْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِئَلَّا يَهْرُبَ وَأَنْفِذِ ٱلْكِتَابَ إِلى أَمِيرِ دِمَشْقَ لِيَكُونَ مُسَاعِداً لَكَ وَٱقْبِضَا عَلَيْهِ وَجِئْنِي بِهِ بَعْدَ أَنْ تَتَفَقَّدَ دَارَهُ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَغِلْمَانِهِ ، وَتُحْصِي جَمِيعَ مَا تَرَاهُ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ حَرْفاً بِحَرْفٍ مُنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَشُذَّ عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَهٰذَا مَحْمَلٌ تَجْعَلُ ٱلرَّجُلَ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيَّدْتَهُ وَتَقْعُدُ أَنْتَ فِي ٱلشِّقَّةِ ٱلْأُخْرَى ، وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلى غَيْرِكَ حَتَّى تَجِيئَنِي بِهِ . وَقَدْ أَجَّلْتُكَ لِذَهَابِكَ سِتًّا وَلِإِيَابِكَ سِتًّا وَيَوْماً لِمُقَامِكَ فَيَكُونُ مَوْعِدُ عَوْدَتِكَ بِهِ إِلَيَّ بَعْدَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْماً مِنْ خُرُوجِكَ . سِرْ عَلى بَرَكَةِ ٱللّٰهِ . قَالَ مَنَارَةُ : فَوَدَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ أَطْوِي ٱلْمَنَازِلَ لَيْلًا وَنَهَاراً لَا أَنْزِلُ إِلَّا لِلصَّلَاةِ أَوْ لِقَضَاءِ حَاجَةٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلى دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ ٱلْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُوقَهَا لَيْلًا فَبِتُّ بِظَاهِرِ ٱلْبَلَدِ إِلى أَنْ فُتِحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بَابَ ٱلرَّجُلِ ٱلْأُمَوِيِّ فَإِذَا هِيَ دَارٌ عَظِيمَةٌ تَدُلُّ عَلى جَلَالَةٍ وَهَيْبَةٍ وَافِرَةٍ . وَعَلى ٱلْبَابِ خَدَمٌ وَحَشَمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ . فَهَجَمْتُ عَلى ٱلدَّارِ بِغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَوْمُ ذٰلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِي عَنِّي فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ هٰذَا مَنَارَةُ رَسُولُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلى صَاحِبِكُمْ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ ٱلدَّارِ رَأَيْتُ فِيهِ

أَقْوَاماً جُلُوساً فَظَنَنْتُ أَنَّ ٱلرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي فَقُلْتُ لَهُمْ : أَفِيكُمْ فُلانٌ . قَالُوا : لَا ، نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي ٱلْحَمَّامِ . فَقُلْتُ ٱسْتَعْجِلُوهُ . فَمَضَى بَعْضُهُمْ يَسْتَعْجِلُهُ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ ٱلدَّارَ وَأَتَأَمَّلُ ٱلْأَحْوَالَ وَٱلْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَاجَتْ بِأَهْلِهَا . فَلَمْ أَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى أَقْبَلَ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْحَمَّامِ وَحَوَالَيْهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كُهُولٍ وَشُبَّانٍ وَحَفَدَةٍ وَغِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ بِعَافِيَةٍ فَحَمِدَ ٱللهَ تَعَالَى . ثُمَّ أُحْضِرَتْ لَهُ أَطْبَاقُ ٱلْفَاكِهَةِ فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةُ كُلْ مَعَنَا فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى ذٰلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِدْنِي ، فَأَكَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَرَأَيْتُ مَا لَمْ أَرَهُ إِلَّا فِي دَارِ ٱلْخِلَافَةِ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِٱلطَّعَامِ فَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ أَنِيقَةٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةُ فَكُلْ ، فَٱمْتَنَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي فَأَخَذَ يَأْكُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ . وَكَانُوا لَا يَرْفَعُونَ شَيْئاً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ حَالًا أَعْظَمُ وَأَحْسَنُ مِنْهُ . وَكَانَ غِلْمَانُهُ عِنْدَ نُزُولِي إِلَى ٱلدَّارِ قَدْ أَخَذُوا مَنْ مَعِي مِنَ ٱلْغِلْمَانِ وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارٍ أُخْرَى . فَمَا أَطَاقُوا مُمَانَعَتَهُمْ ، وَبَقِيتُ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةُ أَوْ سِتَّةُ غِلْمَانٍ وُقُوفٌ عَلَى رَأْسِي . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هٰذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنِ ٱمْتَنَعَ مِنَ ٱلشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِمَنْ مَعِي

إِلَّا أَنْ يَلْحَقَنِي أَمِيرُ ٱلْبَلَدِ. وَجَزِعْتُ جَزَعاً شَدِيداً وَرَابَنِي مِنْهُ ٱسْتِخْفَافُهُ وَتَهَاوُنُهُ بِأَمْرِي. يَدْعُونِي بِٱسْمِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي ٱمْتِنَاعِي مِنَ ٱلْأَكْلِ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ أُحْضِرَ لَهُ ٱلْبَخُورُ فَتَبَخَّرَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ٱلظُّهْرَ وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلدُّعَاءِ وَٱلِٱبْتِهَالِ. فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةُ. فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ فَضَّهُ وَقَرَأَهُ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ ٱسْتَدْعَى جَمِيعَ بَنِيهِ وَخَوَاصَّ أَصْحَابِهِ وَغِلْمَانَهُ وَسَائِرَ حَاشِيَتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ بِهِمِ ٱلدَّارُ عَلَى سَعَتِهَا، فَلَمْ أَشُكَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي فَطَارَ عَقْلِي. وَفِيمَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذَا بِهِ قَدِ ٱلْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ أَيْمَانًا مُغَلَّظَةً [١] أَنْ لَا يَجْتَمِعَ ٱثْنَانِ مِنْهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَكْشِفَ لَهُمْ أَمْراً يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: هٰذَا كِتَابُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ أُقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً. فَٱسْتَوْصُوا [٢] بِمَنْ وَرَائِي مِنَ ٱلْحَرِيمِ خَيْراً. وَمَا لِي حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ. ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَنِي وَقَدَّمَ رِجْلَيْهِ وَقَالَ: هَاتِ قُيُودَكَ يَا مَنَارَةُ. فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ يَدَهُ

(١) غلّظ عليه في اليمين شدّد عليه واكد (٢) استوصى به خيرًا قبل وصيته فيه

فَقَيَّدْتُهُ وَأَمَرْتُ غِلْمَانِي بِحَمْلِهِ حَتَّى صارَ فِي ٱلْمَحْمَلِ [1] فَرَكِبْتُ فِي ٱلشِّقِّ ٱلْآخَرِ وَسِرْتُ مِنْ وَقْتِي وَلَمْ أَلْقَ أَمِيرَ ٱلْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسِرْتُ بِٱلرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ . فَلَمَّا صِرْنَا فِي ظَاهِرِ دِمَشْقَ ٱبْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِٱنْبِسَاطٍ إِلَى أَنِ ٱنْتَهَيْنَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ فِي ٱلْغُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَتَرَى هٰذَا . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ ٱلْأَشْجَارِ وَطِيبِ ٱلثِّمَارِ كَذَا وَكَذَا . ثُمَّ ٱنْتَهَى إِلَى مَزَارِعَ حِسَانٍ مُخْصِبَةٍ فَقَالَ : هٰذِهِ ٱلْمَزَارِعُ يَحْصُلُ لِي مِنْهَا كُلَّ سَنَةٍ كَذَا وَكَذَا . فَٱشْتَدَّ غَيْظِي مِنْهُ وَقُلْتُ : يَا هٰذَا أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَنْفَذَنِي خَلْفَكَ وَهُوَ بِٱلْكُوفَةِ يَنْتَظِرُكَ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِ مَا تَدْرِي مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ . وَقَدْ أَخْرَجْتُكَ مِنْ مَنْزِلِكَ وَمِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَنِعْمَتِكَ وَحِيداً فَرِيداً مُقَيَّداً مَغْلُولاً وَأَنْتَ مَعَ هٰذَا فَارِغُ ٱلْقَلْبِ سَاكِنُ ٱلْبَالِ تُحَدِّثُنِي بِحَدِيثٍ لَا يَنْفَعُكَ وَلَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ . وَكَانَ شُغْلُكَ بِنَفْسِكَ أَوْلَى بِكَ . فَقَالَ : إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . لَقَدْ أَخْطَأَتْ فِرَاسَتِي فِيكَ يَا مَنَارَةُ . لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ مَا حَلَلْتَ عِنْدَ ٱلْخَلِيفَةِ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ إِلَّا لِوُفُورِ عَقْلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ جَاهِلٌ عَامِّيٌّ لَا تَصْلُحُ لِمُخَاطَبَةِ ٱلْخُلَفَاءِ . أَمَّا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هٰذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ

[1] المحمل شقان على البعير يركب فيهما أو يحمل فيهما العديلان

مِنْ رَبِّي ٱلَّذِي بِيَدِهِ نَاصِيَتِي وَنَاصِيَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضُرًّا إِلَّا بِمَشِيئَةِ ٱللهِ تَعَالَى فَإِنْ كَانَ قَدْ قَضَى عَلَيَّ ٱللهُ بِأَمْرٍ فَلا حِيلَةَ لِي بِدَفْعِهِ وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَى مَنْعِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَلَوِ ٱجْتَمَعَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرُ مَنْ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ أَنْ يَضُرُّونِي لَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَٰلِكَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ ، وَإِنَّمَا ٱلْحَسَدَةُ وَٱلْأَعْدَاءُ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ ، وَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ ٱلْأَقَاوِيلَ . فَإِذَا ٱطَّلَعَ عَلَى بَرَاءَتِي فَهُوَ لَا يَسْتَحِلُّ مَضَرَّتِي وَلَا يَسْتَبِيحُ دَمِي ، بَلْ يَرُدُّنِي إِلَى بِلَادِي مُكَرَّماً مُبَجَّلًا . وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَـٰذَا فَإِذَنْ قَدْ عَرَفْتُ مَبْلَغَ فَهْمِكَ . فَإِنِّي لَا أُكَلِّمُكَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا سَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ ٱلتَّسْبِيحِ أَوْ طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ . وَمَا زَالَ كَذَٰلِكَ حَتَّى شَارَفْنَا ٱلْكُوفَةَ بُكْرَةَ ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ . وَإِذَا ٱلرُّسُلُ قَدِ ٱسْتَقْبَلَتْنَا مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَتَجَسَّسُونَ خَبَرِي فَلَمَّا رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِٱلْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِهِ حَطَطْتُ رَحْلِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقَبَّلْتُ ٱلْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ يَا مَنَارَةُ أَخْبِرْنِي مِنْ يَوْمِ خُرُوجِكَ عَنِّي إِلَى يَوْمِ قُدُومِكَ عَلَيَّ .

فَٱبْتَدَأْتُ أُحَدِّثُهُ بِأُمُورِي كُلِّهَا مُفَصَّلَةً وَٱلْغَضَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ ٱلْأَمَوِيِّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلْتِفَاتِهِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي ٱلْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ وُلْدِهِ وَغِلْمَانِهِ وَخَوَاصِّهِ وَحَلْفِهِ عَلَيْهِمْ تِلْكَ ٱلْأَيْمَانَ ٱلْمُغَلَّظَةَ أَلَّا يَتْبَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ . فَلَمَّا ذَكَرْتُ أَنَّهُ قَدَّمَ رِجْلَيْهِ لِتَقْيِيدِهِ أَسْفَرَ وَجْهُهُ وَٱسْتَبْشَرَ . فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِحَدِيثِي مَعَهُ فِي ضِيَاعِهِ وَبَسَاتِينِهِ وَمَا قُلْتُ لَهُ وَمَا قَالَ لِي . قَالَ صَدَقَ وَٱللهِ مَا هٰذَا ٱلرَّجُلُ إِلَّا مَحْسُودٌ عَلَى نِعْمَتِهِ وَمَكْذُوبٌ عَلَيْهِ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَزْعَجْنَاهُ وَرَعَبْنَاهُ وَشَوَّشْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ . أَخْرِجْ إِلَيْهِ وَٱنْزَعْ قُيُودَهُ وَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ مُكَرَّمًا فَفَعَلْتُ . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَآهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ ٱلْحَيَاءِ يَجُولُ فِي وَجْهِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَدَنَا ٱلْأَمَوِيُّ وَسَلَّمَ بِٱلْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَرَحَّبَ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَتَكَلَّمَ ٱلْأَمَوِيُّ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ . فَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ : بَلَغَنَا عَنْكَ أُمُورٌ أَحْبَبْنَا مَعَهَا أَنْ نَرَاكَ وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ فَٱذْكُرْ حَاجَاتِكَ . فَقَالَ : لَيْسَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَّةٌ فَمَا هِيَ . قَالَ : سُرْعَةُ إِرْجَاعِي إِلَى بَلَدِي وَجَمْعُ شَمْلِي بِأَهْلِي وَوُلْدِي . قَالَ : نَفْعَلُ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ سَلْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ .

فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هٰذَا. قَالَ: عَدْلُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي عُمَّالِهِ مَا أَحْوَجَنِي إِلَى سُؤَالٍ. فَأُمُورِي مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذٰلِكَ أَهْلُ بَلَدِي فَإِنَّهُمْ عَلَى أَتَمِّ ٱلْأَمْنِ وَٱلدَّعَةِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَخَلَعَ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ: قُمْ فِي حِفْظِ ٱللّٰهِ وَوَدَائِعِهِ وَرِعَايَتِهِ، وَلَا تَقْطَعْ أَخْبَارَكَ عَنَّا وَٱكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ عَرَضَ لَكَ. فَشَكَرَ لَهُ ٱلْأُمَوِيُّ أَجْمَلَ شُكْرٍ وَدَعَا لَهُ وَوَدَّعَهُ وَخَرَجَ. فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ لِخَادِمِهِ: يَا مَنَارَةُ ٱرْكَبِ ٱلسَّاعَةَ مَعَهُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي أَخَذْتَهُ مِنْهُ. قَالَ مَنَارَةُ: فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُهُ أَشَدَّ ٱلْفَرَحِ ثُمَّ أَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا فَوَدَّعْتُهُ وَٱنْصَرَفْتُ

مَا أَجْمَلَ ٱلْوَفَاءَ

رَوَى خَادِمُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمَأْمُونِ قَالَ: طَلَبَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ ٱللَّيْلِ ثُلُثُهُ فَقَالَ لِي: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخاً يَحْضُرُ لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ ٱلْبَرَامِكَةِ وَيُنْشِدُ شِعْراً وَيَذْكُرُهُمْ ذِكْراً جَمِيلًا، وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ. فَٱمْضِ ٱلْآنَ أَنْتَ وَعَلِيُّ ٱبْنُ مُحَمَّدٍ وَدِينَارٌ ٱلْخَادِمُ حَتَّى تَرِدُوا تِلْكَ ٱلْخَرَائِبَ فَإِذَا وَرَدْتُمُوهَا ٱسْتَتِرُوا خَلْفَ بَعْضِ ٱلْجُدْرَانِ فَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ شَيْئاً فَأْتُونِي بِهِ. قَالَ فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا

ٱلْخَرَائِبَ فَإِذَا نَحْنُ بِغُلامٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ بِسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ، وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ أَقْبَلَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَوَقَارٌ وَلُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى ٱلْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ وَيَقُولُ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلسَّيْفَ جَنْدَلَ (١) جَعْفَراً
وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
بَكَيْتُ عَلَى ٱلدُّنْيَا وَزَادَ تَأَسُّفِي
عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ ٱلْآنَ لَا تَنْفَعُ ٱلدُّنْيَا

مَعَ أَبْيَاتٍ أَطَالَهَا وَرَدَّدَهَا. فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَفَزِعَ فَزَعاً شَدِيداً وَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُوصِيَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ. ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ ٱلدَّكَاكِينِ فَٱسْتَفْتَحَ (٢) وَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَدَفَعَهَا إِلَى غُلَامِهِ. ثُمَّ سِرْنَا بِهِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ زَجَرَهُ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ وَبِمَاذَا ٱسْتَوْجَبَتِ ٱلْبَرَامِكَةُ مِنْكَ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَائِبِ دُورِهِمْ وَمَا تَقُولُهُ فِيهَا. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِلْبَرَامِكَةِ عِنْدِي أَيَادِيَ خَطِيرَةً أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِحَالِي مَعَهُمْ. قَالَ: قُلْ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنَا ٱلْمُنْذِرُ بْنُ ٱلْمُغِيرَةِ مِنْ أَوْلَادِ ٱلْمُلُوكِ، وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَزُولُ عَنِ ٱلرِّجَالِ.

(١) صرع وألقى في الارض (٢) طلب الفتح اي النصر

فَلَمَّا رَكِبَنِي ٱلدَّيْنُ وَٱحْتَجْتُ إِلى بَيْعِ مَسْقَطِ رَأْسِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي أَشَارُوا عَلَيَّ بِٱلخُرُوجِ إِلى ٱلْبَرَامِكَةِ. فَخَرَجْتُ مِنْ دِمَشْقَ وَمَعِي ثَلاثُونَ رَجُلًا وَنَيِّفٌ مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَنَزَلْنَا فِي بَعْضِ ٱلْمَسَاجِدِ. فَدَعَوْتُ بِثِيَابٍ لِي كُنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُهَا لِأَسْتَتِرَ بِهَا ٱلنَّاسَ فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُمْ جِيَاعاً لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ أُسَائِلُ عَنْ دُورِ ٱلْبَرَامِكَةِ. فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِيهِ مِئَةُ شَيْخٍ بِأَحْسَنِ زِيٍّ وَزِينَةٍ، وَعَلَى ٱلْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي ٱلْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ. فَطَمِعْتُ فِي ٱلْقَوْمِ وَوَلَجْتُ ٱلْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَٱلْعَرَقُ يَسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي. وَإِذَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ فَدَعَا ٱلْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ. فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا يَحْيَى جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ[1] لَهُ فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ. فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يَعُدُّنَا مِئَةً وَوَاحِداً وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشَرَةٌ مِنْ وُلْدِهِ. وَإِذَا بِغُلَامٍ أَمْرَدَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ بَعْضِ ٱلْمَقَاصِيرِ[2] بَيْنَ يَدَيْهِ مِئَةُ خَادِمٍ مُتَنَطِّقُونَ، فِي وَسْطِ كُلِّ خَادِمٍ مِنْطَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ يَقْرُبُ وَزْنُهَا مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ، وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ مِجْمَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي كُلِّ مِجْمَرَةٍ قِطْعَةٌ مِنْ

---

(١) بناء سطح اعلاه للجلوس عليه (٢) جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة

عُودٍ كَهَيْئَةِ ٱلْفِهْرِ [1] قَدْ قُرِنَ بِهَا مِثْلُهَا مِنَ ٱلْعَنْبَرِ ٱلسُّلْطَانِيِّ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا مِائَةٌ وَٱثْنَا عَشَرَ خَادِماً، مَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِينِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَيْهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا صِينِيَّةً . فَرَأَيْتُ ٱلْقَاضِيَ وَٱلْمَشَايِخَ يَصُبُّونَ ٱلدَّنَانِيرَ فِي أَكْمَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ ٱلصَّوَانِيَ تَحْتَ آبَاطِهِمْ وَيَقُومُ ٱلْأَوَّلُ فَٱلْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيتُ وَحْدِي بَيْنَ يَدَيْ يَحْيَى لا أَجْسُرُ على أَخْذِ ٱلصِّينِيَّةِ . فَغَمَزَنِي ٱلْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ ٱلذَّهَبَ فِي كُمِّي وَأَخَذْتُ ٱلصِّينِيَّةَ فِي يَدِي وَقُمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَلَفَّتُ إلى وَرَائِي مَخَافَةَ أَنْ أُمْنَعَ مِنَ ٱلذَّهَابِ بِهَا . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذٰلِكَ وَيَحْيَى يَلْحَظُنِي إِذْ قَالَ لِلْخَادِمِ : إِيتِنِي بِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ . فَأَمَرَ بِصَبِّ ٱلدَّنَانِيرِ مِنْ كُمِّي وَأَخْذِ ٱلصِّينِيَّةِ مِنْ يَدِي . ثُمَّ أَمَرَنِي بِٱلْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ . فَقَالَ لِي : مِمَّنِ ٱلرَّجُلُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : إِيتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى فَأَتَاهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ هٰذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَٱحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَأَغْمُرْهُ بِنِعْمَتِكَ . فَقَبَضَ مُوسَى عَلَى يَدِي وَأَدْخَلَنِي إلى دَارٍ مِنْ دُورِهِ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ ٱلْإِكْرَامِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي فِي أَلَذِّ عَيْشٍ وَأَتَمِّ سُرُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِأَخِيهِ ٱلْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ ٱلْوَزِيرَ قَدْ أَمَرَنِي بِٱلْعَطْفِ عَلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ وَقَدْ عَلِمْتَ ٱشْتِغَالِي

---

(١) حجر بقدر ما يدق به الجوز او يملأ به الكف

فِي دَارِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَاقْبِضْهُ إِلَيْكَ وَأَكْرِمْـهُ : فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ ٱلْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ تَسَلَّمَنِي أَخُوهُ أَحْمَدُ ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي ٱلْقَـوْمِ يَتَدَاوَلُونِي عَشَرَةَ أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِبْيَانِي أَفِي ٱلْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي ٱلْأَحْيَـاءِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَادِيَ عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْخَدَمِ فَقَالُوا لِي : قُمْ فَٱخْرُجْ إِلَى عِيَـالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَيْلَاهُ سُلِبْتُ ٱلدَّنَانِيرَ وَٱلصِّينِيَّةَ وَأَخْرُجُ إِلَى عِيَالِي عَلَى هٰـذِهِ ٱلْحَالَةِ . إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فَرُفِعَ ٱلسِّتْرُ ٱلْأَوَّلُ ثُمَّ ٱلثَّـانِي ثُمَّ ٱلثَّالِثُ ثُمَّ ٱلرَّابِعُ . فَلَمَّا رَفَعَ ٱلْخَادِمُ ٱلسِّتْرَ ٱلْأَخِيرَ قَالَ لِي : مَهْمَـا كَانَ لَكَ مِنَ ٱلْحَاجَاتِ فَٱرْفَعْهَا إِلَيَّ فَإِنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيـعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ ٱلسِّتْرَ ٱلْأَخِيرَ رَأَيْتُ حُجْرَةً كَٱلشَّمْسِ حُسْناً وَنُوراً وَٱسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَائِحَةُ ٱلنَّدِّ وَٱلْعُودِ وَنَفَحَاتُ ٱلْمِسْكِ . وَإِذَا بِصِبْيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي ٱلْحَرِيرِ وَٱلدِّيبَاجِ . وَحَمَلَ إِلَيَّ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشَرَةَ آلَافِ دِينَـارٍ ، وَمَنْشُوراً بِضَيْعَتَيْنِ ، وَتِلْكَ ٱلصِّينِيَّةَ ٱلَّتِي كُنْتُ قَـدْ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلدَّنَانِيرِ . وَأَقَمْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَعَ ٱلْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشَرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ أَمِنَ ٱلْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ ٱصْطَنَعُونِي فَلَمَّا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَلِيَّةُ وَنَزَلَ بِهِمْ مِنَ ٱلرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَجْحَفَ بِي عَمْرُو

أَبْنُ مُسْعِدَةَ وَأَلْزَمَنِي فِي هَاتَيْنِ ٱلضَّيْعَتَيْنِ مِنَ ٱلْخَرَاجِ مَا لَا يَفِي دَخْلُهُمَا بِهِ . فَلَمَّا تَحَامَلَ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ كُنْتُ فِي أَوَاخِرِ ٱللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَائِبَ دُورِهِمْ فَأَنْدُبُهُمْ وَأَذْكُرُ حُسْنَ صَنِيعِهِمْ إِلَيَّ وَأَشْكُرُهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : عَلَيَّ بِعَمْرِو بْنِ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ قَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو أَتَعْرِفُ هٰذَا ٱلرَّجُلَ . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ أَلْزَمْتَهُ فِي ضَيْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدَّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا ٱسْتَأْدَيْتَهُ[1] مِنَ ٱلْأَمْوَالِ فِي مُدَّتِهِ لِيَكُونَ لَهُ وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا نَحِيبُ ٱلرَّجُلِ وَبُكَاؤُهُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هٰذَا قَدْ أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يُبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَهٰذَا أَيْضاً مِنْ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ إِذْ لَوْ لَمْ آتِ خَرَائِبَهُمْ فَأَبْكِيَهُمْ وَأَنْدُبَهُمْ حَتَّى ٱتَّصَلَ خَبَرِي إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ وَقَالَ : لَعَمْرِي هٰذَا مِنْ صَنَائِعِ ٱلْبَرَامِكَةِ . فَعَلَيْهِمْ فَأَبْكِ ، وَإِيَّاهُمْ فَٱشْكُرْ ، وَلَهُمْ فَأَوْفِ ، وَلِإِحْسَانِهِمْ فَٱذْكُرْ

(١) اخذته .

الباب السادس

الشعر الوصفي والقصصي

بين الربيع والشعر

« من قصدة لاحمد شوقي بك »

مَرحَباً بِالرَّبِيعِ فِي رَيْعَانِهْ[1] وَبِأَنْوَارِهِ وَطِيبِ زَمَانِهْ
نَزَلَ السَّهْلَ ضَاحِكَ الْبِشْرِ يَمْشِي فِيهِ مَشْيَ الأَمِيرِ فِي بُسْتَانِهْ
عَادَ حَلْياً بِرَاحَتَيْهِ وَوَشْياً طُولُ أَنْهَارِهِ وَعَرْضُ جِنَانِهْ
لَفَّ فِي طَيْلَسَانِهِ طُرَرَ الأَرْ ضِ فَطَابَ الأَدِيمُ مِنْ طَيْلَسَانِهْ[2]
سَاحِرُ فِتْنَةُ الْعُيُونِ مُبِينٌ فَصَلَ الْمَاءَ فِي الرُّبَى بِجُمَانِهْ
عَبْقَرِيُّ الْخَيَالِ زَادَ عَلَى الطَّيْـ ـفِ وَأَرْبَى عَلَيْهِ فِي أَلْوَانِهْ
صِبْغَةُ[3] اللهِ أَيْنَ مِنْهَا رَفَائِيـ ـلُ وَمِنْقَاشُهُ وَسِحْرُ بَنَانِهْ
رَنَّمَ الرَّوْضُ جَدْوَلًا وَنَسِيماً وَتَلَا طَيْرَ أَيْكِهِ غُصْنُ بَانِهْ
وَشَدَتْ فِي الرُّبَى الرَّيَاحِينُ هَمْساً كَتَغَنِّي الطَّرُوبِ فِي وِجْدَانِهْ

---

(١) ريعان كل شيء اوله وافضله (٢) الطيلسان كساء مدوَّر اخضر لا اسفل له يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . والطرر جمع طرة وهي جانب الثوب الذي لا هدب له (٣) فطرة وخلقة

نَغَمٌ فِي ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرْضِ شَتَّى مِنْ مَعَانِي ٱلرَّبِيعِ أَوْ أَلْحَانِهْ
أَيْنَ نَوْرُ ٱلرَّبِيعِ مِنْ زَهَرِ ٱلشِّعْـــرِ إِذَا مَا ٱسْتَوَى عَلى أَفْنَانِهْ
سَرْمَدُ ٱلْحُسْنِ وَٱلْبَشَاشَةِ مَهْمَا تَلْتَمِسْهُ تَجِـدْهُ فِي إِبَّانِهْ (١)
حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ ٱلْقَرِيضِ بَعْـدَ أَوَانِهْ
مَالِكٌ ظِلُّـهُ عَلى رُبْوَةِ ٱلْخُلْــدِ وَكُرْسِيُّهُ عَلى خُلْجَانِهْ (٢)
أَمَرَ ٱللهُ بِٱلْحَقِيقَـةِ وَٱلْحِكْمَـــةِ فَٱلْتَقَـا عَلى صَوْلَجَانِهْ
لَمْ تَثِرْ أُمَّـةٌ إِلى ٱلْحَقِّ إِلَّا بِهُدَى ٱلشِّعْرِ أَوْ خُطَى شَيْطَانِهْ (٣)
لَيْسَ عَزْفُ ٱلنَّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ ٱلْفُؤَادِ أَوْ فِي جَبَانِهْ

...

كَانَ شِعْرِي ٱلْغِنَاءَ فِي فَرَحِ ٱلشَّرْ قِ وَكَانَ ٱلْعَزَاءَ فِي أَحْزَانِهْ
قَدْ قَضَى ٱللهُ أَنْ يُؤَلِّفَنَا ٱلْجُرْ حُ وَأَنْ نَلْتَقِي عَلى أَشْجَانِهْ
كُلَّـمَا أَنَّ بِٱلْعِـرَاقِ جَرِيحٌ لَمَسَ ٱلشَّرْقَ جَنْبَهُ فِي عُمَانِهْ (٤)
وَعَلَيْنَـا كَمَا عَلَيْكُمْ حَدِيـدٌ تَتَنَزَّى (٥) ٱللُّيُوثُ فِي قُضْبَـانِهْ
نَحْنُ فِي ٱلْفِكْرِ بِٱلدِّيَارِ سَوَاءٌ كُلُّنَـا مُشْفِقٌ عَلى أَوْطَـانِهْ

( ) حينه (٢) جوانبه او انهاره (٣) طرقه وسبله (٤) عمان بلد باليمن

وله من قصيدة يحيّي فيها تمثال « النهضة » في مصر

وَيَوْمٍ ظَلِيلِ ٱلضُّحَى مِنْ بِشِنْسَ أَفَاءَ عَلَى مِصْرَ آمَالَهَا [1]

مَشَتْ مِصْرُ فِيهِ تُعِيدُ ٱلْعُصُورَ وَيَغْمُرُ ذِكْرُ ٱلصِّبَا بَالَهَا

وَتَعْرِضُ فِي ٱلْمِهْرَجَانِ ٱلْعَظِيمِ ضُحَاهَا ٱلْخَوَالِي وَآصَالَهَا

وَأَقْبَلَ «رِمْسِيسُ» جَلَّ ٱلْجَلَالِ سَنِيَّ ٱلْمَوَاكِبِ مُخْتَالَهَا

فَحَيَّا بِأَبْلَجَ مِثْلِ ٱلصَّبَاحِ وُجُوهَ ٱلْبِلَادِ وَأَرْسَالَهَا [2]

وَأَوْمَا إِلَى ظُلُمَاتِ ٱلْقُرُونِ فَشَقَّ عَنِ ٱلْفَنِّ أَسْدَالَهَا

لَقَدْ بَعَثَ ٱللهُ عَهْدَ ٱلْفُنُونِ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ مَثَّالَهَا [3]

تَعَالَوْا نَرَى كَيْفَ سَوَّى ٱلصَّفَاةَ فَتَاةً تُلَمْلِمُ سِرْبَالَهَا [4]

دَنَتْ مِنْ أَبِي ٱلْهَوْلِ مَشْيَ ٱلرَّؤُومِ [5] إِلَى مُقْعَدٍ هَاجَ بِلْبَالَهَا

وَقَدْ جَابَ فِي سَكَرَاتِ ٱلْكَرَى عُرُوضَ ٱللَّيَالِي وَأَطْوَالَهَا

وَأَلْقَى عَلَى ٱلرَّمْلِ أَرْوَاقَهُ وَأَرْسَى عَلَى ٱلْأَرْضِ أَثْقَالَهَا

يُخَالُ لِإِطْرَاقِهِ فِي ٱلرِّمَالِ سَطِيحَ ٱلْعُصُورِ وَرَمَّالَهَا [6]

(١) بشنس المكان الذي اقيم فيه تمثال النهضة . وافاء ارجع (٢) جماعاتها (٣) يريد به ناحت التمثال (٤) تجمع قميصها (٥) اي ماشية مشي الرؤوم (٦) سطيح اسم كاهن في اليمن كان يتكهّن في الجاهلية . والرمال الذي له معرفة بعلم الرمل

فَقَالَتْ تَحَرَّكْ فَهَمَّ ٱلْجَمَادُ كَأَنَّ ٱلْجَمَادَ وَعَى قَالَهَا
فَهَلْ سَكَبَتْ فِي تَجَالِيدِهِ شُعَاعَ ٱلْحَيَاةِ وَسَيَّالَهَا [1]
أَتَذْكُرُ إِذْ غَضِبَتْ كَٱلْأُبَاةِ وَلَمَّتْ مِنَ ٱلْغِيلِ أَشْبَالَهَا
وَأَلْقَتْ بِهِمْ فِي غِمَارِ ٱلْخُطُوبِ فَخَاضُوا ٱلْخُطُوبَ وَأَهْوَالَهَا
وَثَارُوا فَجُنَّ جُنُونُ ٱلرِّيَاحِ وَزُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَمَنْ ذَا رَأَى غَابَةً كَافَحَتْ فَرَدَّتْ مِنَ ٱلْأَسْرِ رِئْبَالَهَا [2]
وَأَهْيَبُ مَا كَانَ بَأْسُ ٱلشُّعُوبِ إِذَا سَلَّحَ ٱلْحَقُّ أَعْزَالَهَا [3]

• • •

« فُؤَادُ » ارْفَعِ ٱلسِّتْرَ عَنْ نَهْضَةٍ تَقَدَّمَ جَدُّكَ أَبْطَالَهَا
وَرُبَّ ٱمْرِئٍ لَمْ تَلِدْهُ ٱلْبِلَادُ نَمَاهَا وَنَبَّهَ أَنْسَالَهَا [4]
وَلَيْسَ ٱللَّآلِئُ مُلْكَ ٱلْبُحُورِ وَلٰكِنَّهَا مُلْكُ مَنْ نَالَهَا
وَمَا « كَعَلِيٍّ » وَلَا جِيلِهِ إِذَا عَرَضَتْ مِصْرُ أَجْيَالَهَا
بَنَوْا دَوْلَةً مِنْ بَنَاتِ ٱلْأَسِنَّةِ لَمْ يَشْهَدِ ٱلنِّيلُ أَمْثَالَهَا
لَئِنْ جَلَّلَ ٱلْبَحْرَ أُسْطُولُهَا لَقَدْ لَبِسَ ٱلْبَرُّ قِسْطَالَهَا [5]
فَأَمَّا أَبُوكَ فَدُنْيَا ٱلْحَضَارَةِ لَوْ سَالَمَ ٱلدَّهْرُ أَقْيَالَهَا
تَخَيَّرَ أَفْرِيقِيَا تَاجَهُ وَرَكَّبَ فِي ٱلتَّاجِ صُومَالَهَا

---

(١) التجاليد أجلاد الإنسان اي جماعة شخصه وبدنه (٢) اسدها
(٣) الذين لا سلاح لهم (٤) اولادها (٥) القسطال غبار الحرب

رِكابُكَ «يا ٱبْنَ ٱلْمعزِّ» ٱلْغُيوثُ وَيَفضُلْنَ فِي ٱلْخَيْرِ مِنوالَها
إِذا سِرنَ فِي ٱلأَرْضِ نَسَّيْنَها رِكابَ ٱلسَّماءِ وَإِفضالَها
فَلَمْ تَبرَحِ ٱلْقَصْرَ إِلَّا شَفَيتَ جُدُوبَ ٱلْعُقُولِ وَأَمْحالَها
لَقَدْ رَكَّبَ ٱللهُ فِي سَاعِدَيْكَ يَمِينَ ٱلْجُدُودِ وَشِمالَها (١)
تَخُطُّ وَتَبْنِي صُرُوحَ ٱلْعُلُومِ وَتَفْتَحُ لِلشَّرْقِ أَقْفالَها

زهرة بنفسج

«من قصيدة للدكتور نقولا فياض»

أَهْوَى ٱلْبَنَفْسَجَ آيَةَ ٱلزَّهْرِ فِي ٱلشَّكْلِ وَٱلتَّصْوِيرِ وَٱلْعِطْرِ
وَأُحِبُّهُ فِي ٱلأَرْضِ مُخْتَبِئاً وَأُحِبُّهُ فِي بَارِزِ ٱلصَّدْرِ
وَلِكُلِّ عَذْرَاءَ أُقَدِّمُهُ مَا دَامَ فِيهِ حَيَاؤُهُ ٱلْعُذْرِي (٢)
لٰكِنْ شَجَانِي مِنْهُ حَادِثَةٌ أَجْرَتْ دُمُوعَ عَرَائِسِ ٱلشِّعْرِ
هِيَ زَهْرَةٌ بِجِوَارِ سَاقِيَةٍ نَبَتَتْ وَعَاشَتْ عِيشَةَ ٱلطُّهْرِ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ ٱلْعُشْبِ مُتَّكَأً وَسِوَى عِنَاقِ ٱلْمَاءِ لَمْ تَدْرِ
فَٱسْتَيْقَظَتْ يَوْماً كَأَنَّ بِهَا سُكْراً وَقَدْ شَرِبَتْ نَدَى ٱلْفَجْرِ
تَبْكِي جَوًى وَتَقُولُ مَا أَمَلِي لَوْ عِشْتُ خَالِدَةً بِذَا ٱلْقَفْرِ
حَسْنَاءُ لٰكِنْ لَا عُيُونَ تَرَى حُسْنِي وَلَا مِنْ عَارِفٍ قَدْرِي

(١) الشيمال كالشمال (٢) اى الذي فيه عفاف

هَلَّا صَعِدْتُ إلى ذُرَى جَبَلٍ   وَبَدَلْتُ هٰذَا ٱلْكُوخَ بِٱلْقَصْرِ
فَأَرَى ٱلْجَدِيدَ مِنَ ٱلْوُجُودِ وَمَا   تَحْوِي مَعَانِي ٱلْكَوْنِ مِنْ سِحْرِ
وَأُشَارِفُ ٱلدُّنْيَا وَأَجْعَلُهَا   تَطْوِي مَنَاظِرَهَا عَلَى نَشْرِي

...

قَالَتْ وَقَامَ بِهَا ٱلْهَوَى فَمَشَتْ   فِي ٱلْقَفْرِ مِثْلَ ظِبَائِهِ ٱلْعُفْرِ (١)
وَٱلرِّيحُ تَحْمِلُهَا وَتُقْعِدُهَا   وَتَمُوجُ بَيْنَ ٱلشُّمْرِ وَٱلْخَصْرِ
حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ وَمَا ٱبْتَعَدَتْ   وَقَفَتْ تُجِيلُ ٱلطَّرْفَ عَنْ كِبْرِ
فَرَأَتْ بِسَاطَ ٱلْعُشْبِ مُنْتَشِراً   تَلْوِي عَلَيْهِ مَعَاطِفُ (٢) ٱلنَّهْرِ
جَارَاتُهَا فِي ٱلْحَيِّ نَائِمَةٌ   حُمْراً عَلَى أَعْلَائِهَا ٱلْخُضْرِ
فَٱسْتَبْشَرَتْ بِٱلْفَوْزِ وَٱنْطَلَقَتْ   تَعْدُو وَلَا تَلْوِي (٣) عَلَى أَمْرِ
وَحَلَا لَهَا ٱلسَّفَرُ ٱلْبَعِيدُ وَمَا   حَسِبَتْ حِسَابَ ٱلْحُلْوِ وَٱلْمُرِّ
ٱلْأَرْضُ مُوعِرَةٌ وَمُحْرِقَةٌ   فَكَأَنَّهَا تَمْشِي عَلَى جَمْرِ
وَرَفِيقُهَا هُوجُ (٤) ٱلرِّيَاحِ وَقَدْ   ثَارَتْ عَلَيْهَا ثَوْرَةُ ٱلْغَدْرِ
تَرْمِي بِهَا كُلَّ ٱلْجِهَاتِ فَلَا   تَرْتَاحُ مِنْ كَرٍّ إِلَى فَرِّ
حَتَّى أَصَابَتْ هَضْبَةً (٥) فَإِذَا   فِيهَا نَعِيمُ ٱلْعَيْنِ وَٱلْفِكْرِ

---

(١) جمع الأعفر وهو من الظباء الابيض في علاة (٢) جمع معطف وهو الرداء او الجانب (٣) تعدو تجري ولا تلوي تقف وتميل (٤) الهوج جمع الهوجاء وهي الريح الشديدة الهبوب (٥) الهضبة جبل منبسط

مِنْ تَحتِها ٱلجَنّاتُ مُشرِقَةً ... بِٱلزَّهرِ كَٱلأَفلاكِ بِٱلزُّهرِ
وَٱلنّاسُ وَٱلأَشياءُ مائِجَةٌ ... كَٱلبَحرِ في مَدٍّ وَفي جَزرِ
قالَتْ بَدَأْتُ أَرى فَواطِرَني ... لَو كُنتُ أَبلُغُ مَوطِئَ ٱلنَّسرِ
أَعلو إِلى قِمَمٍ تُحَجِّبُها ... تِلكَ ٱلغُيومُ بِحالِكِ ٱلسِّترِ
فَأَرى بَديعَ ٱلكَونِ تَحتَ يَدي ... وَأَفُضُّ[1] مِنهُ غامِضَ ٱلسِّرِّ
يا لِلبَنَفسَجَةِ ٱلجَميلَةِ مِنْ ... أَهوالِ ما قاسَتهُ لَو تَدري
عَزَّ ٱلسَّبيلُ إِلى مَطامِحِها[2] ... في مَصعَدِ ٱلأَشواكِ وَٱلوَعرِ
وَأَصابَ أَرجُلَها ٱلضَّعيفَةَ ما ... يَمني[3] ٱلحَديدَ ٱلصُّلبَ بِٱلكَسرِ
فَتَأَوَّهَتْ نَدَماً وَلَوْ قَدَرَتْ ... رَجَعَتْ عَلى أَعقابِها تَجري
فَتَشَبَّثَتْ فِي ٱلأَرضِ مُفرِغَةً ... جُهدَ ٱلقُوى وَبَقِيَّةَ ٱلصَّبرِ
حَتّى تَسَنَّمَتِ ٱلذُّرى[4] وَغَدَتْ ... فِي ٱلأَوجِ[5] تَتلو آيَةَ ٱلشُّكرِ
لٰكِنَّها لَمْ تَلقَ وا أَسَفي ... فِي ٱلأَوجِ غَيرَ جَلامِدِ ٱلصَّخرِ
لا عُشبَ يَنبُتُ في جَوانِبِهِ ... أَبَداً وَلا أَثَرٌ لِمُخضَرِّ
وَٱلعاصِفاتُ كَأَنَّها أُسُدٌ ... فِي ٱلجَوِّ تَزأَرُ أَيَّما زَأرِ
وَٱلغَيمُ ساوى في تَلَبُّدِهِ ... ما بَينَ نِصفِ ٱللَّيلِ وَٱلظُّهرِ
فَجَثَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبَكَتْ ... كَٱلطِّفلِ مِنْ تَعَبٍ وَمِنْ ذُعرِ

(١) أزيل (٢) مقاصدها ومطالبها (٣) يصيب (٤) تسنم علا. والذرى جمع الذروة وهي من كل شيء اعلاه (٥) الاوج العلو

وَٱلبَرْدُ أَفْسَدَ لَوْنَهـا كَمَداً   مِنْ كُلِّ مُزْرَقٍ وَمُحْمَرِّ
فَٱصفَرَّ ذَيَّاكَ ٱلجَبِينُ كَما   ذَهَبَتْ نَضَارَةُ ذٰلِكَ ٱلثَّغْرِ
مِنْ قَهْرِهَا أَنَّتْ وَقَدْ سُمِعَتْ   وَسْطَ ٱلزَّوَايِعِ أَنَّةُ ٱلقَهْرِ
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَصْبُ نَحْوَ عُلًى   وَبَقِيتُ بَيْنَ عَرَائِسِ ٱلزَّهْرِ
ثُمَّ ٱرْتَمَتْ ضُعْفاً وَأَخْرَسَها   شَبَحٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ ٱلقَبْرِ
وَتَصَلَّبَتْ أَعْصَابُها وَمَضَتْ   بِٱلْمَوْتِ هَاوِيَـةً إِلى ٱلقَعْرِ

مِسْكِينَةٌ قَـدْ غَرَّهَا شَرَفٌ   هُوَ كَٱلسَّرَابِ لِكُلِّ مُغْـتَرِّ
ظَنَّتْ بِأَنَّ لَهَا ٱلعَـلاءَ غِنًى   فَإِذَا بِـهِ فَقْرٌ عَلَى فَقْرِ
مَا كَانَ أَهْنَأَهَا وَأَسْعَدَهَا   لَوْ لَمْ تُفَارِقْ ضَفَّةَ [1] ٱلنَّهْرِ

ليالي الصيف في مصر

« من قصيدة لالياس فياض »

أَذاعَ فِي مِصْرَ رَسُولُ ٱلبِشْرِ   أَنَّ ذُكَاءَ [2] غَرِقَتْ فِي ٱلبَحْرِ
فَطَلَعَ ٱلبَـدْرُ ضَحُوكَ ٱلثَّغْرِ   وَأَقْبَـلَ ٱلنَّسِيمُ لُطْفاً يَسْرِي
وَصَفَّقَتْ فَوْراً مِيَاهُ ٱلنَّهْرِ

---

(١) جانب (٢) ذكاء اسم الشمس غير منصرف للعلمية والتأنيث

وَبَلَغَ ٱلرِّيَاضَ ذَاكَ ٱلْخَبَرُ   فَٱهْتَزَّ إِعْجَابًا وَمَاسَ[1] ٱلشَّجَرُ
وَٱبْتَهَجَ ٱلنَّوْرُ بِهَا وَٱلثَّمَرُ   وَٱلزَّهْرُ مِنْ فَوْقُ إِلَيْهَا تَنْظُرُ
تَرَى خَيَالَ ذَاتِهَا فِي ٱلزَّهْرِ

أُنْظُرْ فَبَيْنَا ٱلدُّورُ وَٱلْقُصُورُ   لَيْسَ بِهَا حِسٌّ وَلَا شُعُورُ
صَامِتَةٌ كَأَنَّهَا قُبُورُ   قَدِ ٱنْبَرَتْ بِأَهْلِهَا تَمُورُ[2]
وَٱنْفَرَجَتْ عُقْدَةُ ذَاكَ ٱلْحَصْرِ

تَنَفَّسَ ٱلْحَيُّ وَمُنْذُ حِينِ   كَانَ يُعَانِي غُصَصَ ٱلْمَنُونِ
مُنْطَرِحاً فِي ذٰلِكَ ٱلْأَتُونِ   فَلَمْ يَكُنْ يَا لَيْلُ مِنْ مُعِينِ
سِوَاكَ لِلْخَلَاصِ مِنْ ذَا ٱلْأَسْرِ

يَاأَيُّهَا ٱلْعَبْدُ[3] ٱلْجَمِيلُ ٱلْأَسْوَدُ   أَنْتَ لَنَا ٱلْمَوْلَى وَنَحْنُ ٱلْأَعْبُدُ
بَلْ أَنْتَ فِي مِصْرٍ إِلٰهٌ يُعْبَدُ   فَفِيكَ طَابَتْ مُهَجٌ وَأَكْبُدُ
أَوْدَى بِهَا[4] لَوْلَاكَ صَيْفُ مِصْرِ

لِأَجْلِ هٰذَا قَدْ تَغَنَّى ٱلْمُنْشِدُ   بِٱسْمِكَ كُلَّ سَاعَةٍ يُرَدِّدُ
يَا لَيْلُ لَيْتَ ٱلصُّبْحَ لَيْسَ يُولَدُ   وَلَيْتَ كُلَّ أَبْيَضٍ يَا أَسْوَدُ
فِدَاءُ هَاتِيكَ ٱلثَّنَايَا[5] ٱلْغُرِّ

يَا حَبَّذَا ٱلنِّيلُ عَلَى ضَوْءِ ٱلْقَمَرْ   وَحَبَّذَا ٱلْغَبُوقُ[6] فِيهِ وَٱلسَّحَرْ

---

(١) تمايل وتبختر (٢) تتحرك بسرعة (٣) يريد به الليل (٤) اهلكها
(٥) جمع الثنية وهي من الاضراس الاربعة التي في مقدم الفم (٦) ما يشرب بالعشي

رَكِبْتُهُ كَأَنَّنِي عَلَى سَفَرْ فِي لَيْلَةٍ مَا عَابَهَا غَيْرُ ٱلْقِصَرْ

كَذٰلِكَ ٱلصَّفْوُ قَصِيرُ ٱلْعُمْرِ

وَٱلرِّيحُ تَسْرِي حَوْلَنَا بَلِيلَا تَبُلُّ مِنْ صُدُورِنَا ٱلْغَلِيلَا

كَأَنَّهَا آسٍ أَتَى عَلِيلَا وَقَدْ أَبَحْنَاهَا ٱللَّمَى (١) تَقْبِيلَا

فَمَا ٱكْتَفَتْ بَلْ عَبِثَتْ (٢) بِٱلشَّعْرِ

وَٱلنِّيلُ يَجْرِي تَحْتَنَا غَزِيرَا تَهُزُّنَا مَوْجَاتُهُ سُرُورَا

كَمَا تَهُزُّ غَادَةٌ سَرِيرَا قَدْ نَامَ فِيهِ طِفْلُهَا قَرِيرَا

فِي مَأْمَنٍ مِنْ عَادِيَاتِ (٣) ٱلدَّهْرِ

وَٱلْبَدْرُ تَلْقَى وَجْهَهُ فِي ٱلْمَاءِ سَبَائِكاً مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ

تَلْمَعُ إِذْ تَمُوجُ بِٱلْهَوَاءِ كَأَنَّهَا ٱلسُّيُوفُ فِي ٱلْهَيْجَاءِ

مَا بَيْنَ كَرٍّ دَائِماً وَفَرِّ (٤)

وَلِلنَّخِيلِ مَنْظَرٌ مَهِيبُ تُرَاعُ فِي جَمَالِهِ ٱلْقُلُوبُ

فَوْقَ ٱلضِّفَافِ ظِلُّهَا رَهِيبُ صَفّاً بِصَفٍّ زَانَهَا ٱلتَّرْتِيبُ

مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَظِيمِ ٱلْقَدْرِ

تَحْسَبُهَا مَرَدَةً طِوَالَا تَحْتَ مَظَلَّاتٍ زَهَتْ جَمَالَا

---

(١) اللمى سمرة في باطن الشفة . واباحه الشيء جعله حلالاً له (٢) لعبت (٣) مصائب (٤) كرّ الفارس فرّ للجولان ثم عاد للقتال . وفر اوسع الجولان للانعطاف وفي الكلام استعارة

فِي ٱلنِّيلِ جَاءَتْ تَبْتَغِي ٱغْتِسَالَا ... سَحَرَهَا ٱلنِّيلُ فَلَنْ تَزَالَا
وَاقِفَةً هُنَا بِفِعْلِ ٱلسِّحْرِ

الملاحة الجوية

« من قصيدة للخوري بطرس البستاني »

فَتَحُوا ٱلسَّمَاءَ وَطَارَدُوا ٱلْعِقْبَانَا ... وَجَرَوْا عَلَى مَتْنِ ٱلْهَوَا فُرْسَانَا
وَٱلْجَوُّ وَدَّعَ عِزَّهُ وَهَنَاءَهُ ... مُذْ صَيَّرُوهُ لِخَيْلِهِمْ مَيْدَانَا
وَٱلرِّيحُ قَدْ سَلَسَتْ مَقَادَتُهَا لَهُمْ ... حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ ٱلذَّلُولِ [1] لِيَانَا
لِلَّهِ دَرُّهُمُ إِذَا مَا أَطْلَقُوا ... لِلْمَرْكَبَاتِ ٱلسَّابِحَاتِ عِنَانَا [2]
فَتَخَالُهَا عِنْدَ ٱلْهُبُوطِ صَوَاعِقاً ... وَإِذَا تَعَالَتْ خِلْتَهَا بِيزَانَا [3]
تَحْكِي ٱلطُّيُورَ بِشَكْلِهَا لٰكِنَّهَا ... أَمْضَى جَنَاحاً بَلْ أَشَدُّ جَنَانَا
لَوْ حَاوَلَ ٱلنَّسْرُ ٱلْفَتِيُّ لَحَاقَهَا ... لَٱرْتَدَّ خَوَّارَ ٱلْقُوَى عَيَّانَا
أَوَلَسْتَ تَحْسَبُهَا وَقَدْ طَارُوا بِهَا ... كَٱلْبَرْقِ آناً وَٱلسِّهَامِ أَوَانَا
أَمَّا جَنَاحَاهَا فَلَا تَطْوِيهِمَا ... حَتَّى يَكُونَا لِلْهَوَا مِيزَانَا
فَإِذَا ٱرْتَقَتْ قُبَبَ ٱلسَّحَابِ وَحَلَّقَتْ ... وَقَفَ ٱلْعُقَابُ إِزَاءَهَا وَلْهَانَا
مَا كَانَ أَبْدَعَ مَشْهَداً عَايَنْتُهُ ... يَسْبِي ٱلْقُلُوبَ وَيَفْتِنُ ٱلْأَذْهَانَا

---

(١) الذلول الدابة السهلة الانقياد (٢) العنان سير اللجام (٣) جمع باز، وهو نوع من الطير

شَاهَدْتُ (فِدْرِينَ)[1] ٱلْجَرِيءَ مُحَلِّقاً   كَٱلنَّسْرِ يَسْبَحُ فِي ٱلسَّمَا جَذْلَانَا
مِنْ فَوْقِ مَرْكَبَةٍ يُحَرِّكُهَا كَمَا   يَهْوَى فَتَخْفِقُ تَحْتَهُ خَفَقَانَا
لَمَّا دَنَا وَقْتُ ٱلرَّحِيلِ سَمِعْتُ مِنْ   أَحْشَائِهَا مَا يَبْعَثُ ٱلْأَشْجَانَا
زَفَرَاتِ مَصْدُورٍ تُصَدِّعُهُ ٱلنَّوَى   فَتَشُبُّ فِي أَضْلَاعِهِ نِيرَانَا
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ مَرَاجِلُهَا[2] جَرَتْ   كَٱللَّيْثِ يَزْأَرُ فِي ٱلْفَلَا غَضْبَانَا
قَالُوا: بِسَاطُ ٱلرِّيحِ وَهْمٌ كَاذِبٌ   فَإِذَا بِهِمْ قَدْ شَاهَدُوهُ عِيَانَا

...

مَنْ كَانَ يَحْلُمُ أَنَّ أَطْبَاقَ ٱلسَّمَا   سَتَضُمُّ فِي رَحَبَاتِهَا[3] سُكَّانَا
مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ مِضْمَارَ ٱلْهَوَا   سَيَصِيرُ يَوْماً بِٱلْوَرَى غَصَّانَا[4]
فَٱلْأَرْضُ لَمْ تُشْبِعْ مَطَامِعَ أَهْلِهَا   فَبَنَوْا لَهُمْ فِي جَوِّهِمْ أَوْطَانَا
إِخْفِضْ جَنَاحَكَ أَيُّهَا ٱلنَّسْرُ ٱلَّذِي   مَلَكَ ٱلرَّقِيعَ بِبَأْسِهِ أَزْمَانَا
قَدْ كُنْتَ تَزْعَمُ أَنَّ مُلْكَكَ خَالِدٌ   لَا يُحْرِزُ ٱلْإِنْسَانُ فِيهِ مَكَانَا
فَإِذَا بِهِ وَٱلْمَرْكَبَاتُ سَوَابِحٌ   فِي ٱلْجَوِّ تَحْمِلُ فَوْقَهَا ٱلرُّكْبَانَا
لَا تَأْخُذَنْكَ حَيْرَةٌ مِمَّا جَرَى   تَٱللّٰهُ خَوَّلَ آدَمَ ٱلسُّلْطَانَا
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ مِنَ ٱلْأَنَامِ فَإِنَّهُمْ   خَرَقُوا ٱلسَّمَاءَ وَسَخَّرُوا ٱلْأَكْوَانَا
مَا كُنْتَ تَخْشَى فِي حِمَاكَ مُزَاحِماً   حَتَّى رَأَيْتَ بِجَوِّكَ ٱلْإِنْسَانَا

---

(١) هو اول طيار حلق في سما بيروت (٢) جمع المرجل وهو القدر
(٣) ساحاتها (٤) يقال غص المنزل . . . اذا امتلأ بهم وضاق عليهم

فَلَقَدْ مَضَتْ يَا نَسْرُ دَوْلَتُكَ ٱلَّتِي   هَدَمَتْ لَهَا أَيْدِي ٱلْوَرَى ٱلْأَرْكَانَا
وَمَضَى زَمَانٌ كُنْتَ فِيهِ مُمَنَّعاً   تَطْوِي ٱلرَّقِيعَ وَتَنْثَنِي نَشْوَانَا

...

يَا شَرْقُ مَا لَكَ خَامِلاً وَٱلْغَرْبُ فِي   أَوْجِ ٱلنَّبَاهَةِ يَنْشُرُ ٱلْعُمْرَانَا (١)
أَفَلَا تَرَاهُمْ يُحْدِثُونَ غَرَائِباً   يَقِفُ ٱللَّبِيبُ أَمَامَهَا حَيْرَانَا
مِنْ كُلِّ مُعْجِزَةٍ نَكَادُ نَعُدُّهَا   سِحْراً وَنَحْسَبُ رَبَّهَا شَيْطَانَا
لَا، لَيْسَ مِنْ سِحْرٍ هُنَاكَ وَإِنَّمَا   تَلِدُ ٱلْعُلُومُ ٱلْمُعْجِزَ ٱلْفَتَّانَا
سَقْياً لِصَدْرِكِ يَا فِرَنْسَا إِنَّهُ   يَسْقِي ٱلصُّدُورَ مِنَ ٱلْعُلُومِ لِبَانَا
أَيُّ ٱكْتِشَافٍ لَمْ تَكُونِي أُمَّهُ   أَوْ لَمْ تَزِيدِي صُنْعَهُ إِتْقَانَا

احتراق سوق الشفقة في باريس

« من قصيدة للشيخ نجيب الحداد »

أَيُّ رُزْءٍ أَجْرَى ٱلدُّمُوعَ دِمَاءً   وَأَذَابَ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْأَحْشَاءَ
وَأَسَالَ ٱلنُّفُوسَ حُزْناً وَأَذْكَى (٢)   ٱلصَّدْرَ نَاراً وَٱسْتَنْزَفَ (٣) ٱلْعَيْنَ مَاءَ
أَيُّ خَطْبٍ أَصَابَ بَارِيسَ أُمَّ ٱلْمُدْنِ   بِنْتَ ٱلتَّمَدُّنِ ٱلزَّهْرَاءَ
فَجْعَةٌ أَكْمَدَتْ ضُحَاهَا وَقَدْ خَصَّتْ   بَنِيهَا وَعَمَّتِ ٱلْغُرَبَاءَ

(١) الخامل الخفي الذي ليس له ذكر . والنباهة الاشتهار وهي ضد الخمول
(٢) اوقد (٣) استنزف الدمع استخرجه كله

لَيسَ بِدْعٌ[١] فِي خطبِ بَارِيسَ أَنْ تَشْـمَلَ[٢] آثَارُ حُزْنِهِ ٱلدُّنْيَاءَ
هِيَ قَلْبُ ٱلدُّنْيَا أُصِيبَ بِسَهْمٍ فَأَصَابَتْ آلَامُـهُ ٱلْأَعْضَاءَ
وَهْيَ أُمُّ ٱلْآدَابِ أَثْكَلَهَا ٱلدَّهْـرُ فَأَبْكَتْ بِوَجْدِهَا ٱلْأَبْنَاءَ
قَدْ دَهَاهَا مُصَابُ سَادُومَ لٰكِنْ خَصَّ مِنْ بَينِ قَوْمِهَا ٱلْأَبْرِيَاءَ
فَهْيَ فِي ٱلْحُزْنِ مِثْلُ رَاحِيلَ إِذْ تَبْـكِي بَنِيهَا وَلَا تُرِيدُ عَزَاءَ
أَذْكَتِ ٱلْكَهْرَبَاءُ فِيهَـا لَهِيباً قَدْ كَرِهْنَـا لِأَجْلِهِ ٱلْكَهْرَبَاءَ
وَرَمَاهَا نُورُ ٱلضِّيَـاءِ بِنَارٍ أَظْلَمَتْهَا فَمَا تُلَاقِي ٱلضِّيَاءَ
فِي مَكَانٍ أُنْشِي لِدَفْعِ بَلَاءٍ عَنْ فَقِيرٍ فَكَانَ[٣] فِيـهِ بَلَاءَ
سُوقُ بِرٍّ تُبَاعُ فِيهَا ٱللُّهَى[٤] بَيْـعاً وَيُشْرَى ٱلثَّوَابُ فِيهَا شِرَاءَ
زَيَّنَتْهَا بِيضُ ٱلْأَيَادِي وَأَيْدِي ٱلْـبِيضِ مِنْ مُحْسِنٍ وَمِنْ حَسْنَاءَ
أَنْفُسٌ تَبْتَغِي ٱلسَّمَاءَ فَمَـا أَمْـسَيْنَ إِلَّا وَقَدْ بَلَغْنَا ٱلسَّمَاءَ
أَدْرَكَتْ مَا تَرُومُ مِنْ جَنَّةِ ٱلْخُلْـدِ[٥] وَلٰكِنْ كَانَ ٱلطَّرِيقُ صِلَاءَ[٦]
مَنْ رَأَى قَبْلَهَا جَحِيماً يُؤَدِّي لِنَعِيمٍ أَبْنَـاءَهُ ٱلشُّهَدَاءَ
أَوْ رَأَى مُحْسِناً يَجُودُ عَلَى ٱلنَّا سِ فَيَلْقَى نَارَ ٱلْحَرِيقِ جَزَاءَ
أَتُرَى كَانَ ذَاكَ مَطْهَرَ مَنْ مَا تُوا فَيَمْحُو عَنِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْخَطَاءَ

---

(١) لا غريب ولا عجب (٢) تعم (٣) اي كان النور في المكان بلاء
(٤) جمع اللهية وهي العطية او افضل العطايا واجزلها (٥) البقـاء والدوام . وجنة الخلد كناية عن السماء لبقاء اهلها فيها (٦) ناراً

أَمْ هُوَ ٱلدَّهْرُ لا يَزَالُ مُسِيئاً لِكَرِيمٍ وَمُكْرِماً مَنْ أَسَاءْ
يَا رُبُوعاً كانَتْ مَعَاهِدَ إِحسَانٍ وَحُسْنٍ فَأَصْبَحَتْ قَفْرَاءْ
وَدِيَاراً كانتْ مَنَازِلَ إِينَاسٍ فَأَضحَتْ بَلَاقِعاً[1] وَخَلاءْ
وَكِرَاماً كانُوا مَنَاهِلَ جُودٍ لِفَقِيرٍ فَأَصْبَحُوا فُقَرَاءْ
أُمَرَاءُ نَادَى ٱلنَّدَى فَأَطَاعُوهُ أَمِيراً لَهُمْ وَلَبُّوا ٱلنِّدَاءْ
وَحِسَانٌ قَدْ جُدْنَ بِرًّا كَأَنَّ ٱلبِرَّ ثَوْبٌ يَزِيدُهُنَّ بَهَاءْ
سَاحَةٌ تُنْبِتُ ٱلْمَكارِمَ وَٱلرَّأْفَةَ وَٱلْمَجْدَ وَٱلنَّدَى وَٱلْإِخَاءْ
فَنِسَاءٌ بِهَا تُبَارِي[2] رِجَالًا وَرِجَالٌ بِهَا تُبَارِي ٱلنِّسَاءْ
أَوْجُهٌ يُشْرِقُ ٱلسَّنَا مِنْ مُحَيَّاهَا فَتَزْدَادُ بِٱلْجَمِيلِ سَنَاءْ
دُحْنَ يَزْهُونَ بِٱلْبَيَاضِ فَمَا امْسَيْنَ إِلَّا كَوَالِحاً[3] سَوْدَاءْ
رِمَمًا[4] لَمْ تَدَعْ بِهَا ٱلنَّارُ إِلَّا رَسْمَ جِسْمٍ وَأَعْظُماً جَرْدَاءْ
كُنَّ نَاساً فَصِرْنَ نَاراً فَأَصْبَحْنَ رَمَاداً بِهَا فَصِرْنَ هَبَاءْ
قَدْ كَفَتْ لَحْظَةٌ لِأَنْ تَقْلِبَ ٱلْأَمْرَ وَأَنْ تَجْعَلَ ٱلنَّعِيمَ شَقَاءْ
فَٱسْتَحَالَ ٱلْهَنَاءُ بُؤْساً وَأَحْزَانًا وَأَضْحَى ذَاكَ ٱلسُّرُورُ بُكَاءْ
رَحِمَ ٱللهُ مَنْ قَضَى وَشَفَى ٱلْجَرْحَى وَعَزَّى ٱلْبَاكِينَ وَٱلتُّعَسَاءْ

(١) جمع بلقع وهو ارض قفر لا شيء فيها (٢) من باراه اذا فعل مثل فعله (٣) معبّسة (٤) جمع رمة وهي ما بلي من العظام

شلال حمانا

بقلم بطرس البستاني صاحب جريدة «البيان»

هَلْ زُرْتَهُ وَٱلْحَرُّ تَلْفَحُ نَارُهُ ... فَرَأَيْتَ كَيْفَ تَؤُمُّهُ زُوَّارُهُ

وَجَرَى ٱلنَّسِيمُ بِهِ فَبَرَّدَ آبَهُ ... حَتَّى يُخَيَّلُ أَنَّهُ آذَارُهُ

وَتَرَنَّحَتْ أَشْجَارُهُ وَتَضَوَّعَتْ ... أَزْهَارُهُ وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهُ

وَٱلْتَفَّتِ ٱلْأَغْصَانُ مَائِلَةً كَمَا ... رَقَصَ ٱلْخَلِيطُ كِبَارُهُ وَصِغَارُهُ

لَيْسَ ٱلْهَجِيرُ يَلُوحُ فِي أَيَّامِهِ ... أَيَّامُهُ آصَالُهُ أَسْحَارُهُ

يَا حُسْنَهُ مُتَحَدِّراً مِنْ حَالِقٍ ... قَلِقَ ٱلْجَوَانِبِ لَا يَقِرُّ قَرَارُهُ

كَٱلْأُفْعُوَانِ تَرَاهُ فِي مُنْسَابِهِ ... فَوْقَ ٱلْمُحَصَّبِ رُصِّعَتْ أَحْجَارُهُ

أَوْ كَٱلضَّبَابِ إِذَا ٱلرِّيَاحُ أَثَرْنَهُ ... مُلْقًى عَلَى مَتْنِ ٱلْفَضَاءِ دِثَارُهُ

وَكَأَنَّهُ وَٱلشَّمْسُ فِي أَثْنَائِهِ ... ذَوْبُ ٱللُّجَيْنِ مِنَ ٱلنُّضَارِ نِثَارُهُ

وَكَأَنَّ تَوْقِيعَ ٱلْمِيَاهِ عَلَى ٱلْحَصَى ... نَغَمُ ٱلْخُلُودِ تَوَحَّدَتْ أَوْتَارُهُ

وَكَأَنَّمَا صَفْصَافُهُ بِحِيَالِهِ ... كَلِفٌ يُحَاذِرُ أَنْ تُرَى أَسْرَارُهُ

وَكَأَنَّ مَائِسَ فَرْخِهِ مُتَهَتِّكٌ ... خَلَعَ ٱلْعِذَارَ وَلَمْ يَخُطَّ عِذَارُهُ[1]

أَوْ شَادِنٌ حَالِي ٱلْمَعَاصِمِ غَائِصٌ ... فِي ٱلْمَاءِ يَنْظُرُ أَيْنَ ضَاعَ سِوَارُهُ

---

(١) الفرخ الغصن. والمراد بخلع العذار الانهماك في الغيّ. ويقال خط الغلام اذا نبت عذاره وهو الشعر الذي يحاذي الاذن. وإسناد الفعل الى العذار مجاز مرسل من باب تسمية الجزء باسم الكل

وَكَأَنَّهُ وَٱلْمَاءُ يُعْرِي سَاقَهُ ... رَشَأٌ يُحَلُّ مِنَ ٱلدِّعَابِ إِزَارُهُ

وَكَأَنَّمَا أَوْرَاقُهُ وَحَفِيفُهَا ... هَمَسَاتُ صَبٍّ مَا ٱنْقَضَتْ أَوْطَارُهُ

يَا حَبَّذَا ٱلْوَادِي ٱلظَّلِيلُ وَحَبَّذَا ... يَوْمٌ حَوَانِي لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ

دمعة على ربوع لبنان

« للشاعر نفسه »

حَتَّى مَتَى أَجْفَانِيَ ٱلسَّاهِرَهْ ... تَرْعَى ٱلدُّجَى فِي لَيْلَةٍ كَافِرَهْ

طَوِيلَةٍ لَيْسَ لَهَا آخِرٌ ... مَوْصُولَةِ ٱلْأَطْرَافِ بِٱلْآخِرَهْ

أَبِيتُ فِيهَا لَا أَرَى زَائِراً ... فِي وَحْدَتِي يُؤْنِسُ أَوْ زَائِرَهْ

كَأَنَّنِي طَيْفٌ بِهَا طَائِفٌ ... أَوْ فِكْرَةٌ شَارِدَةٌ طَائِرَهْ

تَجْتَابُ لُبْنَانَ فَلَا قِمَّةٌ ... تَرُدُّهَا خَاسِرَةً عَاثِرَهْ

وَتَعْبُرُ ٱلْيَمَّ فَتَجْتَازُهُ ... كَأَنَّهَا بَاخِرَةٌ مَاخِرَهْ

كَأَنَّمَا ٱللَّيْلُ بِأَشْبَاحِهِ ... مَوَاكِبٌ أَرْوَاحُهَا ثَائِرَهْ

كَأَنَّمَا ٱلنَّجْمُ عُيُونُ ٱلدُّجَى ... تَجُولُ فِيهَا دَمْعَةٌ حَائِرَهْ

كَأَنَّمَا ٱلْبَدْرُ فَتَاةٌ بَدَتْ ... سَافِرَةً عَنْ وَجْنَةٍ نَاضِرَهْ

أَوْ زَوْرَقٌ مِنْ فِضَّةٍ عَائِمٌ ... مُنْطَلِقٌ فِي أَبْحُرٍ زَاخِرَهْ

كَأَنَّ لُبْنَانَ بِأَطْوَادِهِ ... طَوَائِفُ ٱلْجِنِّ بِهِ دَائِرَهْ

يَا حَبَّذَا لُبْنَانُ مِنْ مَوْطِنٍ ... وَحَبَّذَا أَرْبُعُهُ ٱلزَّاهِرَهْ
وَحَبَّذَا مَاءٌ بِهِ بَارِدٌ ... وَحَبَّذَا أَرْوَاحُهُ ٱلْعَاطِرَهْ
ذَكَّرْتُهُ أَيَّامَ أَمْجَادِهِ ... فِيمَا مَضَى مِنَ حِقَبٍ غَابِرَهْ
أَيَّامَ كَانَ ٱلْعِزُّ فِي أَرْزِهِ ... أَيَّامَ كَانَتْ دُورُهُ عَامِرَهْ
فَٱنْهَلَّتِ ٱلْأَدْمُعُ مِنْ مُقْلَتِي ... حُزْناً عَلَى حَالَتِهِ ٱلْحَاضِرَهْ
قَدْ عَبِثَ ٱلدَّهْرُ بِآمَالِهِ ... وَبَاتَتِ ٱلدُّنْيَا بِهِ غَادِرَهْ
أَلرُّومُ وَٱلْأَرْمَنُ مِنْ قَوْمِهِ ... وَقَوْمُهُ عَنْ أَرْضِهِ نَافِرَهْ
أَلَا تَرَى ٱلْهِجْرَةَ تَسْتَاقُهُمْ ... بَاخِرَةٌ تَتْبَعُهَا بَاخِرَهْ
وَأَرْضُهُ بَاتَتْ بِلَا زَارِعٍ ... فَأَصْبَحَتْ قَاحِلَةً بَائِرَهْ
وَهَدَّدَ ٱلْإِفْلَاسُ تُجَّارَهُ ... فَسُوقُهُمْ كَاسِدَةٌ خَاسِرَهْ
فِي ذِمَّةِ ٱلتَّارِيخِ مَنْكُودَةٌ ... جَارَتْ عَلَيْهَا أُمَمٌ جَائِرَهْ
تُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِنَيْلِ ٱلْمُنَى ... أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بِهَا سَائِرَهْ
لَهْفِي عَلَيْهَا بَعْدَ آمَالِهَا ... دَارَتْ عَلَى ٱسْتِقْلَالِهَا ٱلدَّائِرَهْ
مَا أَصْعَبَ ٱلْعَيْشَ عَلَى أُمَّةٍ ... قَدْ قِيلَ عَنْهَا أُمَّةٌ قَاصِرَهْ
لَا حَقَّ فِي ٱلدُّنْيَا لِمُسْتَضْعَفٍ ... أَلْحَقُّ فِي جَنْبِ ٱلْقُوَى ٱلْقَاهِرَهْ

مصايف لبنان

« من قصيدة لحليم دموس »

لُبنانُ آيُ ٱلْحُسْنِ فِي صَفَحَاتِهِ ... وَضَّاحةٌ وَٱلْيُمْنُ فِي جَنَبَاتِهِ
فَٱنْزِلْ مَصَايِفَهُ ٱلْجَمِيلَةَ إِنَّهَا ... أُنسُ ٱلنَّزِيلِ وَمُنْتَهَى رَغَبَاتِهِ
وَٱنْهَلْ نَمِيرَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَلْسَالِهِ ... وَٱنْشَقْ عَبِيرَ ٱلْمِسْكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ
أَلْكَوْثَرُ ٱلْمَعْسُولُ مِنْ أَنْهَارِهِ ... وَجِنَانُ « عِلِّيِّينَ » مِنْ جَنَّاتِهِ
وَٱلْبَحْرُ مُنْطَرِحٌ عَلى أَقْدَامِهِ ... وَٱلثَّلْجُ مُنْبَسِطٌ عَلى ذُرُوَاتِهِ
وَٱلْحُسْنُ كُلُّ ٱلْحُسْنِ فِي أَقْمَارِهِ ... وَٱلسِّحْرُ كُلُّ ٱلسِّحْرِ فِي ظَبَيَاتِهِ
فَتَّشْتُ عَنْ رَوْضِ ٱلْخُلُودِ فَلَمْ أَجِدْ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا ٱلْأَرْزَ مِنْ شَجَرَاتِهِ
تَتَعَانَقُ ٱلْأَدْيَانُ فَوْقَ هِضَابِهِ ... كَتَعَانُقِ ٱلْأَغْصَانِ فِي غَابَاتِهِ
جَمَعَتْهُمُ أُمُّ ٱللُّغَاتِ وَحَبَّذَا ... صِلَةٌ يَرَاهَا ٱلشَّعْبُ رَمْزَ حَيَاتِهِ
لُغَةٌ تَعَشَّقَ آيَهَا فَتَغَلْغَلَتْ ... فِي صَدْرِهِ وَجَرَتْ عَلى لَهَوَاتِهِ

تِلْكَ ٱلْمَصَايِفُ مَا ذَكَرْتُ جَمَالَهَا ... إِلَّا ثَنَيْتُ ٱلْقَلْبَ عَنْ لَهَفَاتِهِ
فَعَسَى نَرَى لُبْنَانَ رَابِطَةً بِهَا ... يَنْضَمُّ شَمْلُ ٱلشَّرْقِ بَعْدَ شَتَاتِهِ
مَاذَا عَلَى أَبْنَائِهِ لَوْ أَنْصَفُوا ... وَتَعَهَّدُوا ٱلْمَدْفُونَ مِنْ خَيْرَاتِهِ

وَتَعَارَفَتْ أَقْطَارُهُ وَتَآلَفَتْ لِحَيَاتِهِ وَتَحَالَفَتْ لِنَجَاتِهِ
وَإِذَا ٱلْقُلُوبُ تَوَحَّدَتْ فِي مَوْطِنٍ عَطَفَتْ عَلَيْهِ وَفَرَّجَتْ كُرُبَاتِهِ
فَتَحِنُّ ظَامِئَةً إِلَى ٱسْتِقْلَالِهِ وَتَرِفُّ حَائِمَةً عَلَى رَايَاتِهِ

المعلم

« بقلم الياس ابي شبكة »

تَبَسَّمْ لَهُمْ عَنْ غِبْطَةٍ وَتَوَسَّمِ فَفِي مُقْلَةِ ٱلتِّلْمِيذِ رُوحُ ٱلْمُعَلِّمِ
تَمُرُّ ٱلثَّوَانِي لَا أُحِسُّ مُرُورَهَا أَمَامَ صِغَارٍ عُطَّشٍ لِلتَّقَدُّمِ
تُضِيءُ زُيُوتُ ٱلطُّهْرِ فِي حَدَقَاتِهِمْ يُمَازِجُهَا لُطْفُ ٱلْفَمِ ٱلْمُتَبَسِّمِ
أَمَامَ صِغَارٍ جَانِحِينَ إِلَى ٱلْعُلَى كَأَفْرَاخِ نَسْرٍ أُورِثُوا ٱلْمَجْدَ فِي ٱلدَّمِ
لَهُمْ لُغَةٌ مَا دَنَّسَ ٱلْحَيْفُ عِرْضَهَا كَآمَالِهِمْ شَمَّاءُ لَمْ تَتَهَدَّمِ
أَقُولُ لَهُمْ فِي سَاعَةِ ٱلدَّرْسِ إِنَّكُمْ بَقَايَا مِنَ ٱلْإِجْلَالِ لِلْعُرْبِ تَنْتَمِي
فَإِنْ تَثِبُوا فَالْمَجْدُ فِي وَثَبَاتِكُمْ وَإِنْ تَقْعُدُوا فَٱلْمَجْدُ رَهْنُ ٱلتَّصَرُّمِ
فَيَنْشَرِقُ فِي أَجْفَانِهِمْ إِثْرَ خُطْبَتِي شُعَاعٌ مِنَ ٱلْآمَالِ لَمْ يَتَجَهَّمِ
فَأُبْصِرُ فَجْراً مِنْ وُجُودٍ مُلَثَّمٍ بِشَفَّافَةٍ مِنْ مُزْمِعٍ غَيْرِ مُبْهَمِ
أُعِدُّ شَرَاباً خَالِداً لِنُفُوسِهِمْ وَأُطْعِمُهُمْ مِنْ مُهْجَتِي خَيْرَ مَطْعَمِ
أُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ ٱلْحَقِيقَةُ تَعْتَلِي
وَكَيْفَ ٱلْرَّزَايَا فِي ٱلْكَوْنِ يَكْسُو وَيَرْتَمِي
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ٱلنُّفُوسَ مَسَارِحٌ فَإِنْ تُشْغِلُوهَا بِٱلْمَعَايِبِ تُظْلِمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ٱلْجِهَادَ فَضِيلَةٌ
تُبَارِكُهَا رُوحُ ٱلْإِلٰهِ ٱلْمُعَظَّمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ٱلْإِبَاءَ مُهَنَّدٌ
تُصَارِعُهُ ٱلدُّنْيَا وَلَمَّا يُحَطَّمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ٱلنِّفَاقَ جِنَايَةٌ
وَإِنَّ رَبِيبَ ٱلْكِذْبِ أَفْظَعُ مُجْرِمِ

فَتَهْتَزُّ فِيهِمْ فِطْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
بِغَيْرِ ٱلْعُلَى وَٱلصِّدْقِ لَمْ تَتَرَنَّمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ٱلْمُعَلِّمَ جَذْوَةٌ
مِنَ ٱللهِ مَهْمَا تَقْتَرِبْ تَتَضَرَّمِ

فَيُصْغُونَ إِصْغَاءَ ٱلْجَدَاوِلِ لِلصَّبَا
فَأَشْعُرُ أَنَّ ٱلْقَلْبَ يَقْطُرُ مِنْ فَمِي

أَقُولُ لِرَبِّي أَعْطِنِي ٱلنُّورَ إِنَّنِي
أَرَى ٱلنَّفْسَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ أَقْتَمِ

لِأَسْكُبَهُ فِي كُلِّ رُوحٍ بَرِيئَةٍ
وَأَهْدِي بِهِ قَلْبَ ٱلصِّغَارِ لِيَحْتَمِي

أَقُولُ لَهُ أَنْعِمْ عَلَيَّ بِخَاطِرٍ
نَقِيٍّ كَقَلْبِ ٱلطِّفْلِ يَا خَيْرَ مُنْعِمِ

لِأُنْزِلَ نَفْسِي مَنْزِلَ ٱلطُّهْرِ فِي ٱلْوَرَى
وَأَرْفَعَ قَلْبِي عَنْ وِهَادِ ٱلتَّأَلُّمِ

أَقُولُ لَهُ ضَعْ فِي كَلَامِيَ بَسَاطَةً
وَأَلْهِمْ فُؤَادِي ٱلْحُبَّ يَا خَيْرَ مُلْهِمِ

لِتَفْهَمَنِي تِلْكَ ٱلْحَدَاثَةُ مِثْلَمَا
فَهِمْتُ خِلَالَ ٱلْأَمْسِ قَلْبَ مُعَلِّمِي

أُفَكِّرُ مِنْ أَجْلِ ٱلْحَدَاثَةِ عَالِيًا
لِأَنَّ مَرَاقِيَ ٱلْعِلْمِ أَرْفَعُ سُلَّمِ

فَمَا تَكْتَفِي أَنِّي أُغَذِّي عُقُولَهُمْ
فَأُدْخِلَ تَقْوَى ٱلضَّمَائِرِ فِيهِمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنْ تَمْلِكُوا ٱلْحُكْمَ فِي غَدٍ
فَلَا تُعْرِضُوا عَنْ أَدْمُعِ ٱلْمُتَظَلِّمِ

وَإِنْ تَعْتَلُوا عَرْشَ ٱلْقَضَاءِ فَأَنْصِفُوا
فَرُبَّ بَرِيءٍ غِيلَ فِي ثَوْبِ مُتَّهَمِ

أَقُولُ لَهُمْ إِنْ تُمْنَحُوا ٱلْمَالَ فِي غَدٍ
فَلَا تُمْسِكُوهُ عَنْ يَتِيمٍ وَأَيِّمِ

وَلَا تَجْعَلُوهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ضَمِيرَكُمْ
فَلَيْسَ ضَمِيرُ ٱلْمَرْءِ كُرْسِيَّ دِرْهَمِ

الباب السابع

في الفخر والحماسة

« قال ابو فراس من قصيدة يفتخر فيها بنفسه »

إنْ لَمْ تَكُنْ طَالَتْ سِنِيَّ فَإِنَّ لِي   رَأْيَ ٱلْكُهُولِ وَنَجْدَةَ[1] ٱلشُّبَّانِ
يَادَهْرُ خُنتَ مَعَ ٱلْأَصَادِقِ خِلَّتِي[2]   وَغَدَرْتَ بِي فِي جُمْلَةِ ٱلْإِخْوَانِ
لٰكِنَّ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي   لَمْ أَنْسَهُ وَأَرَاهُ لَا يَنْسَانِي
أَيُضِيعُنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ لِيَ حَافِظاً   كَرَماً وَيَخْفِضُنِي ٱلَّذِي أَعْلَانِي
إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِيَ أَنْ أَرَى   فِيهِ رِجَالًا لَا تَسُدُّ مَكَانِي
وَلَطَالَمَا حَطَّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ   وَلَرُبَّمَا أَرْعَفْتُ أَنْفَ سِنَانِي[3]
وَلَطَالَمَا قُدْتُ ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْعِدَى   قُبَّ ٱلْبُطُونِ[4] طَوِيلَةَ ٱلْأَرْسَانِ
مَازِلْتُ أَكْلَأُ كُلَّ ثَغْرٍ مُوحِشٍ   أَبَداً بِمُقْلَةِ سَاهِرٍ يَقْظَانِ
شَلَّالِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ذَوَّادِهَا[5]   ضَرَّابِ هَامَاتِ ٱلْعِدَى طَعَّانِ
إِنْ يَمْنَعِ ٱلْأَعْدَاءُ حَدَّ صَوَارِمِي   لَا يُمْنَعِ ٱلْأَعْدَاءُ حَدَّ لِسَانِي

---

(١) شجاعة وبأس وشدة (٢) مصادقتي واخائي (٣) المثقف من الرماح المقوَّم . وأرعف الانف جعله يسيل دماً (٤) جمع الاقبّ وهو من الخيل الرقيق الخصر الضامر البطن (٥) الشلال والذوّاد لطارد والدافع وكلاهما للمبالغة

« وقال ايضاً من قصيدة يفتخر بها على الدمستق قائد الروم »

يَعِزُّ عَلى ٱلْأَحِبَّـةِ بِٱلشَّآمِ ... حَبِيبٌ بَاتَ مَمْنُوعَ ٱلْمَنَـامِ
وَإِنِّي لِلصَّبُـورُ عَلى ٱلرَّزَايَا ... وَلٰكِنَّ ٱلْكِلامَ عَلى ٱلْكِلامِ
جُرُوحٌ لَا يَزَلْنَ يَرِدْنَ مِنِّي ... عَلى جُرْحٍ (١) قَرِيبِ ٱلْعَهْدِ دَامِي
تَأَمَّلَـنِي ٱلدُّمُسْتُقُ إِذْ رَآنِي ... فَأَبْصَرَ صِيغَةَ (٢) ٱللَّيْثِ ٱلْهُمَامِ
أَتُنْكِرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي ... بِأَنِّي ذٰلِكَ ٱلْبَطَلُ ٱلْمُحَامِي
وَأَنِّي إِنْ نَزَلْتُ عَلى ذَلُولٍ ... تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ ٱلنِّظَامِ
وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيبَ رَأْيِي ... تَحَلَّلَ عِقْدُ رَأْيِكَ فِي ٱلْمُقَامِ (٣)
وَكُنْتَ تَرَى ٱلْأَنَاةَ وَتَدَّعِيهَـا ... فَأَعْجَلَكَ ٱلطِّعَانُ عَلى ٱلْكَلامِ
وَبِتَّ مُؤَرَّقاً مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... حَمَى جَفْنَيْكَ طِيبَ ٱلنَّوْمِ حَامِي
وَلَا أَرْضَى ٱلْفَتَى مَا لَمْ يُكَمِّلْ ... بِرَأْيِ ٱلْكَهْلِ إِقْدَامَ ٱلْغُلامِ
وَأَصْعَبُ خُطَّةٍ وَأَجَلُّ أَمْرٍ ... مُجَالَسَةُ ٱللِّئَامِ عَلَى ٱلْكِرَامِ
يُرِيغُونَ (٤) ٱلْعُيُوبَ وَأَعْجَزَتْهُمْ ... وَأَيُّ ٱلْعَيْبِ يُوجَدُ فِي ٱلْحُسَامِ
أَبِيتُ مُبَرَّءاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... وَأُصْبِحُ سَالِماً مِنْ كُلِّ ذَامِ (٥)
وَمَنْ أَبْقَى ٱلَّذِي أَبْقَيْتُ هَانَتْ ... عَلَيْهِ مَوَارِدُ ٱلْمَوْتِ ٱلزُّؤَامِ (٦)

---

(١) اي لا يزلن يردن على جرح مني . وورد الشيء اشرف عليه وبلغه (٢) اصل
(٣) اي رجعت عن رأيك في الاقامة (٤) يطلبون ويريدون (٥) عيب (٦) الكريه

ثَنَاءٌ طَيِّبٌ لَا خُلْفَ (١) فِيهِ وَآثَارٌ كَآثَارِ ٱلْغَمَامِ
أُلَامُ عَلَى ٱلتَّعَرُّضِ لِلْمَنَايَا وَلِي سَمْعٌ أَصَمُّ عَنِ ٱلْمَلَامِ
بَنُو ٱلدُّنْيَا إِذَا مَاتُوا سَوَاءٌ وَلَوْ عَمَرَ ٱلْمُعَمَّرُ أَلْفَ عَامِ
أَلَا يَا صَاحِبَيَّ تَذَكَّرَانِي إِذَا مَا شِمْتُمَا ٱلْبَرْقَ ٱلشَّآمِي
إِذَا مَا لَاحَ لِي لَمَعَانُ بَرْقٍ بَعَثْتُ إِلَى ٱلْأَحِبَّةِ بِٱلسَّلَامِ

عرضت على سيف الدولة خيوله وبنو اخيه حضور فكل اختار
منها وطلب حاجته . وامسك ابو فراس فعتب عليه سيف
الدولة ووجد في ذلك فقال ابو فراس

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْوَافِي
لَا أَرْتَضِي وُدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ ٱلْجَفَاءِ وَقِلَّةِ ٱلْإِنْصَافِ
إِنَّ ٱلْغَنِيَّ هُوَ ٱلْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَ أَنَّهُ عَارِي ٱلْمَنَاكِبِ حَافِي
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ ٱلْبَسِيطَةِ كَافِياً وَإِذَا قَنِعْتَ فَبَعْضُ شَيْءٍ كَافِ
وَتَعَافُ (٢) لِي طَبَعَ ٱلْحَرِيصِ إِبَاءَتِي وَمُرُوءَتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي
مَا كَثْرَةُ ٱلْخَيْلِ ٱلْجِيَادِ بِزَائِدِي (٣)
شَرَفاً وَلَا عَدَدُ ٱلسَّوَامِ ٱلضَّافِي (٤)

---

(١) الخلف الرديء من القول (٢) تكره (٣) اي لا تزيدني (٤) السوام الماشية والابل الراعية . والضافي الكثير

خَيْلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرٌ نَفْعُهَا   بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا ٱلرُّعَّافِ[١]
وَمَكَارِمِي عَدَدَ ٱلنُّجُومِ وَمَنْزِلِي   مَأْوَى ٱلْكِرَامِ وَمَنْزِلُ ٱلْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً   حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلَافِي[٢]
شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ مُذْ أَنَا يَافِعٌ   وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

وقال عنترة العبسي

إِذَا قَنِعَ ٱلْفَتَى بِذَمِيمِ عَيْشٍ   وَكَانَ وَرَاءَ سَجْفٍ[٣] كَٱلْبَنَاتِ
وَلَمْ يَهْجُمْ عَلَى أُسْدِ ٱلْمَنَايَا   وَلَمْ يَطْعَنْ صُدُورَ ٱلصَّافِنَاتِ[٤]
وَلَمْ يَقْرِ[٥] ٱلضُّيُوفَ إِذَا أَتَوْهُ   وَلَمْ يُرْوِ ٱلسُّيُوفَ مِنَ ٱلْكُمَاةِ[٦]
وَلَمْ يَبْلُغْ بِضَرْبِ ٱلْهَامِ[٧] مَجْداً   وَلَمْ يَكُ صَابِراً فِي ٱلنَّائِبَاتِ
فَقُلْ لِلنَّاعِيَاتِ إِذَا بَكَتْهُ   أَلَا فَٱقْصِرْنَ نَدْبَ ٱلنَّادِبَاتِ
وَلَا تَنْدُبْنَ إِلَّا لَيْثَ غَابٍ   شُجَاعاً فِي ٱلْحُرُوبِ ٱلثَّائِرَاتِ
دَعُونِي فِي ٱلْحَيَاةِ أَمُتْ عَزِيزاً   فَمَوْتُ ٱلْعِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي
لَعَمْرِي مَا ٱلْفَخَارُ بِكَسْبِ مَالٍ   وَلَا يُدْعَى ٱلْغَنِيُّ مِنَ ٱلسَّرَاةِ

(١) جمع الراعف وهو الذي يسيل دماً (٢) الاحلاف جمع الحلف وهو الصديق يحلف لصاحبه ان لا يغدر به (٣) ستر (٤) جمع الصافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم (٥) من قرى الضيف اذا اضافه (٦) جمع الكمي وهو الشجاع (٧) جمع الهامة وهي الرأس

سَتَذْكُرُنِي ٱلْمَعَامِعُ[(١)] كُلَّ وَقْتٍ ... عَلَى طُولِ ٱلْحَيَاةِ إِلَى ٱلْمَمَاتِ
فَذَاكَ ٱلذِّكْرُ يَبْقَى لَيْسَ يَفْنَى ... مَدَى ٱلْأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَآتِ
وَإِنِّي ٱلْيَوْمَ أَحْمِي عِرْضَ قَوْمِي ... وَأَنْصُرُ آلَ عَبْسَ عَلَى ٱلْعُدَاةِ
وَآخُذُ مَالَنَا مِنْهُمْ بِحَرْبٍ ... تَخِرُّ[(٢)] لَهَا مُتُونُ[(٣)] ٱلرَّاسِيَاتِ
وَأَتْرُكُ كُلَّ نَائِحَةٍ تُنَادِي ... عَلَيْهِمْ بِٱلتَّفَرُّقِ وَٱلشَّتَاتِ[(٤)]

وقال عامر العدواني مفتخراً بقومه

أُولٰئِكَ قَوْمٌ شَيَّدَ ٱللّٰهُ فَخْرَهُمْ ... فَمَا فَوْقَهُمْ فَخْرٌ وَإِنْ عَظُمَ ٱلْفَخْرُ
أُنَاسٌ إِذَا مَا ٱلدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهُهُ ... فَأَيْدِيهِمِ بِيضٌ وَأَوْجُهُهُمْ زُهْرُ
يَصُونُونَ أَحْسَاباً وَمَجْداً مُؤَثَّلًا ... بِبَذْلِ أَكُفٍّ دُونَهَا ٱلْمُزْنُ وَٱلْبَحْرُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ ... لِنُورِهِمِ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ وَٱلْبَدْرُ
فَلَوْ مَسَّتِ ٱلصَّخْرَ ٱلْأَصَمَّ أَكُفُّهُمْ ... أَفَاضَ يَنَابِيعَ ٱلنَّدَى ذٰلِكَ ٱلصَّخْرُ

وقال بشّار بن بردٍ

وَعَيَّرَنِي ٱلْأَعْدَاءُ وَٱلْعَيْبُ فِيهِمِ ... وَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُرُوءَةَ وَٱلتُّقَى ... فَإِنَّ عَمَى ٱلْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

(١) جمع معمعة وهي الحرب والفتنة (٢) تسقط (٣) جمع متن وهو ظهر او الارض الصلبة المرتفعة (٤) التفرّق

ولابي الحسن التهامي من قصيدة

ظَنَّتْ شَبِيبَتَهُ تَبْقَى وَمَا عَلِمَتْ
أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ مِرْقَاةٌ إِلى ٱلْهَرَمِ
مَاشَابَ عَزْمِي وَلَاحَزْمِي وَلَا خُلُقِي
وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي
وَإِنَّمَا ٱعْتَادَ رَأْسِي غَيْرَ صَبْغَتِهِ
وَٱلشَّيْبُ فِي ٱلرَّأْسِ غَيْرُ ٱلشَّيْبِ فِي ٱلْهِمَمِ
لَا تَحْمَدِ ٱلدَّهْرَ فِي ضَرَّاءَ يَصْرِفُهَا فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ ٱلْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ
فَٱلدَّهْرُ كَٱلطَّيْفِ بُؤْسَاهُ وَأَنْعُمُهُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلا تَحْمَدْ وَلَا تَلُمِ
لَا تَحْسَبَنْ حَسَبَ ٱلْآبَاءِ مَكْرُمَةً لِمَنْ يُقَصِّرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمِ
حُسْنُ ٱلرِّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمُ بِطَوْلِهِمْ[1] فِي ٱلْمَعَالِي لَا بِطُولِهِمِ
مَا ٱغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ فَحَاسِدِي مُنْعِمٌ فِي زِيِّ مُنْتَقِمِ
فَٱللهُ يَكْلَأُ[2] حُسَّادِي فَأَنْعُمُهُمْ عِنْدِي وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِمِ

(١) الطول الغنى والسعة (٢) يحرس ويحفظ

السيف والقلم والمحراث

« من قصيدة لمحمد توفيق علي »

لَا ٱلسَّيْفُ فِي مِصْرَ يُرْضِينِي وَلَا ٱلْقَلَمُ
كِلَاهُمَا فِي يَمِينِ ٱلْحُرِّ مُنْثَلِمُ
جَرَّدْتُ سَيْفِي وَأَقْلَامِي وَبِي أَمَلٌ وَٱلْيَوْمَ أُغْمِدُهَا يَأْسًا وَبِي أَلَمُ
يُرِيدُ بِي ٱلدَّهْرُ لَا تَمَّتْ إِرَادَتُهُ ذُلًّا وَفَقْرًا وَيَأْبَى ٱلْعِزُّ وَٱلْكَرَمُ
سَأَصْرِفُ ٱلْعُمْرَ حُرًّا لَا يُقَيِّدُنِي إِلَّا ٱلتُّقَى وَٱلنُّهَى وَٱلْمَجْدُ وَٱلشَّمَمُ[1]
وَأَطْلُبُ ٱلْمَالَ لَا زَهْواً وَلَا سَرَفاً[2] فَإِنَّمَا ٱلْمَالُ فِي أَهْلِ ٱلنُّهَى ذِمَمُ
وَخَيْرُ مَا يَقْتَنِي ٱلْمِصْرِيُّ مَزْرَعَةٌ يَشْقَى بِهَا ٱلْفَأْسُ وَٱلْمِحْرَاثُ وَٱلنَّعَمُ

وقال معروف الرصافي

« من قصيدة يدعو فيها قومه الى التجنُّد »

طَالَ عَتْبِي عَلَى ٱلْحَوَادِثِ فِيكُمْ مِثْلَمَا طَالَ مَطْلُهَا بِٱلْوُعُودِ
فَمَتَى سَعْيُكُمْ وَمَا ذَا ٱلتَّوَانِي وَإِلَى كَمْ أَحُثُّكُمْ بِٱلنَّشِيدِ
أَنَا غِرِّيدُ شَارِدَاتِ ٱلْقَوَافِي أَفَلَمْ يُشْجِكُمْ بِهَا تَغْرِيدِي
كُنْتُ قَبْلًا أُثْنِي عَلَيْكُمْ لِأَنِّي أَبْتَغِي ٱلْحَثَّ بِٱلثَّنَاءِ ٱلْحَمِيدِ
فَأَتْقُوا ٱلْيَوْمَ صَوْلَةً مِنْ يَرَاعٍ وَاقِفٍ فِي مَوَاقِفِ ٱلتَّشْدِيدِ

---

(١) عزة النفس (٢) الزهو الكبر والفخر . والسرف تجاوز الحد والتبذير

أَيُّهَا ٱلْقَوْمُ نَحْنُ فِي عَصرِ عِلْمٍ جَعَلَ ٱلْحَرْبَ فِي طِرَازٍ جَدِيدِ
جَعَلَ ٱلْحَرْبَ تَدْرُسُ ٱلْيَوْمَ فَنًّا مُغْنِياً عَنْ شَجَاعَةِ ٱلصِّنْدِيدِ
إِنَّ لِلْعِلْمِ فِي حُرُوبِ بَنِي ٱلْعَصْرِ لَبَأْساً يَفُوقُ بَأْسَ ٱلْحَدِيدِ
فَٱسْتَعِدُّوا لِرَدِّ كُلِّ عَدُوٍّ أَنْكَرَ ٱلْحَقَّ نَاقِضاً لِلْعُهُودِ
وَأَعِزُّوا ٱلْمُلْكَ ٱلَّذِي نَبْتَغِيهِ بِجُنُودٍ مَبْثُوثَةٍ فِي ٱلْحُدُودِ
قَدْ دَعَتْكُمْ أَوْطَانُكُمْ فَأَجِيبُوا دَعْوَةَ ٱلْآمِرِينَ بِٱلتَّجْنِيدِ
نَحْنُ لَا نَقْصِدُ ٱلْحُرُوبَ وَلٰكِنْ نَبْتَغِي ٱلذَّوْدَ عَنْ تُرَاثِ ٱلْجُدُودِ
أَرَأَيْتُمْ مُلْكاً بِغَيْرِ جُنُودٍ إِنَّمَا ٱلْمُلْكُ قَائِمٌ بِٱلْجُنُودِ
فَٱجْمَعُوا ٱلْجَيْشَ فِي ٱلْعِرَاقِ لِيَرْعَى مَا لَدَيْكُمْ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَلِيدِ
وَيَرُدَّ ٱلْعَدُوَّ عَنْكُمْ وَيَحْمِي عَيْشَكُمْ مِنْ شَوَائِبِ ٱلتَّنْكِيدِ
لَا تَقَرُّوا عَلَى ٱلْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَرَبٌ مِنْ بَنِي ٱلْأُبَاةِ ٱلصِّيدِ
أَشْرَفُ ٱلْمَوْتِ عِنْدَهُمْ هُوَ مَوْتٌ فِي ضُحَى ٱلْخَيْلِ تَحْتَ خَفْقِ ٱلْبُنُودِ
وَأَعَزُّ ٱلْأَعْمَارِ عُمْرٌ قَصِيرٌ تَحْتَ ظِلٍّ مِنَ ٱلسُّيُوفِ مَدِيدِ
وَأَذَلُّ ٱلْحَيَاةِ عِنْدِي حَيَاةٌ قَدْ أُهِينَتْ حُقُوقُهَا بِجُمُودِ

الباب الثامن

في الحكم

فلسفة الحياة

«من قصيدة لايليا ابي ماضي»

أَيُّهَاذَا ٱلشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ ... كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلَا
إِنَّ شَرَّ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ نَفْسٌ ... تَتَوَقَّى قَبْلَ ٱلرَّحِيلِ ٱلرَّحِيلَا
وَتَرَى ٱلشَّوْكَ فِي ٱلْوُرُودِ وَتَعْمَى ... أَنْ تَرَى فَوْقَهَا ٱلنَّدَى إِكْلِيلَا
هُوَ عِبْءٌ عَلَى ٱلْحَيَاةِ ثَقِيلٌ ... مَنْ يَظُنُّ ٱلْحَيَاةَ عِبْئاً ثَقِيلَا
وَٱلَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ ... لَا يَرَى فِي ٱلْوُجُودِ شَيْئاً جَمِيلَا
لَيْسَ أَشْقَى مِمَّنْ يَرَى ٱلْعَيْشَ مُرًّا ... وَيَظُنُّ ٱللَّذَّاتِ فِيهِ فُضُولَا
أَحْكَمُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْحَيَاةِ أُنَاسٌ ... عَلَّلُوهَا فَأَحْسَنُوا ٱلتَّعْلِيلَا
فَتَمَتَّعْ بِالصُّبْحِ مَا دُمْتَ فِيهِ ... لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا
وَإِذَا مَا أَظَلَّ رَأْسَكَ هَمٌّ ... قَصِّرِ ٱلْبَحْثَ فِيهِ كَيْ لَا يَطُولَا
أَدْرَكَتْ كُنْهَهَا[1] طُيُورُ ٱلرَّوَابِي ... فَمِنَ ٱلْعَارِ أَنْ تَظَلَّ جَهُولَا

(١) جوهرها . والضمير يعود الى الحياة

مَا تَرَاهَا وَٱلْحَقْلُ مُلْكُ سِوَاهَا   تَخِذَتْ فِيهِ مَسْرَحاً وَمَقِيلَا
تَتَغَنَّى وَٱلصَّقْرُ قَدْ مَلَكَ ٱلْجَوَّ عَلَيْهَا وَٱلصَّائِدُونَ ٱلسَّبِيلَا
تَتَغَنَّى وَقَدْ رَأَتْ بَعْضَهَا يُؤْ   خَذُ حَيّاً وَٱلْبَعْضَ يَقْضِي قَتِيلَا
تَتَغَنَّى وَعُمْرُهَا بَعْضُ عَامٍ   أَفَتَبْكِي وَقَدْ تَعِيشُ طَوِيلَا
فَهْيَ فَوْقَ ٱلْغُصُونِ فِي ٱلْفَجْرِ تَتْلُو
سُوَرَ[1] ٱلْوَجْدِ وَٱلْهَوَى تَرْتِيلَا
وَهْيَ طَوْراً عَلى ٱلثَّرَى وَاقِعَاتٌ   تَلْقُطُ ٱلْحَبَّ أَوْ تَجُرُّ ٱلذُّيُولَا
كُلَّمَا أَمْسَكَ ٱلْغُصُونَ سُكُونٌ   صَفَّقَتْ لِلْغُصُونِ حَتَّى تَمِيلَا
فَإِذَا ذَهَّبَ ٱلْأَصِيلُ ٱلرَّوَابِي   وَقَفَتْ فَوْقَهَا تُنَاجِي ٱلْأَصِيلَا
فَٱطْلُبِ ٱللَّهْوَ مِثْلَمَا تَطْلُبُ ٱلْأَطْيَارُ عِنْدَ ٱلْهَجِيرِ ظِلّاً ظَلِيلَا
وَتَعَلَّمْ حُبَّ ٱلطَّبِيعَةِ مِنْهَا   وَٱتْرُكِ ٱلْقَالَ لِلْوَرَى وَٱلْقِيلَا
فَٱلَّذِي يَتَّقِي ٱلْعَوَاذِلَ يَلْقَى   كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَذُولَا
كُنْ غَدِيراً يَسِيرُ فِي ٱلْأَرْضِ رَقْرَا   قاً[2] فَيَسْقِي مِنْ جَانِبَيْهِ ٱلْحُقُولَا
تَسْتَحِمُّ ٱلنُّجُومُ فِيهِ وَيَلْقَى   كُلُّ شَخْصٍ وَكُلُّ شَيْءٍ مَثِيلَا
لَا وِعَاءً يُقَيِّدُ ٱلْمَاءَ حَتَّى   تَسْتَحِيلُ ٱلْمِيَاهُ فِيهِ وُحُولَا
كُنْ مَعَ ٱلْفَجْرِ نَسْمَةً يُوسِعُ ٱلْأَزْ   هَارَ شَمّاً وَتَارَةً تَقْبِيلَا

(١) جمع سورة وهي في الاصل قطعة مستقلة من القرآن (٢) الرقراق كل شيء له تلألؤ وبصيص

لَا سَمُوماً[1] مِنَ ٱلسَّوَاقِي ٱللَّوَاتِي
تَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ فِي ٱلظَّلَامِ عَوِيلَا

وَمَعَ ٱللَّيْلِ كَوْكَباً يُؤْنِسُ ٱلْغَا بَاتِ وَٱلنَّهْرَ وَٱلرُّبَى وَٱلسُّهُولَا
لَا دُجًى يَكْرَهُ ٱلْعَوَالِمَ وَٱلنَّا سَ فَيُلْقِي عَلَى ٱلْجَمِيعِ ٱلسُّدُولَا
أَيُّهَا ذَا ٱلشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ كُنْ جَمِيلًا تَرَى ٱلْوُجُودَ جَمِيلَا

الأُم مدرسة

« من قصيدة لحافظ بك ابراهيم »

إِنِّي لَتُطْرِبُنِي ٱلْخِلَالُ كَرِيمَةً طَرَبَ ٱلْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِ
وَيَهُزُّنِي ذِكْرُ ٱلْمُرُوءَةِ وَٱلنَّدَى بَيْنَ ٱلشَّمَائِلِ هِزَّةَ ٱلْمُشْتَاقِ
مَا ٱلْبَابِلِيَّةُ[2] فِي صَفَاءِ مِزَاجِهَا وَٱلشَّرْبُ[3] بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ
وَٱلشَّمْسُ تَبْدُو فِي ٱلْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي
وَٱلْبَدْرُ يَشْرُقُ مِنْ جَبِينِ ٱلسَّاقِي
بِأَلَذَّ مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ قَدْ مَازَجَتْهُ سَلَامَةُ ٱلْأَذْوَاقِ
فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ ٱصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ ٱلْأَرْزَاقِ
فَٱلنَّاسُ هٰذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ ٱلْأَخْلَاقِ

(١) السموم الريح الحارّة (٢) الخمرة (٣) جمع الشارب

وَٱلْمَالُ إنْ لَمْ تَدَّخِرْهُ مُحَصَّناً ... بِٱلْعِلْمِ كَانَ نِهَايَةَ ٱلْإِمْلَاقِ
وَٱلْعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلٌ ... تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ ٱلْإِخْفَاقِ
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ... مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلَاقِ (١)
كَمْ عَالِمٍ مَدَّ ٱلْعُلُومَ حَبَائِلًا ... لِوَقِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ (٢) وَفِرَاقِ
وَطَبِيبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لِطِبِّهِ ... مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ ٱلْخَلَّاقِ
وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ ... قَطْعَ ٱلْأَنَامِلِ أَوْ لَظَى ٱلْإِحْرَاقِ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لُعَابَهُ (٣) ... سُمّاً وَيَنْفُثُهُ (٤) عَلَى ٱلْأَوْرَاقِ
عَرِيَتْ عَنِ ٱلْخُلُقِ ٱلْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ ... فَحَيَاتُهُ ثِقَلٌ عَلَى ٱلْأَعْنَاقِ
لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ ... بِبَيَانِهِ وَيَرَاعِهِ ٱلسَّبَّاقِ
مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّهَا ... فِي ٱلشَّرْقِ عِلَّةُ ذٰلِكَ ٱلْإِخْفَاقِ
أَلْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إذَا أَعْدَدْتَهَا ... أَعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ ٱلْأَعْرَاقِ
أَلْأُمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَهُ ٱلْحَيَا ... بِٱلرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَا إيرَاقِ
أَلْأُمُّ أُسْتَاذُ ٱلْأَسَاتِذَةِ ٱلْأُلَى ... شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى ٱلْآفَاقِ
رَبُّوا ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْفَضِيلَةِ إنَّهَا ... فِي ٱلْمَوْقِفَيْنِ (٥) لَهُنَّ خَيْرُ وِثَاقِ

(١) الخلاق افعال الانسان المحمودة التي تكون خلقاً له (٢) القطيعة الهجران والوقيعة الغيبة والنميمة (٣) مج اللعاب رماه من فيه والمراد باللعاب هنا الحبر (٤) يرميه (٥) يريد بالموقفين التضييق والاطلاق وقد ذكرا في ابيات اسقطناها

الاحياء وحي الاموات

« من قصيدة للرصافي »

تَيَقَّظْ فَمَا أَنتَ بِٱلْخَالِدِ … وَلَا حَادِثُ ٱلدَّهْرِ بِٱلرَّاقِدِ

فَخَلِّدْ بِسَعْيِكَ مَجْداً يَدُو … مُ دَوَامَ ٱلنُّجُومِ بِلا جَاحِدِ

وَأَبْقِ لَكَ ٱلذِّكْرَ بِالصَّالِحَا … تِ وَخَلِّ ٱلنُّزُوعَ [1] إِلى ٱلْفَاسِدِ

وَسِرْ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ … تُمِيتُ ٱلْحُقُودَ مِنَ ٱلْحَاقِدِ

فَإِنَّ فَتَى ٱلدَّهْرِ مَنْ يَدَّعِي … فَتَأْتِي أَعَادِيهِ بِٱلشَّاهِدِ

وَلَا تَكُ مُرْمًى بِدَاءِ ٱلسُّكُونِ … فَتُصْبِحَ كَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِدِ

إِذَا ٱطَّرَدَتْ [2] حَرَكَاتُ ٱلْحَيَاةِ … وَمَرَّتْ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدِ

وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِينُهَا [3] … وَدَامَتْ بِوَجْهٍ لَهَا بَارِدِ

وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ [4] … مِنَ ٱلسَّعْيِ فِي ٱلشَّرَفِ ٱلْخَالِدِ

فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ ٱلسَّوَامِ [5] … تَجُولُ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي نَافِدِ

وَمَا يُرْتَجَى مِنْ حَيَاةِ أَمْرِئٍ … كَمَاءٍ عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ [6]

وَلَيْسَ لَهُ فِي غُضُونِ [7] ٱلْحَيَا … ةِ سِوَى ٱلنَّفَسِ ٱلنَّازِلِ ٱلصَّاعِدِ

---

(١) الذهاب والميل (٢) طرد الامر تبع بعضه بعضاً (٣) جمع افنون وهو الصنف والنوع (٤) الشملة كساء دون القطيفة يشتمل به (٥) الابل الراعية (٦) ساكن وثابت (٧) [illegible] رصبات وارتباط

يَغُضُّ (١) على ٱلْجهْلِ أَجْفَانَهُ ... وَيَرْضَى مِنَ ٱلْعَيْشِ بِٱلْكَاسِدِ
فَذَاكَ هُوَ ٱلْمَيْتُ فِي قَوْمِهِ ... وَإِنْ كَانَ فِي ٱلْمَجْلِسِ ٱلْحَاشِدِ
وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلَّا فَتًى يَغْتَدِي ... إِلى ٱلْعِلْمِ فِي شَرَكٍ صَائِدِ
سَعَى لِلْمَعَارِفِ فَٱحْتَازَهَا (٢) ... وَصَادَ ٱلْأَنِيسَ مَعَ ٱلْآبِدِ (٣)
وَطَالَعَ أَوْجُهَ أَقْمَارِهَا ... بِعَيْنٍ بَصِيرٍ لَهَا نَاقِدِ
فَأَبْدَى ٱلْحَقَائِقَ مِنْ طَيِّهَا ... وَأَلْقَى ٱلْقُيُودَ عَلى ٱلشَّارِدِ
إِذَا هُوَ أَصْبَحَ نَادَى ٱلْبِدَارَ (٤) ... وَشَمَّرَ لِلسَّعْيِ عَنْ سَاعِدِ (٥)
فَكَانَ ٱلْمُجَلِّيَ (٦) فِي شَأْوِهِ (٧) ... بِعَزْمٍ يَشُقُّ عَلى ٱلْحَاسِدِ
وَإِنْ بَاتَ بَاتَ عَلى يَقْظَةٍ ... بِطَرْفٍ لِنَجْمِ ٱلْعُلَى رَاصِدِ
وَأَحْدَثَ مَجْداً طَرِيفاً (٨) لَهُ ... وَأَضْرَبَ عَنْ مَجْدِهِ ٱلتَّالِدِ
وَمَا ٱلْحُمْقُ إِلَّا هُوَ ٱلِاتِّكَا ... لُ عَلى شَرَفٍ جَاءَ مِنْ وَالِدِ
فَذَاكَ هُوَ ٱلْحَيُّ حَيُّ ٱلْفَخَارِ ... وَإِنْ لَحَدَتْهُ (٩) يَدُ ٱللَّاحِدِ

(١) غضّ على الامر جفنه اذا احتمله (٢) جمعها (٣) الشارد والنافر واستعير هنا للفظ او المعنى الصعب المنال (٤) الاسراع والفعل محذوف اي بادروا بدارًا (٥) التشمير عن الساعد كناية عن الاجتهاد والنشاط . والساعد الذراع (٦) المجلي من الخيل السابق في الحلبة (٧) غايته (٨) الطريف الحديث وهو خلاف التالد (٩) دفنته

الى ٱبني

« لندره حداد يخاطب طفله الحديد »

جِئْتَ يَا ٱبْنِي مِثْلَمَا وَا — لِدُكَ ٱلْمِسْكِينُ جَاءَ
جِئْتَ دُنْيَا كُلَّمَا مَحَّـ — صْتَهَا زِدْتَ ٱزْدِرَاءَ
وَإِذَا ٱزْدَدْتَ بِهَا — مَعْرِفَةً زَادَتْ خَفَاءَ
أَغْبِيَاءَ قَدْ أَتَيْنَا — هَا وَنَمْضِي أَغْبِيَاءَ
مَا طَلَبْنَاهَا وَلٰكِنْ — هٰكَذَا ٱلْخَالِقُ شَاءَ
رَقَصَ ٱلْقَلْبُ لَدَى مَرْ — آكَ حُبًّا وَٱحْتِفَاءَ
وَٱزْدَهَى ٱلْبَيْتُ سُرُوراً — لَا يُضَاهَى وَصَفَاءَ
وَغَدَوْتَ ٱلْآمِرَ ٱلنَّا — هِي وَكُنَّا ٱلْأُمَرَاءَ
كُلُّ مَا يُرْضِيكَ يُرْ — ضِينَا وَمَا سَاءَكَ سَاءَ
بِكَ يَا ٱبْنِي ٱلْيَوْمَ لِلْأَجْ — دَادِ جَدَّدْتُ ٱلْبِنَاءَ
فَعَسَى تَبْنِي لَهُمْ فِي ٱلْ — نَّاسِ ذِكْراً وَدُعَاءَ
وَعَسَى تَغْدُو لِمَنْ حَوْ — لَكَ فَخْراً أَوْ رَجَاءَ
أَنَا يَا ٱبْنِي لَمْ أَنَلْ مَا — عَدَّهُ ٱلنَّاسُ رَخَاءَ
لَمْ أَحُزْ مَالًا وَلَمْ أَحْـ — سُدْ عَلَيْهِ ٱلْأَغْنِيَاءَ
أَنَا لِلْمَالِ نَظِيرُ ٱلْـ — عِيسِ إِذْ تَحْمِلُ مَاءَ

هُوَ لِلغَيْرِ وَمَا نِلْـ   ـتُ مِنَ ٱلْمَالِ ٱرْتِوَاءْ

أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ نَجَاحاً   أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ دَهَاءْ

خُلِقُوا لِلْكَسْبِ لَا يَخْـ   ـشَوْنَ فِي ٱلْكَسْبِ ٱلسَّمَاءْ

هُمْ قُسَاةُ ٱلْقَلْبِ لَا يَرْ   عَوْنَ عَهْداً أَوْ إِخَاءْ

وَهُمُ إِنْ يَسْتَطِيعُوا   حَبَسُوا عَنَّا ٱلْهَوَاءْ

لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ وَهَلْ يُفْـ   ـلِحُ مَنْ عَاشَ حَيَاءْ

عِشْتُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ لَا أَصْـ   ـحَبُ إِلَّا ٱلْفُقَرَاءْ

لَا أُبَالِي إِنْ أَكَلْتُ ٱلصُّبْـ   ـحَ مَا كَانَ عَشَاءْ

وَلَزِمْتُ ٱلصَّمْتَ لَا أَشْـ   ـكُو هُمُوماً أَوْ شَقَاءْ

وَعَلَى ٱلْمَالِ وَأَهْلِ ٱلْـ   ـمَالِ وَلَّيْتُ ٱلْإِبَاءْ

هٰكَذَا عِشْتُ وَلَا أَطْـ   ـلُبُ أَنْ تَحْيَا ٱقْتِدَاءْ

كُنْ حَكِيماً فَكِرَامُ ٱلْـ   ـنَّاسِ عَاشُوا حُكَمَاءْ

كُنْ دَوَاءً فِي ٱلْوَرَى إِيَّـ   ـاكَ أَنْ تَغْدُوَ دَاءْ

إِجْمَعِ ٱلْمَالَ إِذَا ٱسْطَعْـ   ـتَ وَلَا تَنْسَ ٱلْعَطَاءْ

حَسْبُ مَنْ يُعْطِي ثَنَاءُ ٱلْـ   ـنَّاسِ إِنْ رَامَ ثَنَاءْ

وَإِذَا أَخْفَقْتَ سَعْياً   لَا تَقُلْ دَهْرٌ أَسَاءْ

كُلُّنَا فِي ٱلْعُمْرِ يَلْقَى   حَسَبَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَزَاءْ

الباب التاسع

في الشوق والفراق

«من قصيدة لبهاء الدين زهير»

رُوَيْدَكَ[١] قَدْ أَفْنَيْتَ يَا بَيْنُ[٢] أَدْمُعِي
وَحَسْبُكَ قَدْ أَضْنَيْتَ[٣] يَا شَوْقُ أَضْلُعِي
إِلَى كَمْ أُقَاسِي فُرْقَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ
وَحَتَّى مَتَى يَا بَيْنُ أَنْتَ مَعِي مَعِي
لَقَدْ ظَلَمَتْنِي وَٱسْتَطَالَتْ يَدُ ٱلنَّوَى
وَقَدْ طَمِعَتْ فِي جَانِبِي كُلَّ مَطْمَعِ
فَلَا كَانَ مَنْ قَدْ عَرَّفَ ٱلْبَيْنَ مَوْضِعِي
لَقَدْ كُنْتُ مِنْهُ فِي جَنَابٍ[٤] مُمَنَّعٍ[٥]
فَيَا رَاحِلًا لَمْ أَدْرِ كَيْفَ رَحِيلُهُ
لِمَا رَاعَنِي[٦] مِنْ خَطْبِهِ[٧] ٱلْمُتَسَرِّعِ
يُلَاطِفُنِي بِٱلْقَوْلِ عِنْدَ وَدَاعِهِ لِيُذْهِبَ عَنِّي لَوْعَتِي وَتَفَجُّعِي

(١) مهلًا (٢) يا بعد (٣) انقلت (٤) ناحية (٥) قوي (٦) افزعني
(٧) امره المكروه

وَلَمَّا قَضَى ٱلتَّوْدِيعُ فِينَا قَضَاءَهُ
رَجَعْتُ وَلٰكِنْ لَا تَسَلْ كَيْفَ مَرْجِعِي
فَيَا عَيْنِيَ ٱلْعَبْرَى (١) عَلَيَّ تَسَكَّبِي
وَيَا كَبِدِي ٱلْحَرَّى (٢) عَلَيْهِمْ تَقَطَّعِي
جَزَى ٱللهُ ذَاكَ ٱلْوَجْهَ خَيْرَ جَزَائِهِ وَحَيَّتْهُ عَنِي ٱلشَّمْسُ فِي كُلِّ مَطْلَعِ
وَيَا رَبِّ جَدِّدْ كُلَّمَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا سَلامِي عَلَى ذَاكَ ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُوَدِّعِ
قِفُوا بَعْدَنَا تَلْقَوْا مَكَانَ حَدِيثِنَا لَهُ أَرَجٌ (٣) كَٱلْعَنْبَرِ ٱلْمُتَضَوِّعِ
وَيَعْلَقُ فِي أَثْوَابِكُمْ مِنْ تُرَابِهِ
شَذَا ٱلْمِسْكِ مَهْمَا يُغْسَلِ ٱلثَّوْبُ يَسْطَعِ
أَأَحْبَابَنَا لَمْ أَنْسَكُمْ وَحَيَاتِكُمْ وَمَا كَانَ عِنْدِي وُدُّكُمْ بِمُضَيَّعِ
رَحَلْتُمْ فَلاوَٱللهِ مَا خُنْتُ عَهْدَكُمْ وَمَا كُنْتُ فِي ذَاكَ ٱلْوَدَاعِ بِمُدَّعِي
وَقُلْتُمْ عَلِمْنَا مَا جَرَى مِنْكَ كُلَّهُ فَلا تَظْلِمُونِي مَاجَرَى غَيْرُ أَدْمُعِي
كَمَا قُلْتُمُ يَهْنِيكَ نَوْمُكَ بَعْدَنَا
وَمِنْ أَيْنَ نَوْمٌ لِلْكَئِيبِ ٱلْمُرَوَّعِ (٤)
إِذَا كُنْتُ يَقْظَانًا أَرَاكُمْ وَأَنْتُمُ
مُقِيمُونَ فِي قَلْبِي وَطَرْفِي وَمَسْمَعِي

---

(١) الدامعة (٢) مؤنث الحران وهو ذو العطش الشديد (٣) الارج الريح الطيب (٤) من روَّعه اذا خوَّفه وافزعه

وقال ابن الدمينة

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ
لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْداً عَلَى وَجْدِ
لَئِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَى
عَلَى فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ[١]
بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي ٱلْحَزِينُ وَلَمْ أَكُنْ
جَزُوعاً وَأَبْدَيْتُ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
يُمَلُّ وَأَنَّ ٱلنَّأْيَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بِنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَى أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

وقال آخر

وَٱلَّذِي بِٱلْبَيْنِ وَٱلْبُعْدِ ٱبْتَلَانِي مَا جَرَى ذِكْرُ ٱلْحِمَى إِلَّا شَجَانِي
حَبَّذَا أَهْلُ ٱلْحِمَى مِنْ جِيرَةٍ شَفَّنِي ٱلشَّوْقُ إِلَيْهِمْ وَبَرَانِي[٢]
كُلَّمَا رُمْتُ سُلُوًّا عَنْهُمُ جَذَبَ ٱلشَّوْقُ إِلَيْهِمْ بِعِنَانِي

---

(١) رونق الضحى حسنه واشراقه . والرند شجر طيب الرائحة (٢) شفه الشوق وبراه اضعفه

ذَهَبَ ٱلعُمْرُ وَلَمْ أَحظَ بِهِمْ وَتَقَضَّى فِي تَمَنِّيهِمْ زَمَانِي

لَا تَزِيدُونِي غَرَاماً بَعْدَكُمْ حَلَّ بِي مِنْ بُعْدِكُمْ مَا قَدْ كَفَانِي

يَا خَلِيلَيَّ ٱذْكُرَا ٱلعَهْدَ ٱلَّذِي كُنْتُمَا قَبْلَ ٱلنَّوَى عَاهَدْتُمَانِي

وَٱذْكُرَانِي مِثْلَ ذِكْرِي لَكُمَا فَمِنَ ٱلإِنْصَافِ أَلَّا تَنْسَيَانِي

وَٱسْأَلَا مَنْ أَنَا أَهْوَاهُ عَلَى أَيِّ جُرْمٍ صَدَّ عَنِّي وَجَفَانِي

وقال ابو الحسن النوري

رُبَّ وَرْقَاءَ هَتُوفٍ فِي ٱلضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ

ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صَالِحاً فَبَكَتْ حُزْناً فَهَاجَتْ حَزَنِي

فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرَّقَهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرَّقَنِي

وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا أُفْهِمُهَا وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا تُفْهِمُنِي

غَيْرَ أَنِّي بِٱلجَوَى أَعْرِفُهَا وَهْيَ أَيْضاً بِٱلجَوَى تَعْرِفُنِي

وقال ياقوت بن عبد الله المستعصمي الكاتب

يَا مَجْلِساً مُذْ فَقَدْتُ بَهْجَتَهُ أَصْبَحْتُ وَٱلْحَادِثَاتُ فِي قَرَنِ [1]

وَأَوْجُهاً مُذْ عَدِمْتُ رُؤْيَتَهَا مَا نَظَرَتْ مُقْلَتِي إِلَى حَسَنِ

لَا بَلَغَتْ مُهْجَتِي مَآرِبَهَا إِنْ سَكَنَتْ بَعْدَكُمْ إِلَى سَكَنِ [2]

(١) القرن حبل يجمع به البعيران . ويريد انه اصبح ملتصقاً بالحادثات

(٢) سكنت مالت وارتاحت . والسكن كل ما يستأنس به

ومن قصيدة لداود بك عمون

هَـاجَ أَشْوَاقِي إِلى ٱلدِّمَنِ طَـائِرٌ غَنَّى عَلى فَنَنِ
إِيهِ يَا قُمْرِيُّ إِنَّ بِنَـا فَوقَ مَا يُبْكِيكَ مِنْ شَجَنِ
وَلَوَ انَّ ٱلدَّمْعَ مُنْطَلِـقٌ لَهَمَى كَٱلْعَارِضِ ٱلْهَتِنِ (٢)
حَبَّذَا ٱلْمُصْطَافُ فِي جَبَـلٍ يَنْطَحُ ٱلْجَوْزَاءَ بِٱلْقُنَنِ (٣)
مَوْئِلُ ٱلْأَحْرَارِ مِنْ قِدَمٍ وَأُبَاةِ ٱلضَّيْمِ مِنْ زَمَنِ
فَبَنُو لُبْنَـانَ أَسْدُ وَغًى أَطْلِقَتْ فِيهِمْ يَـدُ ٱلْمِحَنِ
وَٱخْتِـلافُ ٱلدِّينِ أَوْرَثَهُمْ عِلَلَ ٱلْأَحْقَـادِ وَٱلْإِحَنِ
لَيْتَ ذَا عَزْمٍ يَضُمُّهُمُ ضِمَّةَ ٱلْأَعْضَاءِ فِي ٱلْبَـدَنِ
فَيُعِيدُوا ٱلسَّـابِقَاتِ مِنَ ٱلْ مَجْـدِ وَٱلْعَلْيَـاءِ لِلْوَطَنِ
يَا بَنِي أُمِّي إِذَا حَضَرَتْ سَاعَتِي وَٱلطِّبُّ أَسْلَمَنِي
إِجْعَلُـوا فِي ٱلْأَرْزِ مَقْبِرَتِي وَخُـذُوا مِنْ ثَلْجِهِ كَفَنِي

(١) القمري ضرب من الحمام (٢) همى الدمـع سال لا يثنيه شيء . والعارض السحاب والهتن المنصبّ وهو خطأ وقع فيه المتنبيّ والصحيح الهـاتن
(٣) الجوزاء برج في السماء . والقنن جمع القنة وهي الجبل الصغير

الباب العاشر

في الشكوى والعتاب والاستعطاف

« من قصيدة لابي فراس بعث بها الى سيف الدولة من الاسر »

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْمِلُهَا آخِرُهَا مُزْعِجٌ وَأَوَّلُهَا
عَلِيلَةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَى مُعَلِّلُهَا(١)
تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرَقٍ تُطْفِئُهَا وَالْهُمُومُ تُشْعِلُهَا
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخِفُّ مَحْمَلُهَا(٢)
قُولَا لَهَا إِنْ وَعَتْ كَلَامَكُمَا وَإِنَّ ذِكْرِي لَهَا لَيُذْهِلُهَا
أَسْلَمَنَا قَوْمُنَا إِلَى نُوَبٍ أَيْسَرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا
يَا سَيِّداً مَا تُعَدُّ مَكْرُمَةٌ إِلَّا وَفِي رَاحَتَيْهِ أَكْمَلُهَا
أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَنْمُلُهَا
بِأَيِّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وَالِهَةً عَلَيْكَ دُونَ الْوَرَى مُعَوَّلُهَا(٣)
جَاءَتْكَ تَمْتَاحُ(٤) رَدَّ وَاحِدِهَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا(٥)

---

(١) علله بالشيء لهاه به (٢) النجوى السر (٣) عول عليه اتكل
(٤) تمتاح تطلب (٥) ترجعها

سَمَحْتَ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمَتْ   أَنْتَ عَلَى يَأْسِهَا مُؤَمِّلُهَا
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَا   فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَا
تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُهْمِلُهَا   تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تُغْفِلُهَا
تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا   كَيْفَ وَقَدْ أُحْكِمَتْ تُحَلِّلُهَا
أَرْحَامُنَا مِنْكَ لِمْ تُقَطِّعُهَا   وَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تُوَصِّلُهَا
أَيْنَ الْمَعَالِي الَّتِي عُرِفْتَ بِهَا   تَقُولُهَا دَائِماً وَتَفْعَلُهَا
يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا   نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا[1] وَنَنْقُلُهَا
رَأَيْتَ فِي الضُّرِّ أَوْجُهاً كَرُمَتْ   فَارَقَ فِيكَ الْجَمَالَ أَجْمَلُهَا
قَدْ أَثَّرَ الدَّهْرُ فِي مَحَاسِنِهَا   تَعْرِفُهَا تَارَةً وَتَجْهَلُهَا
لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرُمَةٍ   صَاحِبُهَا الْمُسْتَغَاثُ يُقْفِلُهَا
أَيَنْبَرِي دُونَكَ الْكِرَامُ لَهَا   وَأَنْتَ قَمْقَامُهَا وَمَعْقِلُهَا[2]
فَإِنْ سَأَلْنَا سِرَاكَ عَارِفَةً   فَبَعْدَ قَطْعِ الرَّجَاءِ نَسْأَلُهَا
لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ   إِلَّا وَفَضْلُ الْأَمِيرِ يَشْمَلُهَا

« وقال ايضاً »

كَيْفَ أَبْغِي الصَّلَاحَ مِنْ سَعْيِ قَوْمٍ   ضَيَّعُوا الْحَزْمَ فِيهِ أَيَّ ضَيَاعِ
فَمُطَاعُ الْمَقَالِ غَيْرُ سَدِيدٍ   وَسَدِيدُ الْمَقَالِ غَيْرُ مُطَاعِ

(١) جمع قيد (٢) اى لا يتعرض له والقمقام السيد الكثير العطاء

« وقال من قصيدة يشكو فيها من الدهر»
ويفتخر بقومه

وَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلُوًّا وَعِنْدِيَ ٱلْمُقْعِدُ ٱلْمُقِيمُ
وَمُقْلَتِي مِلْؤُهَا دُمُوعٌ وَأَضْلُعِي حَشْوُهَا كُلُومُ
نَدِيمِيَ ٱلنَّجْمُ طُولَ لَيْلِي حَتَّى إِذَا غَارَتِ ٱلنُّجُومُ
أَسْلَمَنِي ٱلصُّبْحُ لِلْبَلَايَا فَلَا حَبِيبٌ وَلَا نَدِيمُ
تِلْكَ سَجَايَا مِنَ ٱللَّيَالِي لِلْبُؤْسِ مَا يَخْلُقُ ٱلنَّعِيمُ(١)
وَنَحْنُ مِنْ عُصْبَةٍ وَأَهْلٍ يَضُمُّ أَعْضَاءَنَا ٱلْأُرُومُ(٢)
لَمْ تَتَفَرَّقْ لَنَا خُؤُولٌ فِي ٱلْعِزِّ مِنَّا وَلَا عُمُومُ
وِدَادُهُمْ خَالِصٌ صَحِيحٌ وَعَهْدُهُمْ ثَابِتٌ مُقِيمُ
وَهَلْ يُسَاوِيهِمِ قَرِيبٌ أَمْ هَلْ يُدَانِيهِمِ حَمِيمُ
يُغَيِّرُ ٱلدَّهْرُ كُلَّ شَيْءٍ وَهْوَ صَحِيحٌ لَهُمْ سَلِيمُ
أَيْدٍ لَهُمْ عِنْدَ كُلِّ خَطْبٍ يُثْنِي بِهَا ٱلْحَادِثُ ٱلْجَسِيمُ
لَمْ تَنْأَ عَنَّا لَهُمْ قُلُوبٌ وَلَا نَأَتْ عَنْهُمُ جُسُومُ
وَلَا عَدِمْنَا لَهُمْ ثَنَاءً كَأَنَّهُ ٱللُّؤْلُؤُ ٱلنَّظِيمُ
لَقَدْ نَمَتْنَا لَهُمْ أُصُولٌ مَا مَسَّ أَعْرَاقَهُنَّ لُومُ

---

(١) اي ان الذي يخلقه النعيم مصيره للبؤس (٢) الاصل

« وله من قصيدة »

أَعْيَا عَلَيَّ أَخٌ وَثِقْتُ بِوُدِّهِ وَأَمِنْتُ فِي ٱلْحَالَاتِ عُقْبَى غَدْرِهِ
وَخَبَرْتُ هٰذَا ٱلدَّهْرَ خِبْرَةَ نَاقِدٍ حَتَّى أَنِسْتُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
لَا أَشْتَرِي بَعْدَ ٱلتَّجَرُّبِ صَاحِباً إِلَّا وَدِدْتُ لَوَ ٱنَّنِي لَمْ أَشْرِهِ
وَيَجِيءُ طَوْراً ضُرُّهُ فِي نَفْعِهِ جَهْلًا وَطَوْراً نَفْعُهُ فِي ضُرِّهِ
أَنْفِقْ مِنَ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْشَ فَقْراً مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ
فَأَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَبَشُّهُمْ بِصَدِيقِهِ فِي سِرِّهِ أَوْ جَهْرِهِ
لَا خَيْرَ فِي بِرِّ ٱلْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ أَصْفَى مَشَارِبِ بِرِّهِ فِي بِشْرِهِ
أَلْقَى ٱلْفَتَى فَأُرِيدُ فَائِضَ بِشْرِهِ وَأَجِلُّ أَنْ أَرْضَى بِفَائِضِ بِرِّهِ

وقال عبد الرحمن الاربلي

« من قصيدة

رُبَّ دَارٍ بِٱلْغَضَا طَالَ بِلاهَا عَكَفَ ٱلرَّكْبُ عَلَيْهَا وَبَكَاهَا
دَرَسَتْ إِلَّا بَقَايَا أَسْطُرٍ سَمَحَ ٱلدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ مَحَاهَا
كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَمَضَى فَسَقَى ٱللّٰهُ زَمَانِي وَسَقَاهَا
وَقَفَتْ فِيهَا ٱلْغَوَادِي وَقْفَةً أَلْصَقَتْ حُرَّ حَيَاهَا[1] بِثَرَاهَا
وَبَكَتْ أَطْلَالُهَا نَائِبَةً عَنْ جُفُونِي أَحْسَنَ ٱللّٰهُ جَزَاهَا

(١) اي مطرها الكريم

قُـلْ لِجِيرَانٍ مَوَاثِيقُهُمُ كُلَّمَا أَحْكَمْتُهَا رَثَّتْ قُوَاهَا
كُنْتُ مَشْغُوفاً بِكُمْ إِذْ كُنْتُمُ شَجَراً لَا تَبْلُغُ الطَّيرُ ذُرَاهَا
لَا تَبِيتُ اللَّيْلَ إِلَّا حَوْلَهَـا حَرَسٌ تَرْشَحُ بِالْمَوْتِ ظُبَاهَا
وَإِذَا مُدَّتْ إِلَى أَغْصَانِهَا يَدُ جَانٍ قُطِعَتْ دُونَ جَنَاهَا
فَتَرَاخَى الْأَمْرُ حَتَّى أَصْبَحَتْ هَمَـلًا يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ يَرَاهَا
تَخْصِبُ الْأَرْضُ فَلا أَطْرُقُهَا رَائِداً إِلَّا إِذَا عَزَّ حِمَاهَـا
لَا يَرَانِي اللهُ أَرْعَى رَوْضَـةً سَهْلَةَ الْأَكْنَافِ مَنْ شَاءَ رَعَاهَا
وَإِذَا مَـا طَمَعٌ أَغْرَى بِكُمْ عَرَضَ الْيَأْسُ لِنَفْسِي فَثَنَاهَا
فَصَبَابَاتُ الْهَوَى أَوَّلُهَـا طَمَعُ النَّفْسِ وَهٰذَا مُنْتَهَاهَا
لَا تَظُنُّوا لِي إِلَيْكُمْ رَجْعَـةً كَشَفَ التَّجْرِيبُ عَنْ عَيْنِي عَمَاهَا

نجوى

« لخير الدين الزركلي »

أَلْعَيْنُ بَعْدَ فِرَاقِهَا الْوَطَنَا لَا سَاكِناً أَلِفَتْ وَلَا سَكَنَا
رَيَّانَةٌ بِالدَّمْـعِ أَقْلَقَهَـا أَنْ لَا تَحِسَّ كَرًى وَلَا وَسَنَا
كَانَتْ تَرَى فِي كُلِّ سَانِحَةٍ حُسْناً وَبَاتَتْ لَا تَرَى حَسَنَا
وَالْقَلْبُ لَوْلَا أَنَّةٌ صَعِدَتْ أَنْكَرْتُهُ وَشَكَكْتُ فِيهِ أَنَا
لَيْتَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ عَلِمُوا وَهُمُ هُنَالِكَ مَا لَقِيتُ هُنَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي مُفَارِقَهُمْ   حَتَّى تُفَارِقَ رُوحِيَ ٱلْبَدَنَا

يَا مَوْطِناً عَبِثَ ٱلزَّمَانُ بِهِ   مَنْ ذَا ٱلَّذِي أَغْرَى بِكَ ٱلزَّمَنَا

قَدْ كَانَ لِي بِكَ عَنْ سِوَاكَ غِنًى   لَا كَانَ لِي بِسِوَاكَ عَنْكَ غِنَى

مَا كُنْتَ إِلَّا رَوْضَةً أُنُفاً(١)   كَرُمَتْ وَطَابَتْ مَغْرِساً وَجَنَى

عَطَفُوا عَلَيْكَ فَأَوْسَعُوكَ أَذًى   وَهُمُ يُسَمُّونَ ٱلْأَذَى مِنَنَا

وَجَنَوْا عَلَيْكَ فَجَرَّدُوا قُضُباً   مَسْنُونَةً وَتَقَدَّمُوا بِقَنَا

يَا طَائِراً غَنَّى عَلَى غُصُنٍ   (وَٱلنِّيلُ) يَسْقِي ذٰلِكَ ٱلْغُصُنَا

زِدْنِي وَهِجْ مَا شِئْتَ مِنْ شَجَنِي   إِنْ كُنْتَ مِثْلِي تَعْرِفُ ٱلشَّجَنَا

أَذْكَرْتَنِي مَا لَسْتُ نَاسِيَهُ   وَلَرُبَّ ذِكْرَى جَدَّدَتْ حَزَنَا

أَذْكَرْتَنِي (بَرَدَى) وَوَادِيَهُ   وَٱلطَّيْرَ آحَاداً بِهِ وَثُنَا(٢)

وَأَحِبَّةً أَسْرَرْتُ مِنْ كَلَفِي   وَهَوَايَ فِيهِمْ لَاعِجاً كَمَنَا(٣)

كَمْ ذَا أُغَالِبُهُ وَيَغْلِبُنِي   دَمْعٌ إِذَا كَفْكَفْتُهُ هَتَنَا

لِي ذِكْرَيَاتٌ فِي رُبُوعِهِمِ   هُنَّ ٱلْحَيَاةُ تَأَلُّقاً وَسَنَى

إِنَّ ٱلْغَرِيبَ مُعَذَّبٌ أَبَداً   إِنْ حَلَّ لَمْ يَنْعَمْ وَإِنْ ظَعَنَا

لَوْ مَثَّلُوا لِي مَوْطِنِي وَثَناً   لَهَمَمْتُ أَعْبُدَ ذٰلِكَ ٱلْوَثَنَا(٤)

---

(١) الروضة الأنف التي لم يرعها احد (٢) اصله ثُناء قُصِر للشعر ومعناه اثنين اثنين (٣) معنى اسرّ هنا اظهر . واللاعج الهوى المحرق . و كمن توارى (٤) اعبد منصوب بأن المحذوفة للضرورة

ومن قصيدة لولي الدين يكن

لَيَالِيَّ أَبلِي مِنْ هُمُومِي وَجَدِّدِي ... لَكِ ٱلْأَمْرُ لَا تقوَى على رَدِّهِ يَدِي

فَمَا أَرتَجِي وَٱلْأَربَعُونَ تَصَرَّمَتْ ... وَلَا عَيْشَ إِلَّا يَنْتَهِي حَيْثُ يَبْتَدِي

سَكَتُّ سُكُوتاً لَا يُرِيبكَ ٱمتِدَادُهُ ... فَلَا خَاطِرِي بَاقٍ وَلَا ٱلشِّعْرُ مُسعِدِي

وَلَا فِيَّ مِنْ رَوحِ ٱلشَّبَابِ بَقِيَّةٌ ... وَلَستُ بِمُشْتَاقٍ وَلَا مُتَوَجِّدِ

حَزِنتُ عَلَى ٱلْمَاضِي ضَلَالًا وَمَنْ يَعِشْ ... كَمَا عِشْتُ لَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَتَجَلَّدِ

سَقَى ٱللهُ دَارَاتِ ٱلْقَرَافَةِ[1] دِيمَةً ... تُرِفُّ عَلَى قَوْمٍ هُنَالِكَ هُجَّدِ

تَعَوَّدَ كُلٌّ بُؤْسَهَا وَنَعِيمَهَا ... وَعِشْنَا عَلَى بُؤْسٍ وَلَمْ نَتَعَوَّدِ

أَحِنُّ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَرَاقِدِ فِي ٱلثَّرَى ... وَلَوْ أَسْتَطِيعُ ٱلْيَوْمَ لَاخْتَرْتُ مَرْقَدِي

فَأَنْزَلْتُ جِسْمِي مَنْزِلًا لَا يَمَلُّهُ ... يَكُونُ بَعِيداً عَنْ أَعَادٍ وَحُسَّدِ

وَمَا يَتَمَنَّى ٱلْحُرُّ فِي ظِلِّ عِيشَةٍ ... تَمُرُّ لِأَحْرَارٍ وَتَحْلُو لِأَعْبُدِ

لَقَدْ أَتْعَبَتْنِي وَٱلْمَتَاعِبُ جَمَّةٌ ... مَسِيرَةُ يَوْمِي بَيْنَ أَمْسِي وَٱلْغَدِ

أَلَمَّا يَئِنْ أَنْ يَسْتَرِيحَ مُجَاهِدٌ ... أَلَمَّا يَئِنْ أَنْ يَبْلُغَ ٱلْمَنْهَلَ ٱلصَّدِي[2]

تَزَهَّدْتُ فِي وَصْلِ ٱلْمَعَالِي جَمِيعِهَا ... وَمَنْ يَطْلُبْهَا كَاطِّلَابِيَ يَزْهَدِ

وَبِتُّ تَسَاوَتْ فِي فُؤَادِي مَنَاهِجٌ ... تُؤَدِّي لِخَفْضٍ أَوْ تُؤَدِّي لِسُؤْدَدِ

---

(١) الدارات اراض واسعة بين جبال . والقرافة مكان بسفح المقطم في جوار القاهرة (٢) الصدي العطشان وهو فاعل يبلغ

وَإِنِّيَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مُهَدَّمٍ كَأَنِّيَ فِي قَصْرٍ كَبِيرٍ مُشَيَّدِ
عَفَا اللهُ عَنْ قَوْمٍ أَتَانِيَ غَدْرُهُمْ فَرُبَّ مُسِيءٍ لَمْ يُسِئْ عَنْ تَعَمُّدِ
وَكَمْ مِنْ نُفُوسٍ يَسْتَطِيلُ ضَلَالُهَا وَلٰكِنْ مَتَى مَا تُبْصِرِ النُّورَ تَهْتَدِ
فَيَا رِيحُ إِنْ يَعْصِفْ بِيَ الشَّجْوُ سَكِّنِي وَيَا غَيْثُ إِنْ يُضْرِمْنِيَ الْوَجْدُ أَخْمِدِ
وَيَا سَاكِنَاتِ الطَّيْرِ فِي دَوْلَةِ الدُّجَى أَرَى إِنْ دَعَاكِ الصُّبْحُ أَلَّا تُغَرِّدِي
لَدَيَّ شِكَايَاتٌ وَأَنْتِ شَجِيَّةٌ فَإِنْ تَسْتَطِيبِيهَا لِشَجْوِكِ أَنْشِدِي
وَلَا تَحْسَبِي التَّقْلِيدَ يُذْهِبُ حُسْنَهَا فَكَمْ حَسَنَاتٍ قَدْ أَتَتْ مِنْ مُقَلِّدِ
تَرَكْتُ الْغِنَى لَا عَاجِزاً عَنْ طِلَابِهِ وَأَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَنَازِلِ مُجْتَدِي
وَهٰذِي بِحَمْدِ اللهِ مِنِّي بَرَاءَةٌ فَيَا أُفْقُ سَجِّلْهَا وَيَا أَنْجُمُ اشْهَدِي

صدى الياس

« من قصيدة لامين ناصر الدين »

آثَرَ الدَّهْرُ أَنْ أَعِيشَ كَئِيبَا بَيْنَ قَوْمِي وَفِي بِلَادِي غَرِيبَا
تَنْتَحِي قَلْبِيَ الْهُمُومُ دِرَاكاً وَإِلَيَّ الْخُطُوبُ تُزْجِي الْخُطُوبَا
حَسِبَ الدَّهْرُ أَنَّنِي مِنْ جَمَادٍ فَرَمَانِي بِالنَّائِبَاتِ ضُرُوبَا
غَيْرَ أَنَّ الْأَرْزَاءَ مَا أَفْقَدَتْنِي جَلَداً رَاسِخاً وَعُوداً صَلِيبَا
ضَاعَ رَأْيِي فِي مَنْ أَرَى حِينَ أَمْسَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ لَا تُطِيعُ الْقُلُوبَا
تَارَةً أَحْسَبُ الْحَبِيبَ بَغِيضاً وَزَمَاناً أَرَى الْبَغِيضَ حَبِيبَا

وَلَكَمْ بِتُّ رَاضِياً عَنْ أُنَاسٍ حِينَ أَصْبَحْتُ غَادَرُونِي غَضُوبَا
وَلَكَمْ قَدْ وَثِقْتُ بِالْبَعْضِ لٰكِنْ قَدْ أَبَى الْخُبْرُ أَنْ أَكُونَ مُصِيبَا
يَنْتَحِينِي الْأَنَامُ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ وَمَتَى أَدْعُ لَا أُلَاقِ مُجِيبَا
يَحْسَبُونَ الْجَمِيلَ أَسْوَأَ صُنْعٍ وَالسَّجَايَا الْمُكَمِّلَاتِ عُيُوبَا
وَدَّ غَيْرِي دَوَامَ عَصْرِ شَبَابٍ بَيْنَمَا جِئْتُ أَسْتَحِثُّ الْمَشِيبَا
حَبَّذَا الشَّيْبُ فِي دُجَى الشَّعْرِ صُبْحاً مُنْبِئاً أَنَّ لِلْحَيَاةِ غُرُوبَا
لَا تَظُنَّنَّ أَنَّ فِي الْعَيْشِ طِيباً ضَلَّ مَنْ ظَنَّ فِي الْخَبَائِثِ طِيبَا
أَرْقُبُ النَّجْمَ فِي الدَّيَاجِي وَمَا مِنْ وَلَهٍ بِتُّ لِلنُّجُومِ رَقِيبَا
غَيْرَ أَنِّي أَرَى لَهُنَّ خُفُوقاً كَفُؤَادٍ يُحْيِي الظَّلَامَ طَرُوبَا
وَيَزِيدُ النَّسِيمُ قَلْبِيَ حَرًّا مِثْلَ نَارٍ بِالرِّيحِ زَادَتْ لَهِيبَا
وَإِذَا مَا رَأَيْتُ إِشْرَاقَ شَمْسٍ قُلْتُ يَا لَيْتَهُ يَعُودُ مَغِيبَا
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ إِنَّكَ أَوْفَى فِي الْمَلَذَّاتِ مِنْ سِوَاكَ نَصِيبَا
أَنْتَ تَشْدُو عَلَى الْغُصُونِ سُرُوراً وَأَنَا أَجْعَلُ الْقَرِيضَ نَحِيبَا
أَنْتَ تَبْغِي الْبَقَاءَ فِي ظِلِّ دَوْحٍ وَأَنَا أَبْتَغِي الْفَنَاءَ الْقَرِيبَا
لَكَ فِي الطَّيْرِ أَوْفِيَاءُ وَإِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي الْأَنَامِ إِلَّا مُرِيبَا
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي لَاسْتَحَالَ الصُّدَاحُ مِنْكَ نَعِيبَا
لَيْسَ مِنْ طَبْعِيَ الْكَآبَةُ لٰكِنْ آثَرَ الدَّهْرُ أَنْ أَعِيشَ كَئِيبَا

ايها الاغنياء[١]

« بقلم بشاره الخوري صاحب البرق »

أَيُّهَا ٱلْأَغْنِيَاءُ إِنْ كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ ذُو مُرُوءَةٍ وَسَخَاءِ
فَلْيُبَرْهِنْ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ إِنَّا نَبْتَغِيهَا مَعَاشِرَ ٱلْفُقَرَاءِ
وَلْيُبَرْهِنْ عَلَى ٱلسَّخَاءِ لِكَيْ نَعْـ بُدَ هٰذَا ٱلسَّخَاءَ فِي ٱلْأَغْنِيَاءِ
أَيُّهَا ٱلْأَغْنِيَاءُ أَيُّ مَسِيحٍ قَامَ فِيكُمْ يُحْيِي دَفِينَ ٱلرَّجَاءِ
كَمْ فَقِيرٍ فِي ٱللَّيْلِ يَبْكِي دِمَاءً لِصِغَارٍ بَاتُوا بِدُونِ عَشَاءِ
لِصِغَارٍ أَبُوهُمُ يَقْضَمُ ٱلْجَمْـ رَ مَتَى أَجْهَشُوا لَهُ بِٱلْبُكَاءِ
لِصِغَارٍ نَسُوا ٱلرَّغِيفَ لِطُولِ ٱلْـ عَهْدِ بَيْنَ ٱلرَّغِيفِ وَٱلْأَحْشَاءِ
لِصِغَارٍ إِذَا شَقَقْتَ حَشَاهُمْ لَا تَرَى فِي حَشَاهُمُ غَيْرَ مَاءِ
أَيُّهَا ٱلْأَغْنِيَاءُ جُولُوا قَلِيلًا فِي ٱللَّيَالِي وَٱمْشُوا عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ
عَلَّكُمْ إِنْ لَمَسْتُمُ ٱلْبُؤْسَ فِي ٱلنَّا سِ كَفَفْتُمْ مِنْ أَدْمُعِ ٱلْبُؤَسَاءِ
كَمْ عَجُوزٍ يَئِنُّ فَوْقَ عَصَاهُ كَمْ صَبِيٍّ يَنُوحُ كَمْ عَذْرَاءِ
لَبِسُوا ٱللَّيْلَ بَاسِطِينَ وَرَاهُ كَفَّ مُسْتَمْطِرٍ نَدَى ٱلْكُرَمَاءِ
أَيُّهَا ٱلْأَغْنِيَاءُ عَفْواً فَفِيكُمْ نَفَرٌ لَا يُعَدُّ فِي ٱلشُّرَفَاءِ

---

(١) نظمت عام ١٩١٤ يوم انتشر الجراد في سماء بيروت وظهر جشع الاغنياء باحتكار القوت والنور فأقضوا مضاجع الفقراء وزادوا في شقاء البؤساء

سَاعَدَ ٱلْفَقْرَ وَٱلْجَرَادَ عَلَيْـنَا   يَا لَهُمْ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَعْدَاءِ

أَيُّهَا ذَا ٱلْجَرَادُ عُذْرُكَ مَقْبُولٌ   فَأَطْبِقْ بِٱلْعُشْبَةِ ٱلْخَضْرَاءِ (١)

إِهْبِطِ ٱلْحَقْلَ وَٱلْتَهِمْ مَا تَرَاهُ   وَٱنْشُرِ ٱلْمَوْتَ فَهْوَ عَدْلُ جَزَاءِ

أَنْشُرِ ٱلْمَوْتَ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَلَا نَبْـ   ـقَى وَلَا يَبْقَى بَعْـدَنَا ذُو ثَرَاءِ

أَيُّهَا ذَا ٱلْجَرَادُ فِي ٱلنَّاسِ شَرٌّ   مِنْكَ شَرٌّ مِنْ كَاسِرِ ٱلْعَجْمَاءِ

يَقْتُلُونَ ٱلْفَقِـيرَ حُبًّا بِفَلْسٍ   وَاحِـدٍ يَخْزُنُونَهُ لِلْفَنَـاءِ

مَنَعُونَا ٱلدَّقِيـقَ وَهْوَ كَثِيرٌ   بَعْضُهُ يَا جَرَادُ مِلْءُ ٱلْفَضَاءِ

مَنَعُونَا ٱلضِّيَاءَ فَٱحْتَكَرُوا ٱلنُّو   رَ فَيَا لَيْلُ أَيْنَ عَيْنُ ذُكَاءِ

أَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعُوهُ عَلَيْنَـا   نَحْنُ نَحْيَـا بِمُعْجِزَاتِ ٱلسَّمَاءِ

أَيُّهَـا ٱلْأَغْنِيَاءُ إِنَّ غِنَاكُمْ   شَيَّدَتْـهُ سَوَاعِدُ ٱلْفُقَرَاءِ

أَلْقُصُورُ ٱلَّتِي تُقِيمُونَ فِيهَـا   مَنْ بَنَاهَا لَكُمْ سِوَى ٱلْفُقَرَاءِ

وَٱلثِّيَـابُ ٱلَّتِي تُبَاهُونَ فِيهَا   مَنْ تُرَى حَاكَهَا سِوَى ٱلْفُقَرَاءِ

وَٱلطَّعَامُ ٱلَّذِي تَلَذُّونَ مَنْ هُمْ   طَابِخُوهُ لَكُمْ سِوَى ٱلْفُقَرَاءِ

وَٱلرَّيَاحِينُ فِي ٱلْجَنَائِنِ مَنْ هُمْ   غَارِسُوهَا لَكُمْ سِوَى ٱلْفُقَرَاءِ

وَٱلْحَلِيبُ ٱلَّذِي رَضِعْتُمْ صِغَاراً   كَانَ مِنْ صَدْرِ مُعْظَمِ ٱلْفُقَرَاءِ

كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ هُمُ ٱلْفَاعِلُوهُ   فَٱذْكُرُوهُمْ لُطْفاً بِبَعْضِ ٱلْجَزَاءِ

---

(١) الباء الداخلة على العشبة بمعنى على اي اطبق على العشبة الخضراء من طبقت الحمى عليه اذا دامت وكانت مطبقة فلم تفارقه.

لَا تَقُولُوا وَسَاوِسٌ مِنْ فَقِيرٍ دَوَّخَتْهُ طَوَارِقُ ٱلْأَرْزَاءِ
إِنَّ لِلْفَقْرِ ثَوْرَةً لَوْ عَلِمْتُمْ تَسْبَحُ ٱلنَّاسُ دُونَهَا فِي ٱلدِّمَاءِ

اجل سئمنا الهوانا[1]

« للشاعر نفسه »

قَدْ سَئِمْنَا أَجَلْ سَئِمْنَا ٱلْهَوَانَا وَسَئِمْنَا مِنْ أَجْلِهِ لُبْنَانَا
فَهَجَرْنَا تِلْكَ ٱلرُّبُوعَ ٱللَّوَاتِي تَخِذَتْهَا أَجْدَادُنَا أَوْطَانَا
أَرْبُعٌ تُنْبِتُ ٱلذَّلِيلَ مِنَ ٱلنَّا سِ وَتَرْعَى ٱللَّئِيمَ وَٱلْقَرْنَانَا
وَيَعِيشُ ٱلْأَدِيبُ فِيهَا غَرِيباً وَيَظَلُّ ٱلْأَبِيُّ فِيهَا مُهَانَا
وَيَبِيتُ ٱلضَّعِيفُ فِيهَا عَلَى ٱلضَّيْـ مِ فَلَا يَأْلَفُ ٱلْكَرَى ٱلْأَجْفَانَا
حَالَةٌ نَسْتَعِيذُ بِٱلْعَدْلِ مِنْهَا لَا سَلَاماً لَا غِبْطَةً لَا أَمَانَا
إِيهِ لُبْنَانُ وَٱلْجَدَاوِلُ تَجْرِي فِيكَ بَرْداً فَتُنْعِشُ ٱلظَّمْآنَا
إِيهِ لُبْنَانُ وَٱلنَّسِيمُ عَلِيلًا يَتَهَادَى فَيَعْطِفُ ٱلْأَغْصَانَا
حَبَّذَا ٱلسَّفْحُ مَعْبَداً لِصِغَارِ ٱلـ طَّيْرِ تَشْدُوا لِرَبِّهَا ٱلْأَلْحَانَا
خَافِقَاتِ ٱلْجَنَاحِ لِلشَّمْسِ آناً خَافِقَاتِ ٱلْفُؤَادِ لِلْحُبِّ آنَا

---

(١) نظمت سنة ١٩١١ على اثر الحوادث الدموية التي جرت ذلك العام في شمالي لبنان وقد حمل الشاعر فيها على يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان لذلك العهد

آمِنَاتٍ فِي ٱلسَّفْحِ كَاسِرَةَ ٱلْجَوْ فَلا تَأْتَلِي بِهِ طَيَرَانَا[1]
وَإِذَا ٱلشَّمْسُ وَدَّعَتْ وَدَّعَتْ تِلْكَ ٱلسَّوَاقِيَ وَٱلزَّهْرَ وَٱلْأَفْنَانَا
وَٱسْتَقَرَّتْ فِي وَكْرِهَا آمِنَاتٍ كُلُّ قَلْبَيْنِ يَخْفِقَانِ حَنَانَا
مُطْبَقَاتِ ٱلْجُفُونِ يَحْفَظُهَا ٱلْأَمْنُ كَمَا ٱلْجَفْنُ يَحْفَظُ ٱلْإِنْسَانَا
أَيُّهَا ذِي ٱلطُّيُورُ مَنْ قَسَّمَ ٱلْحَظَّ وَمَنْ قَالَ لِلشَّقَا كُنْ فَكَانَا
أَيُّهَا ذِي ٱلطُّيُورُ لَمْ نَعْهَدِ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلُ يَحْسُدُ ٱلْحَيَوَانَا
أَيُّهَا ذِي ٱلطُّيُورُ حَسْبُكِ فِي ٱلسَّفْحِ ٱنْطِلَاقاً جَوَانِحاً وَلِسَانَا
أَتُجِيدِينَهُ ٱلْبَيَانَ عَلَى ٱلْأَفْنَانِ وَٱلنَّاسُ لَا تُجِيدُ ٱلْبَيَانَا
وَتَعِيشِينَ وَٱلرِّجَالُ بِلُبْنَا نَ يَمُوتُونَ شِقْوَةً وَهَوَانَا
إِنَّ كَفّاً تُفَصِّلُ ٱلثَّوْبَ لِلْعُرْ سِ لَكَفٌّ تُفَصِّلُ ٱلْأَكْفَانَا
رَحْمَةً بِٱلْقُلُوبِ يَا طَيْرُ غَنِّي فَعَسَانَا نَسْلُو ٱلشَّقَاءَ عَسَانَا
وَٱسْحَرِينَا بِمَا تُغَنِّينَ حَتَّى لَا تَرَى مَصْرَعَ ٱلْعُلَى عَيْنَانَا
وَٱنْزِعِي طَوْقَكِ ٱلْمُخَضَّبَ إِنَّا نَحْسَبُ ٱلطَّوْقَ خَضَّبَتْهُ دِمَانَا
نَحْنُ صِنْوَانِ يَا حَمَائِمُ فِي ٱلْبُؤْ سِ كِلَانَا مُطَوَّقَانِ كِلَانَا
كَيْفَ حَالُ ٱلشَّمَالِ مِنْ أَرْضِ لُبْنَا نَ أَمَا زَالَ يَقْذِفُ ٱلنِّيرَانَا
وَيُرِيقُ ٱلْفَتَى دِمَاءَ أَخِيهِ وَيْحَهُ كَانَ قَلْبُهُ صَوَّانَا
إِنَّ مَنْ يَزْرَعُ ٱلدِّمَاءَ بِأَرْضٍ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ يَحْصُدُ ٱلْأَحْزَانَا

---

(١) ائتلى قصَّر

أَيُّها ٱلحَاكِمُ ٱلَّذِي رَاحَ يَلْهُو ... إنَّ فِي ٱللَّهْوِ لَوْ عَلِمْتَ شَقَانَا
نَبِّهِ ٱلجفْنَ مِنْ كَرَاكَ فَقَدْ حَا ... مَتْ نُسُورُ ٱلفَلا عَلى قَتْلانَا
أَرْبَعٌ مِنْ سِنِيكَ مَاتَتْ وَلَوْلَا ... أَمَلٌ بِٱلرَّحِيلِ مَاتَ رَجَانَا
مَا عَرَفْنَا وَٱلأَمْرُ أَمْرُكَ فِينَا ... أَمَلِيكاً تُوِّجتَ أَمْ سُلْطَانَا
عَجَباً كَيْفَ رَبُّ يَلْدِزَ يَنْحَـ ... ـطُّ وَيَعْلُو رَبِيبُ يَلْدِزَ شَانَا
مِثْلُ عَبْدِ ٱلحَمِيدِ عِنْدَكَ أَعوَا ... نٌ وَلٰكِنْ لَمْ يُخْلِصُوا أَعوَانَا
مَنَحُوكَ ٱللِّسَانَ مِنْحَةَ تَدْلِيـ ... ـسٍ وَلٰكِنْ لَمْ يَمْنَحُوكَ ٱلْجَنَانَا
فَإِذَا صَادَفَتْكَ دُهْمُ ٱللَّيَالِي ... وَتَطَلَّعْتَ لَا تَرَى إِنْسَانَا

دمعة على الشرق

« من قصيدة للشاعر نفسه »

لَا أَلُومُ ٱلزَّمَانَ يَا أَيُّهَا ٱلشَّرْ ... قُ عَلى ٱلذُّلِّ بَلْ أَلُومُ ٱلرِّجَالَا
أَنْتَ كَٱلغَرْبِ غَيْرَ أَنَّ رِجَالَ ٱلْـ ... ـغَرْبِ أَمْضَى عَزْماً وَأَمْضَى مَقَالَا
كُنْتَ لِلْغَرْبِ قُدْوَةً وَمِثَالًا ... فَغَدَا ٱلْغَرْبُ قُدْوَةً وَمِثَالَا
كُنْتَ مَجلَى ٱلأَنْوَارِ فِي سَالِفِ ٱلدَّهْـ ... ـرِ فَتَبًّا لِحَالِهِ كَيْفَ حَالَا[1]
عِزَّةٌ تَنْطَحُ ٱلسِّماكَ[2] وَمَجْـدٌ ... فِي جَبِينِ ٱلأَيَّامِ يَحْكِي ٱلهِلالَا
وَرِجَالٌ كَمَا تَشَاءُ ٱلْمَعَالِي ... أَلْبَسُوا ٱلشَّرْقَ رَوْنَقاً وَجَمالَا

(١) انقلب (٢) السماك كوكب نير

أَيْنَ تِلْكَ ٱلنُّفُوسُ أَخْمَدَهَا ٱلْمَوْ ... تُ تَرَى ٱلْعِلْمَ وَٱلْحِجَى كَيْفَ زَالَا

وَتَرَى عَرْشَ عِزِّهَا كَيْفَ ثَلَّتْ ... هُ[1] يَدُ ٱلْغَاشِمِينَ[2] ظُلْماً فَمَالَا

فَغَدَا ٱلْحُرُّ خَامِلًا[3] وَخُمُولُ ٱلْحُــرِّ أَضْحَى فِي ٱلشَّرْقِ شَيْئاً حَلَالَا

فَإِذَا عَاشَ عَاشَ ثَمَّ ذَلِيلًا ... وَإِذَا مَاتَ مَاتَ ثَمَّ ٱغْتِيَالَا[4]

أَيُّهَا ٱلشَّرْقُ أَيْنَ أَبْنَاؤُكَ ٱلشُّمُّ[5] ٱلْأُولَى فِيكَ غَامَرُوا ٱلْأَهْوَالَا

وَٱلْأُولَى يَبْذُلُونَ فِي سُبُلِ ٱلْمَجْ ... دِ نُفُوساً لِلذُّلِّ تَأْبَى ٱحْتِمَالَا

هَاجَرُوا خَوْفَ أَنْ يَنَالَهُمُ ٱلظُّلْ ... مُ وَحَطُّوا لَدَى سِوَاكَ ٱلرِّحَالَا

غَيْرَ أَنَّ ٱلْحَنِينَ لِلْوَطَنِ ٱلْمَحْ ... بُوبِ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْفُؤَادِ ٱشْتِعَالَا

يَا سَمَا ٱلشَّرْقِ أَيْنَ أَنْجُمُكِ ٱلزُّهْ ... رُ ٱلَّتِي قَدْ كَانَتْ لَنَا تَتَلَالَا

أَتُرَاهَا حَنَّتْ إِلَى ٱلْغَرْبِ شَوْقاً ... أَمْ تُرَى أَنْتِ ضِقْتِ عَنْهَا مَجَالَا

فَٱدْلَهَمَّ ٱلْأُفْقُ ٱلْجَمِيلُ غَدَاةَ ٱدَّ ... شَحَ ٱلشَّرْقُ بِٱلدُّجَى سِرْبَالَا[6]

وَغَدَا وَٱلشَّقَاءُ مِلْءُ يَدَيْهِ ... بَعْدَ أَنْ جَرَّ لِلْهَنَا أَذْيَالَا

يَا بَنِي ٱلشَّرْقِ أَيْنَ كُنْتُمْ سَلَامٌ ... مِنْ مُحِبٍّ بِذِكْرِكُمْ يَتَغَالَى[7]

أَنْتُمُ ٱلْقُوَّةُ ٱلَّتِي نَتَرَجَّى ... ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ تُنْعِشَ ٱلْآمَالَا

أَنْتُمُ ٱلْكَفُّ وَٱلْحُسَامُ فَشُلُّوا ... كُلَّ عُضْوٍ تَرَوْنَ فِيهِ ٱخْتِلَالَا

وَٱنْبِذُوا[8] ٱلْحِقْدَ وَٱلتَّنَافُرَ وَٱلْأَغْ ... رَاضَ وَٱلْكِبْرِيَاءَ وَٱلِاخْتِيَالَا

---

(١) هدمته (٢) الظالمين (٣) ساقطاً (٤) الاغتيال القتل على غرة اي غفلة
(٥) جمع اشم وهو السيد الكريم ذو الانفة (٦) قميصاً (٧) يرتفع (٨) اطرحوا

وَٱسْحَقُوا مَفْرِقَ[1] ٱلْبُغَاةِ وَدُوسُوا نُصَرَاءَ ٱلتَّعَصُّبِ ٱلْأَنْذَالَا
عُصَبٌ[2] غُلِّتِ[3] ٱلْعُقُولَ وَوَيْلٌ لِّلَّذِي رَاحَ يَكْسِرُ ٱلْأَغْلَالَا[4]
أَيُّهَا ٱلْقَوْمُ حَسْبُكُمْ وَكَفَاكُمْ أَنْ مَكَثْنَا فِي أَسْرِكُمْ أَجْيَالَا
أَيُّهَا ٱلْقَوْمُ قَدْ مُنِحْنَا عُقُولَا لَا تُبَقِّي وَهْمًا وَلَا إِشْكَالَا
وَمُنِحْنَا حُرِّيَّةً وَإِخَاءً وَمُسَاوَاةً مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى

الامل الهاوي

« للشيخ ابراهيم منذر »

يَادُرَّةَ ٱلشَّامِ بَلْ يَا قِبْلَةَ ٱلشَّامِ كَمْ فِي سَمَائِكِ مِنْ وَحْيٍ وَإِلْهَامِ
يَارُوحَ سُورِيَّةَ ٱلرَّاقِي وَسُودَدَهَا ٱلْبَاقِي وَبَدْرَ سَنَاهَا ٱلسَّاطِعِ ٱلسَّامِي
دِمَشْقُ فِي صَفَحَاتِ ٱلْمَجْدِ خَالِدَةٌ ذِكْرَاكِ تُرْوَى بِإِجْلَالٍ وَإِعْظَامِ
كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ نُوراً فِي حِمَاكِ وَلَمْ يُصَبْ بَنُوكِ بِإِزْهَاقٍ وَإِظْلَامِ
وَكَانَتِ ٱللُّغَةُ ٱلْفُصْحَى مُعَزَّزَةً تَخْتَالُ عُجْباً بِأَقْطَابٍ وَأَعْلَامِ
وَٱلْيَوْمَ لَا كَانَ هٰذَا ٱلْيَوْمُ لَسْتُ أَرَى فِي ٱلشَّرْقِ إِلَّا ٱلْفُؤَادَ ٱلشَّاكِيَ ٱلدَّامِي
تَرَاطَنَ[5] ٱلْقَوْمُ وَٱلْحِدْثَانُ فَرَّقَهُمْ وَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَعْرَابٍ وَأَعْجَامِ
لَا ٱلْعِلْمُ زَاهٍ وَلَا رَوْضُ ٱلْحِمَى نَضِرٌ وَلَا كَرَامَةَ لِٱبْنِ ٱلشَّامِ فِي ٱلشَّامِ
وَرَاحَتِ ٱللُّغَةُ ٱلْفُصْحَى تَقُولُ لَنَا نَكَّسْتُمُ بَعْدَ ذَاكَ ٱلْمَجْدِ أَعْلَامِي
«إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي ٱلْحُبِّ عِنْدَكُمُ مَاقَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي»

(١) المفرق وسط الرأس (٢) جماعات (٣) عله وضع الغل في يده او عنقه
(٤) جمع غل وهو طوق من حديد (٥) تراطن القوم تكلموا بالاعجمية

الشاعر والبورصة

« بقلم الشيخ امين تقي الدين »

فَرَشُوهَا لَآلِئاً وَنُضَارَا ثُمَّ قَالُوا هٰذِي ٱلطَّرِيقُ فَسَارَا
لَا تَلُومُوهُ غَرَّهُ ٱلْوَصْفُ حَتَّى فَاتَهُ أَنْ قَضَى سِوَاهُ ٱغْتِرَارَا
رُبَّ سَعْدٍ يَجِيءُ لِلْمَرْءِ عَفْواً وَشَقَاءٍ لٰكِنْ يَجِيءُ ٱضْطِرَارَا
طَمَعٌ فِي ٱلنُّفُوسِ أَنْ يَحْسَبَ ٱلْمَرْ ءُ طَرِيقَ ٱلْغِنَى تَكُونُ ٱخْتِصَارَا
وَفَسَادٌ فِي ٱلرَّأْيِ أَنْ لَا يُرِينَا ٱلْوَهْمَ إِلَّا سَعَادَةً وَيَسَارَا
شَهِدُوهَا فِي ٱلْغَرْبِ تَبْنِي قُصُوراً مَا رَأَوْهَا فِي ٱلْغَرْبِ تَمْحِي دِيَارَا
غَرَّهُمْ ظَاهِرُ ٱلْبَهَا فَتَعَامَوا عَنْ قَبِيحٍ تَحْتَ ٱلْقَبِيحِ تَوَارَى
وَأَتَوْنَا بِهَا وَقَدْ غَرَّبُوهَا فَقَرَأْنَا فِيهَا ٱلشَّقَا وَٱلْبَوَارَا
إِنَّ فِي بَعْضِ مَا ٱقْتَبَسْنَا مِنَ ٱلْغَرْ بِ كَمَالًا وَإِنَّ فِي ٱلْبَعْضِ عَارَا
فَخَلَعْنَا ٱلتَّمَدُّنَ ٱلْحَقَّ عَنَّا وَلَبِسْنَا ٱلتَّمَدُّنَ ٱلْمُسْتَعَارَا
يَا ٱبْنَةَ ٱلْغَرْبِ حَجِّبِي وَجْهَكِ ٱلْكَا لِحَ عَنِّي وَأَوْسِعِينِي نِفَارَا
وَٱسْتُرِي ذٰلِكَ ٱلْجَمَالَ ٱلْمُدَاجِي وَٱمْنَعِي ذٰلِكَ ٱلْبَهَا ٱلْغَرَّارَا
قَبَّحَ ٱللّٰهُ كُلَّ حُسْنٍ يُحَلِّيـ ـكِ وَلَوْ كَانَ يُخْجِلُ ٱلْأَقْمَارَا
يَا ٱبْنَةَ ٱلْغَرْبِ مَلِّقِي ٱلنَّاسَ مَهْمَا شِئْتِ وَٱسْتَوْقِفِي لَكِ ٱلْأَنْظَارَا
فَصُعُوداً طَوْراً وَطَوْراً هُبُوطاً لَعَنَ ٱللّٰهُ هٰذِهِ ٱلْأَسْعَارَا

رَبِّ هَلْ كَانَ مِثْلَ حَظِّيَ حَظٌّ لَبِسَ ٱللَّيْلَ فِي ٱلْحَيَاةِ شِعَارَا
أَفَأَسْعَى وَرَاءَ رِزْقِيَ دَهْراً وَأُلَاقِي فِي لَحْظَتَيْنِ ٱلدَّمَارَا
زَادَ شَيْخُوخَتِي ٱلضَّنَى وَشَبَابِي ضَاعَ لٰكِنْ فِي ٱلْقَلْبِ أَبْقَى شِرَارَا
طَائِرٌ كَانَ فِي يَمِينِي فَلَمَّا مَلَّقُوهُ غَنَّى قَلِيلاً وَطَارَا

أنقذوا الطفل

« من قصيدة لحافظ بك ابراهيم »

أَيُّهَا ٱلطِّفْلُ لَا تَخَفْ عَنَتَ ٱلدَّهْـ ـرِ وَلَا تَخْشَ عَادِيَاتِ ٱللَّيَالِي [1]
قَيَّضَ ٱللّٰهُ لِلضَّعِيفِ نُفُوساً تَعْشَقُ ٱلْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ ٱلْحِجَالِ
أَيْ ذَوَاتِ ٱلْحِجَالِ عِشْتُنَّ لِلْـ ـبِرِّ وَمُتُّنَّ قُدْوَةً لِلرِّجَالِ
لَمْ يَكُونُوا لِيُدْرِكُوا ٱلْمَجْدَ لَوْلَا كُنَّ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ ٱلْمَعَالِي
رَاعَنِي مِنْ نُفُوسِكُنَّ جَمَالٌ يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
وَجَمَالُ ٱلنُّفُوسِ وَٱلشِّعْرُ وَٱلْأَخْـ ـلَاقُ عِنْدِي أَسْمَى مَجَالِي ٱلْجَمَالِ
قُمْنَ عَلَّمْنَنَا ٱلْمُرُوءَةَ وَٱلْعَطْـ ـفَ عَلَى ٱلْبَائِسِينَ وَٱلسُّؤَّالِ
قُمْنَ عَلَّمْنَنَا ٱلْحَنَانَ عَلَى ٱلطِّفْـ ـلِ شَرِيداً فَرِيسَةَ ٱلْمُغْتَالِ
قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَكُنَّ وَجِئْنَا نَسْأَلُ ٱلْقَادِرِينَ بَعْضَ ٱلنَّوَالِ

---

(١) مراد الشاعر ان يقول : لا تخف ان يعنتك الدهر اي ان ينزل بك ما يشق عليك تحمله فاستعمل العنت بدلا من التعنيت فانقلب المعنى

لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ ٱلْمَقَالِ لَجُدْنَا إِنَّ جَهْدَ ٱلْمُقِلِّ حُسْنُ ٱلْمَقَالِ

أَنْقِذُوا ٱلطِّفْلَ إِنَّ فِي شَقْوَةِ ٱلطِّفْلِ شَقَاءً لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ

إِنْ يَعِشْ بَائِساً وَلَمْ يَطْوِهِ ٱلْبُؤْسُ يَعِشْ نَكْبَةً عَلَى ٱلْأَجْيَالِ

رُبَّ بُؤْسٍ يُخَبِّثُ[1] ٱلنَّفْسَ حَتَّى يَطْرَحُ ٱلْمَرْءَ فِي مَهَاوِي ٱلضَّلَالِ

أَنْقِذُوهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ مُصْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي

رُبَّمَا كَانَ تَحْتَ طِمْرَيْهِ[2] عَزْمٌ ذُو مَضَاءٍ يَدُكُّ شُمَّ ٱلْجِبَالِ

على شاطئ النهر

«بقلم الياس ابي شبكة»

أَصْغِي فَلِلْأَمْوَاهِ فِي ٱلنَّهْرِ صَوْتٌ يُشَابِهُ زَفْرَةَ ٱلصَّدْرِ

أَتَأَلُّمٌ هٰذَا ٱلزَّفِيرُ أَمِ ٱلْأَمْوَاجُ فِي مَدٍّ وَفِي جَزْرِ

أَلنَّهْرُ يَا نَفْسِي إِذَا ٱضْطَرَبَتْ أَمْوَاهُهُ فِي قَعْرِهِ ٱلسِّرِّي

لَا شَكَّ يَفْهَمُ وَهُوَ مُصْطَخِبٌ أَسْرَارَ مَدْمَعِكِ ٱلَّذِي يَجْرِي

...

كَالنَّهْرِ يَا نَفْسُ نِهَايَتُنَا هُوَ لِلْبِحَارِ وَنَحْنُ لِلْقَبْرِ

---

(١) يقال أخبثهُ اذا افسده لا خبَّثه (٢) الطمر الثوب البالي

الباب الحادى عشر

في المدح والتهنئة

قال ابو فراس الحمداني من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ إِلَّا فِرَاراً أَشَدَّ مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ أَوْ حِمَامَا
حَمَلْتُ عَلَى وُرُودِ ٱلْمَوْتِ نَفْسِي وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي مُوتُوا كِرَامَا
وَهَلْ عُذْرٌ وَسَيْفُ ٱلدِّينِ رُكْنِي إِذَا لَمْ أَرْكَبِ ٱلْخُطَطَ[1] ٱلعِظَامَا
وَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْتَسِباً إِلَيْهِ وَحَسْبِي أَنْ أَكُونَ لَهُ غُلَامَا
أَرَانِي كَيْفَ أَكْتَسِبُ ٱلْمَعَالِي وَأَعْطَانِي عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلذِّمَامَا
وَرَبَّانِي فَفُقْتُ بِهِ ٱلْبَرَايَا وَأَنْشَأَنِي فَسُدْتُ بِهِ ٱلْأَنَامَا
فَأَحْيَاهُ ٱلْإِلٰهُ لَنَا طَوِيلًا وَزَادَ ٱللّٰهُ نِعْمَتَهُ دَوَامَا

وقال يمدح عدة الدولة ابا تغلب بن ناصر الدولة

دَعَوْتُهُ فَأَجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نُعْمَاهُ لَمْ تُجِبِ
لَوْ فَاتَهُ ٱلنَّسَبُ ٱلْوَضَّاحُ كَانَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُغْنِي عَنِ ٱلنَّسَبِ
إِذَا دَعَتْهُ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ سَيِّدَهَا طُرًّا[2] دَعَتْهُ ٱلْمَعَالِي سَيِّدَ ٱلْعَرَبِ

(١) الامور (٢) جميعاً

ومن قصيدة لبهاء الدين زهير في مدح الملك الناصر يوسف
ابن الملك العزيز بن ايوب لما ملك دمشق سنة ٦٤٨
وكان متغير المزاج ثم عوفي

لَكُمْ مِنِّيَ ٱلْوُدُّ ٱلَّذِي لَيسَ يَبرَحُ ... وَلِي فِيكُمُ ٱلشَّوْقُ ٱلشَّدِيدُ ٱلْمُبَرِّحُ
وَكَمْ لِيَ مِنْ كُتْبٍ وَرُسْلٍ إِلَيْكُمُ ... وَلٰكِنَّهَا عَنْ لَوْعَتِي لَيسَ تُفْصِحُ
زَعَمْتُمْ بِأَنِّي قَدْ نَقَضْتُ عُهُودَكُمْ ... لَقَدْ كَذَبَ ٱلْوَاشِي ٱلَّذِي لَيسَ يَنْصَحُ
خُلِقْتُ وَفِيًّا لَا أَرَى ٱلْغَدْرَ فِي ٱلْهَوَى ... وَذٰلِكَ خُلْقٌ عَنْهُ لَا أَتَزَحْزَحُ
سَلُوا ٱلنَّاسَ غَيْرِي عَنْ وَفَائِي بِعَهْدِكُمْ ... فَإِنِّي أَرَى شُكْرِي لِنَفْسِيَ يَقْبُحُ
أَأَحْبَابَنَا حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى ... أُعَرِّضُ بِٱلشَّكْوَى لَكُمْ وَأُصَرِّحُ
حَيَاتِي وَصَبْرِي مُذْ هَجَرْتُمْ كِلَاهُمَا ... غَرِيبٌ وَدَمْعِي لِلْغَرِيبَيْنِ يَشْرَحُ
رَعَى ٱللهُ طَيْفًا مِنْكُمُ بَاتَ مُؤْنِسِي ... وَمَا ضَرَّهُ إِذْ بَاتَ لَوْ كَانَ يُصْبِحُ
وَأَسْمَرَ أَمَّا قَدُّهُ فَهْوَ أَهْيَفٌ ... رَشِيقٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَهْوَ أَصْبَحُ
كَأَنَّ ٱلَّذِي فِيهِ مِنَ ٱلْحُسْنِ وَٱلضِّيَا ... تَدَاخَلَهُ زَهْوٌ(١) بِهِ فَهْوَ يَمْرَحُ
كَأَنِّيَ قَدْ أَنْشَدْتُهُ مَدْحَ يُوسُفٍ ... فَأَطْرَبَهُ حَتَّى ٱنْثَنَى يَتَرَنَّحُ(٢)
وَإِنَّ مَدِيحَ ٱلنَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... لَيَصْبُو إِلَيْهِ كُلُّ قَلْبٍ وَيَجْنَحُ(٣)
وَلَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَى مَدْحِ مَادِحٍ ... مَكَارِمُهُ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتَمْدَحُ

(١) كبر وفخر (٢) يتمايل (٣) يميل

وَكُلُّ فَصِيحٍ أَلْكَنٌ[1] فِي مَدِيحِهِ ... لِأَنَّ لِسَانَ ٱلْجُودِ بِٱلْمَدْحِ أَفْصَحُ
وَقَدْ قَاسَ قَوْمٌ جُودَ يُمْنَاهُ بِالْحَيَا[2] ... وَقَدْ غَلِطُوا يُمْنَاهُ أَسْخَى وَأَسْمَحُ
فَلَوْ سُئِلَ ٱلدُّنْيَا رَآهَا حَقِيرَةً ... وَجَادَ بِهَا سِرًّا وَلَا يَتَبَجَّحُ[3]
كَثِيرُ حَيَاءِ ٱلْوَجْهِ يَقْطُرُ مَاؤُهُ ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَأْسِهِ ٱلنَّارُ تَلْفَحُ[4]
مَنَاقِبُ قَدْ أَضْحَى بِهَا ٱلدَّهْرُ حَالِياً ... فَهَا عِطْفُهُ مِنْهَا مُوَشًّى مُوَشَّحُ
مِنَ ٱلنَّفَرِ ٱلْغُرِّ ٱلَّذِينَ وُجُوهُهُمْ ... مَصَابِيحُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ بَلْ هِيَ أَصْبَحُ
كَذٰلِكَ بَنُو أَيُّوبَ مَا زَالَ مِنْهُمُ ... عَظِيمٌ مُرَجًّى أَوْ كَرِيمٌ مُمَدَّحُ
أُنَاسٌ هُمُ سَنُّوا ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْعُلَى ... وَهُمْ أَعْرَبُوا عَنْهَا وَقَالُوا فَأَفْصَحُوا
لِيَهْنِ دِمَشْقَ ٱلْيَوْمَ صِحَّتُكَ ٱلَّتِي ... بِهَا فَرِحَتْ وَٱلْمُدْنُ كَٱلنَّاسِ تَفْرَحُ
فَلَا زَهْرَ إِلَّا ضَاحِكٌ مُتَمَاطِفٌ[5] ... وَلَا دَوْحَ إِلَّا مَائِسٌ مُتَرَنِّحُ
وَلَا غُصْنَ إِلَّا وَهْوَ نَشْوَانُ رَاقِصٌ ... وَلَا طَيْرَ إِلَّا وَهْوَ فَرْحَانُ يَصْدَحُ
أَمَوْلَايَ سَامِحْنِي فَإِنَّكَ لَمْ تَزَلْ ... تُسَامِحُ بِٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ وَتَسْمَحُ
فَمَا كُلُّ لَفْظٍ فِي خِطَابِكَ يُرْتَضَى ... وَمَا كُلُّ مَعْنًى فِي مَدِيحِكَ يَصْلُحُ
لَعَمْرُكَ كُلُّ ٱلنَّاسِ لَا شَكَّ نَاطِقٌ ... وَلٰكِنَّ ذَا يَلْغُو[6] وَهٰذَا يُسَبِّحُ
وَقَدْ يُحْسِنُ ٱلنَّاسُ ٱلْكَلَامَ وَإِنَّمَا ... كَلَامِي هُوَ ٱلدُّرُّ ٱلْمُنَقَّى ٱلْمُنَقَّحُ
كَلَامٌ يَسُرُّ ٱلسَّامِعِينَ كَأَنَّمَا ... لِسَامِعِهِ فِيهِ ٱلشَّرَابُ ٱلْمُفَرِّحُ

---

(١) الالكن الثقيل اللسان (٢) المطر (٣) يريد بذلك انه لايفتخر بجود.
(٤) تحرق (٥) متبختر (٦) لغا في قوله اخطأ وقال باطلا

ومن قصيدة لاسماعيل صبري باشا انشدها في الحفلة التي اقيمت في مصر تكريماً لواصف بن بطرس باشا غالي الذي القى في باريس المحاضرات والخطب الباهرة في آداب اللغة العربية

أَيُّ صَوْتٍ حَيَّتْهُ بِٱلْأَمْسِ بَارِيسُ مَقَرُّ ٱلْعُلُومِ وَٱلْعُلَمَاءِ

مَنْ تُرَى ذٰلِكَ ٱلَّذِي جَمَّلَتْهُ   حِكْمَةُ ٱلشَّيْبِ فِي رَبِيعِ ٱلْفَتَاءِ[1]

ذٰلِكَ ٱلْأَسْمَرَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْـ   ـبِيضَ[2] مُطِلًّا مِنْ مِنْبَرِ ٱلْخُطَبَاءِ

وَأَمَاطَ ٱللِّثَامَ[3] عَنْ أَدَبِ ٱلْعُرْ   بِ كِرَامِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ

بِلِسَانٍ[4] مَا ٱعْتَادَ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَخْـ   ـضَعَ إِلَّا لِأَهْلِهِ مِنْ إِبَاءِ

يَا سِجِلَّ ٱلْخُلُودِ فَسِّحْ مَجَالًا   لِٱسْمِهِ فِي صَحِيفَةِ ٱلْفُضَلَاءِ

وَأَرِ ٱلْأَعْصُرَ ٱلْأَوَاتِيَ أَنَّ ٱلْـ   ـذِّكْرَ عُمْرٌ مُحَجَّلُ ٱلْآنَاءِ[5]

ذَاكَ صَوْتُ ٱبْنِ بُطْرُسٍ قَدْ عَرَفْنَا   هُ بِمَا هَاجَهُ مِنَ ٱلْأَصْدَاءِ

أَلْقِ بِٱلسَّمْعِ[6] تَسْتَخِفَّكَ مِنْهُ   نَغَمَةٌ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِ ٱلْوَفَاءِ

ذَاكَ نَجْمٌ أَطْلَعْتِهِ أَنْتِ يَا مِصْـ   ـرُ فَقَرِّي بِنَجْمِكِ ٱلْوَضَّاءِ

وَأَحِلِّيهِ حَيْثُ تَفْتَقِدُ ٱلْبَدْ   رَ عُيُونُ ٱلسُّرَاةِ فِي ٱلظَّلْمَاءِ

---

(١) الفتوة (٢) اراد بالبيض الغربيين وكنى عن الممدوح بالاسمر لكونه مصرياً اسمر اللون (٣) اماط كشف واللثام ما تغطى به الشفة من ثوب وكنى باماطة اللثام عن الكشف (٤) يريد به اللسان الفرنسوي (٥) جمع الأني وهو كل النهار والمحجل الابيض اي ان الذكر عمر ابيض الايام (٦) القى اليه السمع أصغى اليه

كَمْ لَهُ دُونَ بَيْضَةِ ٱلشَّرْقِ مِنْ غَضْبَةِ حُرٍّ وَكَمْ لَهُ مِنْ بَلاء[1]
كَمْ لَهُ مِنْ مَوَاقِفٍ هَزَّ عِطْفَ ٱلْحَقِّ فِيهَا بِٱلْحُجَّةِ ٱلْبَيْضَاء
إِيهِ يَا ٱبْنَ ٱلْأَمْجَادِ قُمْتَ بِأَعْبَاءِ كِبَارٍ وَٱلْمَجْدُ ذُو أَعْبَاء
وَأَرَيْتَ ٱلْأَنَامَ بِرَّ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَرَأْيَ ٱلْكَرِيمِ فِي ٱلْكُرَمَاء
فَٱسْتَمِعْ مَا يُقَالُ حَوْلَكَ يَا وَاصِفُ ذَا ٱلْيَوْمَ مِنْ ضُرُوبِ ٱلثَّنَاء
إِنَّ مِنْ طِيبِ ٱلثَّنَاءِ لَزَهْراً تَجْتَنِيهِ مَسَامِعُ ٱلْأَكْفَاء

وقال خليل بك مطران من قصيدة يهنئ فيها
احمد شوقي بك بمهرجانه

يَا بَاعِثَ ٱلْمَجْدِ ٱلْقَدِيمِ بِشِعْرِهِ وَمُجَدِّدَ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلْعَرْبَاء
أَنْتَ ٱلْأَمِيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِٱلْحِجَى فَلَهُ بِهِ تِيهٌ عَلَى ٱلْأُمَرَاء
أَلْيَوْمَ عِيدُكَ وَهْوَ عِيدٌ شَامِلٌ لِلضَّادِ فِي مُتَبَايِنِ ٱلْأَرْجَاء
عِيدٌ بِهِ ٱتَّحَدَتْ قُلُوبُ شُعُوبِهَا وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِيرَةَ ٱلْأَهْوَاء
كَمْ رِيمَ تَجْدِيدٌ لِغَابِرِ مَجْدِهَا فَجَنَى عَلَيْهِ تَشَعُّبُ ٱلْآرَاء
يَا مِصْرُ بَاهِي كُلَّ مِصْرٍ بِٱلْأُولَى أَنْجَبْتِ مِنْ أَبْنَائِكِ ٱلْعُظَمَاء
حَفَلُوا لِأَحْمَدَ حَفْلَةً مَيْمُونَةً لَمْ تَأْتِ فِي نَبَإٍ مِنَ ٱلْأَنْبَاء
مَا أَحْمَدُ إِلَّا لِوَاءُ بِلَادِهِ فِي ٱلشَّرْقِ يَخْفِقُ فَوْقَ كُلِّ لِوَاء

(١) البيضة الناحية والبلاء اظهار البأس

عظمت مواهبه وأحرز ما اشتهى — من فطنة خلابة وذكا
إن تلقه تلق النبوغ ممثلا — في صورة لماحة اللألاء[1]
في نطقه الدر النفيس وإنما — تصطاده الأسماع بالإصغاء
أعظم بشوقي ذائداً عن قومه — وبلاده . في الأزمة النكراء
لتكاد تسمع من صرير يراعه — زأراً كزأر الأسد في الهيجاء
في كل فن من فنون قريضه — ما زال فوق مطامع النظراء
أما جزالته فغاية ما انتهت — شرفاً إليه جزالة الفصحاء
وتكاد رقته تسيل بلفظه — في المهجة الظمأى مسيل الماء
لولا الجديد من الحلى في نظمه — لم تعزه إلا إلى القدماء
ناهيك بالوشي الأنيق وقدزها — ماشاء في الديباجة الحسناء[2]
يسري نسيم اللطف في زيناتها — مسرى الصبا في الروضة الغناء
هتكت قريحته السجوف وأقبلت — تسبي خبايا النفس كل سباء
في شدوه ونواحه رجع لما — طويت عليه سرائر الأحياء
يشجي قديم كلامه كجديده — وأرى القديم يزيد في الإشجاء
فمن الكلام معتق إن ذقته — ألفيته كمعتق الصهباء
لله شوقي في طرائق أخذه — بطرائق الأحوال والأشياء
في بره ببلاده وهيامه — بجمال تلك الجنة الفيحاء

(١) لامعة الضياء (٢) ديباجة القصيدة فاتحتها

فِي وَصْفِهِ ٱلنِّعَمَ ٱلَّتِي خُصَّتْ بِهَا ... مِنْ حُسْنِ مُرْتَبَعٍ وَطِيبِ هَوَاء
فِي فَخْرِهِ بِنُهُوضِهَا حَيْثُ ٱلرَّدَى ... يَهْوِي بِهَامِ شَبَابِهَا ٱلنُّبَهَاء
فِي شُكْرِهِ لِلْمَانِعِينَ حِيَاضَهَا ... وَحُمَاةِ بَيْضَتِهَا مِنَ ٱلشُّهَدَاء
فِي وَصْفِهِ ٱلْآيَاتِ مِمَّا أَبْدَعَتْ ... أُمَمٌ يَقِظْنَ وَنَحْنُ فِي إِغْفَاء
وَصْفٌ تَفَنَّنَ فِيهِ يُغْرِي قَوْمَهُ ... بِٱلْأَخْذِ عَنْهَا أَشْرَفَ ٱلْإِغْرَاء
لَمْ يُبْقِ مِنْ عَجَبٍ عُجَابٍ خَافِياً ... فِي بَطْنِ أَرْضٍ أَوْ بِظَهْرِ سَمَاء
بَلَغَتْ خِلَالُ ٱلْعَبْقَرِيَّةِ تُمَّهَا[1] ... فِيهِ وَجَازَتْ شَأْوَ كُلِّ ثَنَاء
فَإِذَا عَيِيتُ وَلَمْ أَقُمْ بِحُقُوقِهَا ... فَلَقَدْ يَقُومُ ٱلْعُذْرُ بِٱلْإِبْلَاء

وقال امين بك تقي الدين من قصيدة يهنئ بها استاذه
الشيخ عبد الله البستاني بيوبيله الذهبي

شَجَاهَا[2] أَنْ تَرِيدَ ٱلْعِيدَ جَاهَا ... فَنَادَتْنِي فَلَبَّاهَا فَتَاهَا
أَنَا مَنْ تَعْلَمِينَ فَتَى ٱلْقَوَافِي ... إِذَا أَطْرَأْتُ أُسْتَاذِي أَبَاهَا
أُجِلُّ « ٱلْحِكْمَةَ ٱلْغَرَّاءَ » أُمًّا ... وَأُكْرِمُ « شَيْخَهَا » ٱلْبَانِي عُلَاهَا
عَذِيرِي أَنْ أُبَاهِي فِي بَيَانِي ... فَمَنْ أَدَّبْتَ يُعْذَرُ إِنْ تَبَاهَى
أَنَا مِنْ أُمَّةٍ أَطْلَعْتَ مِنْهَا ... هُدًى حَقًّا وَأَقْلَاماً نِزَاهَا[3]
وَإِنَّكَ خَيْرُ مَنْ رَكَنَتْ إِلَيْهِ ... فَقَادَ جُنُودَهَا وَحَمَى لِوَاهَا

---

(١) تمامها (٢) اطربها والضمير يعود الى مدرسة الحكمة (٣) جمع نزيه

أَخذْنا عَنكَ عَاطِرَةَ ٱلْمَعَانِي وَفرَّقنَا عَلى ٱلدُّنيَا شَذَاهَا
وَنَفسُكَ وَهيَ لَمْ تَبرَحْ هُدانَا أَضَاْنَا كُلّ قُطرٍ مِنْ هُداها
أَلَسْتَ إِمَامَ مَنْ نَظمَ ٱلْقَوَافِي فَأرْقَصتِ ٱلنُّفُوسُ عَلى صَداهَا
غَوَانٍ فِي كِسَاءٍ جَاهِلِيٍّ بِرُوحِي ٱلْيَوْمَ عَصْرِيّاً كَسَاهَا
أَعَارَتْها ٱلْبَدَاوَةُ كُلّ حُسْنٍ وَزَادَتْها ٱلْحَضَارَةُ مِنْ سَنَاهَا
لَبِسْتَ عَبَاءَةَ ٱلْعَرَبِيِّ تَزْهى بِها حَتَّى بَذَذْتَ مَنِ ٱرْتَدَاهَا
وَوَشَّتْهَا عُلُومُ ٱلْيَوْمِ وَشْياً كَأَنَّ سَنَاءَهُ مِنْ كَهْرَبَاهَا
وَقَدْ أَحيَتْ لَنَا ٱلْعُصُرَ ٱلْخَوَالِي رِوَايَاتٌ أَجَلُّكَ مَنْ رَوَاهَا
كَأَنَّكَ كُنْتَ «رَافَائِيلَ» فَنّاً تُضِيفُ لِفَنِّهِ لُغَةً وَفَاهَا
رَأَى فَأَجَادَهَا صُوَراً وَمَعْنًى وَأُسْتَاذِي أَجَادَ وَمَا رَآهَا

وقال وديع عقل احد خريجيه من قصيدة
يهنئه فيها باليوبيل نفسه

أَمُعَلِّمَ ٱلْفُصْحَى وَرَبَّ بَيَانِهَا هٰذَا مَقَامُكَ فِي بَنِي قَحْطَانِهَا
وَدَنَوْا وَهُمْ أُمَرَاؤُهَا وَشُيُوخُهَا لِيُبَايِعُوكَ وَأَنتَ فَرْدُ زَمَانِهَا
نَادَوْا بِعَبْدِٱللهِ بَعْدَ «زِيَادِهَا»[1] يَحْمِي مَفَاخِرَهَا وَعِزَّةَ شَانِهَا
نَادَوْا بِهِ مَلِكَ ٱلْبَلاغَةِ فَٱسْتَوَى فِي ٱلْمِنْبَرِ ٱلْمَوْرُوثِ عَنْ «ذُبْيَانِهَا»

(١) اسم النابغة الذبياني

وَمَشَى بَرِيدُهُمُ إلى أقطابِها ... بِبَلاغِهِمْ يُتْلَى على أعيانِها
أدّى ٱلبَلاغَ لِمِصْرِها وَشَآمِها ... فَعِرَاقِهَا فَحِجَازِها فَيَمانِها
أنهى إلَيهَا أنَّ حُجَّتَهَا على ... عَرْشِ ٱلبَلاغَةِ قَامَ فِي لُبْنَانِهَا
فِي دَوْلَةٍ عَرَبِيّةٍ مُتَّتْ[1] إلى ... ٱلأَصلابِ وَٱلأَرحامِ مِنْ غَسَّانِهَا
نَسَبٌ بِهِ ٱلأَرزِيُّ يَستَعْلِي على ... ٱلأَنسابِ مُفْتَخِراً على غُرَّانِهَا
مَا كانَ لُبنَانٌ على ٱستِقْلالِهِ ... إلّا حِمَى ٱلعَرْبَاءِ مُنْذُ كِيَانِهَا
مُتَوَثّقٌ صِلَةً بِهَا فَلِسَانُهُ ... بِلِسَانِهَا وَجَنَانُهُ بِجَنَانِهَا
هُوَ بَيْتُ أنجَبِ أُمَّةٍ عَرَبِيَّةٍ ... نَشَرَتْ عَلى ٱلدُّنيَا لِوَاءَ بَيَانِهَا
عَرَبِيَّةٌ فِي دِينِهَا فَالضَّادُ فِي ... إنْجِيلِهَا وَٱلضَّادُ فِي قُرْآنِهَا
وَٱلضَّادُ فِي تَوْرَاتِهَا وَحَدِيثِهَا ... وَٱلضَّادُ فِي تَرْتِيلِهَا وَأَذَانِهَا
وَٱلضَّادُ فِي أكْوَاخِهَا وَقُصُورِهَا ... وَٱلضَّادُ كُلُّ ٱلضَّادِ فِي بُسْتَانِهَا[2]
فِي مُعْجَمٍ كَٱلسُّورِ حَاطَ أُصُولَهَا ... لِيَرُدَّ كَيْدَ ٱلدَّهْرِ عَنْ دِيوَانِهَا
فَلْتَعْلَمِ ٱلعَرَبُ ٱلكَرِيمَةُ أنَّهَا ... حَظِيَتْ بِأَمْنَعِ ضَابِطٍ لِلِسَانِهَا
سَلِمَتْ لَهَا ٱلفُصْحَى فَدُونَ حُصُونِهَا ... تَتَدَحْرَجُ ٱلعُجُمَاتُ فِي خِذْلانِهَا
سَلِمَتْ لَهَا فِي قَلْبِ لُبْنَانٍ كَمَا ... سَلِمَتْ لَهَا فِي ٱلقَلْبِ مِنْ نَجْرَانِهَا[3]
لُغَةٌ يَهُونُ عَلى بَنِيهَا أَنْ يَرَوْا ... يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ قَبْلَ يَوْمِ هَوَانِهَا

(١) وصلت (٢) يريد معجم « البستان » لصاحبه الشيخ عبد الله المحتفى به (٣) نجران بلد باليمن

أَلْخَافِقَانِ فِدًى لَهَا وَكِلَاهُمَا هَرِمًا عَلَيْهَا وَهْيَ فِي رَيْعَانِهَا
لُغَةُ ٱلطَّبِيعَةِ فَالطَّبِيعَةُ أُمُّهَا لَمْ يَرْبُ غَيْرُ ٱلضَّادِ فِي أَحْضَانِهَا
مَحْكِيَّةٌ عَنْ طَيْرِهَا وَسِبَاعِهَا وَسَحَابِهَا وَرِيَاحِهَا وَدِجَانِهَا[1]
مَنْحُوتَةٌ مِنْ هَيْنَمَاتِ نَسِيمِهَا وَنَزِيبِ ظَبْيَتِهَا وَهِزَّةِ بَانِهَا[2]
وَأَنِينِ ثَكْلَاهَا وَبَثِّ عَمِيدِهَا وَحَنِينِ وَلْهَاهَا إِلَى وَلْهَانِهَا
وَنُوَاحِ سَاجِعَةٍ عَلَى أَعْوَادِهَا وَصُدَاحِ غِرِّيدٍ عَلَى أَغْصَانِهَا
هِيَ فِتْنَةُ ٱلْخُلَفَاءِ فِي بَغْدَادِهَا وَرَبِيبَةُ ٱلْأُمَرَاءِ فِي غُمْدَانِهَا[3]
رَكِبَتْ مُتُونَ ٱلْكَهْرَبَاءِ فَعِيسُهَا وَٱلْكَهْرَبَاءُ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَظْعَانِهَا
وَتَرَى ٱلْبَوَاخِرَ وَٱلطَّوَائِرَ أَصْبَحَتْ
مِثْلَ ٱلضَّوَامِرِ مِنْ جِيَادِ رِهَانِهَا
مَا ضَرَّهَا دَهْرٌ يَثِلُّ عُرُوشَهَا وَيُجَرِّدُ ٱلْهَامَاتِ مِنْ تِيجَانِهَا
فَلَهَا مِنَ ٱلْأَكْبَادِ عَرْشٌ خَالِدٌ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ سِوَى سُلْطَانِهَا
تِلْكَ ٱلْأَرِيكَةُ لَنْ تُقَوَّضَ قَبْلَ أَنْ تَتَقَوَّضَ ٱلدُّنْيَا عَلَى أَرْكَانِهَا

غَادِ ٱلرِّيَاضَ رِيَاضَ بُسْتَانِيِّهَا وَتَنَسَّمِ ٱلرَّيْحَانَ مِنْ رَيْحَانِهَا
وَتَبَيَّنِ ٱلْفُصْحَى عَلَى لَهَوَاتِهِ سَيَّالَةً بِعَقِيقِهَا وَجُمَانِهَا[4]

---

(١) جمع الدجن وهو المطر الكثير (٢) الهينمة الصوت الخفي . ونزيب الظبي تصويته (٣) غمدان قصر باليمن (٤) اللهوات جمع اللهات وهي اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم والمراد بها هنا الافواه . والعقيق خرز احمر

هٰذِي عُكاظُ وَسُوقُها مَعْقُودَةٌ ... «وَٱلشَّيْخُ» رَاحَتُهُ عَلَى مِيزَانِهَا
لَوْ لَمْ تَجِدْهُ ٱلضَّادُ حُجَّتَهَا لَمَا ... نُقِلَتْ عُكاظُ إِلَى حِمَى مِطْرَانِهَا(١)

وقال حافظ بك ابراهيم في حفلة كلية البنات الاميركية
يخاطب الاميركيين

أَيْ رِجَالَ ٱلدُّنْيَا ٱلْجَدِيدَةِ مَهْلًا ... قَدْ شَأَوْتُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلرِّجَالَا(٢)
وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى ٱلْحَيَاةِ فَأَرْصَدْ ... تُمْ عَلَيْهَا لِكُلِّ نَقْصٍ كَمَالَا(٣)
وَحَرَصْتُمْ عَلَى ٱلْعُقُولِ فَحَرَّمْـ ... ـتُمْ عَصِيراً يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالَا
وَقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ ٱلْعِلْمِ حِرْصاً ... وَسِوَاكُمْ لَا يَقْدُرُ ٱلْأَجْيَالَا(٤)
كَمْ أَحَالُوا عَلَى غَدٍ كُلَّ أَمْرٍ ... وَٱلْمُحِيلُ ٱلْأُمُورَ يَبْغِي ٱلْمُحَالَا(٥)
قَدْ تَحَدَّيْتُمُ ٱلْمَنِيَّةَ حَتَّى ... هَمَّ أَنْ يَغْلِبَ ٱلْبَقَاءُ ٱلزَّوَالَا(٦)
وَطَوَيْتُمْ فَرَاسِخَ ٱلْأَرْضِ طَيًّا ... وَمَشَيْتُمْ عَلَى ٱلْهَوَاءِ ٱخْتِيَالَا
ثُمَّ سَخَّرْتُمُ ٱلرِّيَاحَ فَسُسْتُمْ ... حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا وَٱلشَّمَالَا
تُسْرِجُونَ ٱلْهَوَاءَ إِنْ رُمْتُمُ ٱلسَّيْـ ... ـرَ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ ٱلرِّحَالَا(٧)
وَٱتَّخَذْتُمْ مَوْجَ ٱلْأَثِيرِ بَرِيداً ... حِينَ خِلْتُمْ أَنَّ ٱلْبُرُوقَ كُسَالَى(٨)

---

(١) اي الى مدرسة الحكمة (٢) شأوتم سبقتم (٣) ارصدتم اعددتم (٤) قدرتم عظمتم (٥) احاله عليه صرفه اليه او جعله مقصوراً عليه مطلوباً به (٦) تحدّاه باراه في فعل ونازعه الغلبة (٧) شدّ الرحال اوثقها وقوّاها وهو كناية عن السفر (٨) الاثير الفلك التاسع

ثُمَّ حَاوَلْتُمُ ٱلْكَلامَ مَعَ ٱلنَّجْمِ فَحَمَّلْتُمُ ٱلشُّعَاعَ مَقَالَا
وَمَحَا «فُورِدُ» آيَةَ ٱلْمَشْيِ حَتَّى شَرَعَ ٱلنَّاسُ يَنْبِذُونَ ٱلنِّعَالَا
وَٱنْتَزَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شِبْرٍ بِظَهْرِ ٱلْـ أَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا ٱلْمُحَجَّبِ مَالَا
وَأَقَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحاً تَنْطَحُ ٱلسُّحْبَ شَامِخَاتٍ طِوَالَا
وَغَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضاً أَنِيقاً فَوْقَ دُنْيَا ٱلْوَرَى يَمُدُّ ٱلظِّلَالَا
وَحَلَلْتُمْ بِأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا كَيْفَ تُنْمُونَ بَيْنَنَا ٱلْأَطْفَالَا
وَرَأَيْنَا ٱلْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقَّفْـنَ بِعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَا
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ فِي حِمَى ٱللهِ تُنْبِتُ ٱلْأَبْطَالَا
وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِلْـماً وَوَثْباً إِلَى ٱلْعُلَى وَنِضَالَا
قَدْ نَفَضْنَا عَنَّا ٱلْكَرَى وَٱبْتَدَرْنَا فُرَصَ ٱلْعَيْشِ وَٱنْتَقَلْنَا ٱنْتِقَالَا[1]
وَعَلِمْنَا بِأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ تَحْرِمُ ٱلْمَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوَالَا[2]
فَشَقَقْنَا إِلَى ٱلْحَيَاةِ طَرِيقاً وَأَصَبْنَا عَلَى ٱلزِّحَامِ مَجَالَا
وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ «فُؤَادٍ» وَرَفَعْنَا بِعَهْدِهِ تِمْثَالَا
قَدْ أَبَى ٱللهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى ٱلنَّا سِ وَإِنْ ضَاقَتِ ٱلْوُجُوهُ عِيَالَا

---

(١) ابتدرهُ عاجلهُ (٢) جمع حول وهو السنة

الباب الثاني عشر

في التعازي والمراثي

من مرثاة لبهاء الدين زهير يرثي بها بعض اوداثه

نَهَاكَ عَنِ ٱلْغَوَايَةِ مَا نَهَاكَا   وَذُقْتَ مِنَ ٱلصَّبَابَةِ مَا كَفَاكَا
وَطَالَ سُرَاكَ[1] فِي لَيْلِ ٱلتَّصَابِي   وَقَدْ أَصْبَحْتَ لَمْ تَحْمَدْ سُرَاكَا
فَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ ٱللَّيَالِي   وَقُلْ لِي إِنْ جَزِعْتَ فَمَا عَسَاكَا
أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْراً طَوِيلًا   وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَا
عَهِدْتُكَ[2] لَا تُطِيقُ ٱلصَّبْرَ عَنِّي   وَتَعْصِي فِي وِدَادِي مَنْ نَهَاكَا
فَكَيْفَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ ٱلسَّجَايَا   وَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي عَنِّي ثَنَاكَا[3]
فَلَا وَٱللهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْراً   فَكُلُّ ٱلنَّاسِ تَغْدُرُ مَا خَلَاكَا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعاً وَلٰكِنْ   دَهَاكَ مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ مَا دَهَاكَا
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي   وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي ٱنْفِكَاكَا
لَقَدْ حَكَمَتْ بِفُرْقَتِنَا ٱللَّيَالِي   وَلَمْ يَكُ عَنْ رِضَايَ وَلَا رِضَاكَا
فَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضُعْفِ حَالِي   وَكَانَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ فِدَاكَا

---

(١) السرى سير عامة الليل (٢) عرفتك (٣) صرفك

يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي أُفَتِّشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَا

وَلَمْ أَرَ فِي سِوَاكَ وَلَا أَرَاهُ شَمَائِلَكَ الْمِلَاحَ وَلَا حِلَاكَا

خَتَمْتُ عَلَى وِدَادِكَ فِي ضَمِيرِي وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُوماً هُنَاكَا

لَقَدْ عَجِلَتْ عَلَيْكَ يَدُ الْمَنَايَا وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صِبَاكَا

فَوَا أَسَفِي لِجِسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَا

وَمَا لِي أَدَّعِي أَنِّي وَفِيٌّ وَلَسْتُ مُشَارِكاً لَكَ فِي بَلَاكَا

تَمُوتُ وَلَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْناً وَحَقِّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَا

وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبٌّ وَلَمْ أَنْفَعْكَ فِي خَطْبٍ أَتَاكَا

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِي كَثِيراً وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مَنْ قَدْ تَبَاكَى[1]

فَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَراً بَعِيداً مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَا

جَزَاكَ اللهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَا

فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَا

سَقَاكَ الْغَيْثُ هَتَّاناً[2] وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَا

وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يَرِفُّ مَعَ النَّسِيمِ عَلَى ذَرَاكَا[3]

---

(١) تكلف البكاء (٢) الهتان الكثير الانسكاب (٣) الذرى فناء الدار ونواحيها ويريد به هنا القبر

ولابي السعادات الحسيني النحوي يرثي صديقاً له

كُلُّ حَيٍّ إلى ٱلْفَنَاءِ يَؤُولُ فَتزَوَّدْ إِنَّ ٱلْمُقَامَ قَلِيلُ
نَحنُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَضَّى جِيلٌ وَيَحْدُثُ جِيلُ[١]
وَكَأَنَّا فِي ذَاكَ رُكْبَانُ رَكْبٍ مُزْمِعٌ رُحْلَةً وَرَكْبٌ قَفُولُ[٢]
فَٱللَّيَالِي فِي صَرْفِهَا تَتلافَا نَا بِنُصْحٍ لَوْ أَنَّهُ مَقْبُولُ
كَيْفَ أَنْجُو مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ وَٱلشَّيْبُ بِفَوْدَيَّ صَارِمٌ مَسْلُولُ[٣]
أَيْنَ رَبُّ ٱلْإِيوَانِ كِسْرَى أَنُوشِرْ وَانُ مَلْكُ ٱلْمُلُوكِ غَالَتْهُ غُولُ[٤]
أَيْنَ مَنْ طَبَّقَتْ صَوَاهِلُهُ ٱلْأَرْ ضَ وَكَادَتْ لَهَا ٱلْجِبَالُ تَزُولُ
قَشَعَتْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ عَنِ ٱلْأَرْ ضِ كَمَا تَقْشَعُ ٱلْغُثَاءَ ٱلسُّيُولُ[٥]
وَلَقَدْ قَطَّعَ ٱلْقُلُوبَ وَأَذْرَى مِنْ مَصُونِ ٱلدُّمُوعِ رُزْءٌ جَلِيلُ[٦]
نَابَنَا فَهْوَ فِي ٱلْعُيُونِ سُهَادٌ دَائِمٌ وَهْوَ فِي ٱلْقُلُوبِ غَلِيلُ[٧]
مَنْ يَكُنْ صَبْرُهُ جَمِيلًا فَمَا صَبْرِي عَلَيْهِ يَا صَاحِبَيَّ جَمِيلُ
وَعَجِيبٌ أَنِّي أُعَزِّي مُحِبِّيهِ وَحَظِّي مِنَ ٱلْمُصَابِ جَزِيلُ

---

(١) الجيل الصنف من الناس ويطلق على اهل الزمان الواحد (٢) ازمع الامر اراده . والقفول الراجع من السفر (٣) فوديَّ مثنَّى فود وهو معظم شعر الرأس مما يلي الاذن (٤) غاله اهلكه واخذه من حيث لا يدري . والغول المصيبة (٥) قشعه فرَّقه وكشفه . والغثاء البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل (٦) اذرى الدمع صبه (٧) الغليل حرارة الحزن

صدى مصر

« من مرثاة لحافظ ابراهيم »

أَيَا قَبْرُ هٰذَا ٱلضَّيْفُ آمَالُ أُمَّةٍ   فَكَبِّرْ وَهَلِّلْ وَٱلْقَ ضَيْفَكَ جَاثِيَا
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ مُصْطَفَى   شَهِيدَ ٱلْعَلَا فِي زَهْرَةِ ٱلْعُمْرِ ذَاوِيَا[1]
وَيَا قَبْرُ لَوْ أَنَّا فَقَدْنَاهُ وَحْدَهُ   لَكَانَ ٱلتَّأَسِّي مِنْ جَوَى ٱلْحُزْنِ شَافِيَا
وَلٰكِنْ فَقَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ   وَهَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِي بِهِ ٱلدَّهْرُ ثَانِيَا
فَيَا سَائِلِي أَيْنَ ٱلْمُرُوءَةُ وَٱلْوَفَا   وَأَيْنَ ٱلْحِجَى وَٱلرَّأْيُ وَيْحَكَ هَاهِيَا
هَنِيئاً لَهُمْ فَلْيَأْمَنُوا كُلَّ صَائِحٍ   فَقَدْ أُسْكِتَ ٱلصَّوْتُ ٱلَّذِي كَانَ عَالِيَا
وَمَاتَ ٱلَّذِي أَحْيَا ٱلشُّعُورَ وَسَاقَهُ   إِلَى ٱلْمَجْدِ فَٱسْتَحْيَا ٱلنُّفُوسَ ٱلْبَوَاقِيَا
مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فَلَمْ أَجِدْ   وَإِنِّي أُجِيدُ ٱلْيَوْمَ فِيكَ ٱلْمَرَاثِيَا
يَمُوتُ ٱلْمُدَاوِي لِلنُّفُوسِ وَلَا يُرَى   لِمَا فِيهِ مِنْ دَاءِ ٱلنُّفُوسِ مُدَاوِيَا
شَهِيدَ ٱلْعُلَى مَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا   يَرِنُّ كَمَا قَدْ كَانَ بِٱلْأَمْسِ دَاوِيَا
يَهِيبُ بِنَا[2] هٰذَا بِنَاءٌ أَقَمْتُهُ   فَلَا تَهْدِمُوا بِٱللهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
فَرُوحِيَ فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ مُطِلَّةٌ   تُشَاهِدُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بَالِيَا
فَلَا تُحْزِنُوهَا بِٱلْخِلَافِ فَإِنَّنِي   أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْخِلَافِ ٱلدَّوَاهِيَا

(١) ذابلا   (٢) يدعونا وينادينا

أَجَلْ أَيُّهَا ٱلدَّاعِي إِلى ٱلْخَيْرِ إِنَّنَا عَلى ٱلْعَهْدِ مَادُمْنَا فَنَمْ أَنتَ هَانِيَاً
ثَنَاؤُكَ مَحْفُوظٌ وَطَيْفُكَ مَاثِلٌ وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ وَإِنْ كُنْتَ نَائِيا
عَهِدْنَاكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرُ أَنْ يُرَى أَخُو ٱلْبَأْسِ فِي بَعْضِ ٱلْمَوَاطِنِ بَاكِيا
فَرَخِّصْ لَنَا ٱلْيَوْمَ ٱلْبُكَاءَ وَفِي غَدٍ تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيا
فَيَا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ دَماً أَحْمَراً لَا كُنْتَ يَانِيلُ جَارِيَا
وَيَا أَهْلَ مِصْرٍ إِنْ جَهِلْتُمْ مُصَابَكُمْ ثِقُوا أَنَّ نَجْمَ ٱلسَّعْدِ قَدْ غَارَ[١] هَاوِيَا

ومن مرثاة لاسماعيل صبري باشا رثى بها اسماعيل ماهر بك
القاضي في المحكمة المختلطة

أَنَاعِيَ مَاهِرٍ لَمْ تَدْرِ مَاذَا أَثَرْتَ مِنَ ٱلشُّجُونِ ٱلْكَامِنَاتِ
نَعَيْتَ إِلَيَّ أَيَّاماً تَقَضَّتْ بِإِسْمَاعِيلَ غُرًّا صَافِيَاتِ
أَلَا مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا تَقَاضَى وَلَمْ يَرَ شَخْصَهُ بَيْنَ ٱلْقُضَاةِ
وَمَنْ لِلْعَدْلِ إِنْ رَفَعَتْ بُنَاةٌ دَعَائِمَهُ وَلَمْ يَكُ فِي ٱلْبُنَاةِ
فَمَا لِي وَٱلْأَنَاةُ مِلَاكُ نَفْسِي هَلِعْتُ وَلَمْ تُجَمِّلْنِي أَنَاتِي[٢]
وَمَا لِي إِنْ أُمِرْتُ بِبَعْضِ صَبْرٍ رَأَيْتُ ٱلصَّبْرَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ
أَمَاهِرُ كُنْتَ فِي مَا مَرَّ أُنْسِي فَمَنْ لِي فِي ٱللَّيَالِي ٱلْبَاقِيَاتِ
وَكُنْتَ إِذَا شَكَوْتُ تَبِيتُ وَجْداً تُرَدِّدُ مَا يُرِيبُكَ مِنْ شَكَاتِي[٣]

(١) عرب (٢) الملاك قوام الامر . وهلع جزع (٣) ارابه ازعجه

وَتَسْأَلُ سَارِيَ ٱلنَّسَمَاتِ عَنِّي حُنُوًّا وَٱلْبُرُوقَ ٱلْوَامِضَاتِ
وَمَنْ يَفْقِدْ شَبِيهَكَ يَبْكِ دُنْيَا تَوَلَّتْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْمِقَاتِ
كَذَبْتُكَ لَوْ صَدَقْتُكَ بَعْضَ وُدِّي لَهَدَّ جَوَانِبِي صَوْتُ ٱلنُّعَاةِ
بِرُغْمِي أَنْ تَقَلَّصَ مِنْكَ ظِلٌّ وَقَانِي حِقْبَةً لَفْحَ ٱلْحَيَاةِ[1]
وَأَنْ نَضَبَتْ خِلَالٌ كُنْتُ مِنْهَا أَعُبُّ لَدَيْكَ فِي عَذْبٍ فُرَاتِ[2]
أَخِي مَا حِيلَتِي إِلَّا سَلَامٌ يَزُورُكَ فِي ٱلْمَسَاءِ وَفِي ٱلْغَدَاةِ
وَإِلَّا ٱلدَّمْعُ أَنْثُرُهُ عَقِيقاً[3] عَلَى ذِكْرَى حِلَاكَ ٱلْغَائِبَاتِ
قَضَيْتَ فَكُنْتَ أَسْرَعَنَا مَسِيراً إِلَى غُرَفِ ٱلْجِنَانِ ٱلْعَالِيَاتِ

« وله من مرثاة يعزي بها سابا باشا عن فقد ولده فريد »

سَابَا ٱتَّقِ ٱللهَ وَخَلِّ ٱلْأَسَى لِجَاهِلٍ يُعْذَرُ فِي جَهْلِهِ
لَا تَكْتَرِثْ بِٱلرُّزْءِ وَٱنْهَضْ بِهِ فَٱلرَّأْيُ كُلُّ ٱلرَّأْيِ فِي حَمْلِهِ
مِثْلُكَ مَنْ يَلْجَأُ إِنْ رَاعَهُ يَوْمٌ بِمَكْرُوهٍ إِلَى عَقْلِهِ
قَضَى فَرِيدٌ وَهْوَ غَضُّ ٱلصِّبَا وَخَلَّفَ ٱلْحَسْرَةَ فِي أَهْلِهِ
وَقَابَلَتْهُ فِي ٱلْجِنَانِ ٱلْعُلَى مَلَائِكٌ لِلهِ فِي شَكْلِهِ
مَا لَهُ مِنْ غُصْنٍ مَا نَمَا حَتَّى ذَوَى وَٱجْتُثَّ مِنْ أَصْلِهِ[4]

(١) تقلص الظل انزوى وانضم ضد امتد. والحقبة المدة من الدهر. واللفح الاحراق (٢) نضب غار في الارض وذهب. وعبَّ شرب. والفرات العذب جدًا (٣) اي احمر كالعقيق (٤) ذوى ذبل. واجتث الشجر قطعه واقتلعه من اصله

سَابَا أَبِيكَ لَكِنْ كَالْحَكِيمِ الَّذِي ... يَخَافُ أَنْ يُطْعَنَ فِي نُبْلِهِ[1]
وَاصْبِرْ فَكَمْ مِنْ جَزَعٍ آكِلٍ ... مِنْ صِحَّةِ الْمَرْءِ وَمِنْ فَضْلِهِ
فَاللَّيْثُ لَا تُنْسِيهِ أَحْزَانُهُ ... مَقَامَهُ إِنْ ضِيمَ[2] فِي شِبْلِهِ

« ومن قصيدة لخليل مطران يعزيه بها ايضاً عن ولده »

مَا فِي الْأَسَى مِنْ تَفَتُّتِ الْكَبِدِ ... مِثْلُ أَسَى وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كَمْ بَطَلٍ عَاشَ وَهْوَ ذُو صَيَدٍ ... فَرَدَّهُ الثُّكْلُ غَيْرَ ذِي صَيَدِ[3]
أَهْوَنُ مِنْ رُزْئِهِ عَلَيْهِ أَذًى ... كِفَاحُ جَيْشٍ أَوْ مُلْتَقَى أَسَدِ
سَابَا لَكَ اللَّهُ وَهْوَ أَلْطَفُ مَنْ ... يَأْسُو[4] جَرِيحاً وَأَنْتَ ذُو رَشَدِ
إِنَّ قُلُوباً مُحِيطَةٌ بِكَ مِنْ ... كَرَامَةٍ سَاهَمَتْكَ[5] فِي الْكَمَدِ
لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ الْحَبِيبِ ذَوَى ... مُنْهَصِرَ الْغُصْنِ لَمْ يُنَلْ بِيَدِ
فِي عِزِّ مُلْكِ الصِّبَا وَحَاشِيَةٍ ... مِنْ غُرِّ آمَالِهِ بِلَا عَدَدِ

وقال الياس بك فياض يرثي « فتحي وصادقاً » الطيارين
العثمانيين في حفلة أقيمت لهما في بيروت

رُوحَي فَقِيدَيْنَا السَّلَامُ عَلَيْكُمَا ... أَبَداً جَوَانِحُنَا تَحِنُّ إِلَيْكُمَا
رَوَّعْتُمَا بَعْدَ السُّرُورِ قُلُوبَنَا ... أَللَّهُ فِي فَرَحٍ تَحَوَّلَ مَأْتَمَا
نَبَأٌ أَمَضَّ[6] الشَّامَ وَقْعُ مُصَابِهِ ... وَغَدَا يَفِيضُ النِّيلُ مِنْهُ تَأَلُّمَا

---

(١) النبل الفضل (٢) ظُلِم (٣) الثكل فقدان الولد . والصيدالكبرياء
(٤) أساه عزَّاه (٥) شاركتك (٦) اوجع واحرق

يَا مِصْرُ قَدْ صُغْتِ ٱلثَّنَاءَ مُنَظَّمًا(١) ... فَتَبَدَّلِي مِنْهُ ٱلْهَنَاءَ مُنَظَّمَا

إِنْ حَالَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ دُونَهُمَا فَقَدْ ... حَمَلَا إِلَيْكِ مَعَ ٱلصَّبَا رُوحَيْهِمَا

يَا أَيُّهَا ٱلْبَطَلَانِ حَسْبُكُمَا ٱلْعُلَى ... ذِكْرًا وَحَسْبُ ٱلْمَجْدِ أَنْ خَلَّدْتُمَا

حَلَّقْتُمَا حَتَّى ٱلنُّسُورُ جَوَافِلٌ ... جَزَعًا تُسَائِلُ أَيُّ طَيْرٍ أَنْتُمَا

وَزَحَمْتُمَاهَا بِٱلْمَنَاكِبِ زَحْمَةً ... فَغَدَتْ تَصِيحُ وَتَسْتَغِيثُ ٱلْأَنْجُمَا

وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا ... حَتَّى رَأَيْنَا مَشْهَدًا مَا أَعْظَمَا

قَمَرَانِ فِي وَسَطِ ٱلسَّمَاءِ تَلَاقَيَا ... عَطَفَ ٱلْهِلَالُ عَلَى ٱلْهِلَالِ مُسَلِّمَا(٢)

أَحْرَزْتُمَا لِلْجَيْشِ فَخْرًا بَاقِيًا ... وَفَتَحْتُمَا فَتْحًا أَجَلَّ وَأَكْرَمَا

وَأَبَيْتُمَا مَوْتًا كَمَا مَاتَ ٱلْوَرَى ... فَٱخْتَرْتُمَا كَبِدَ ٱلْعُلَى قَبْرَيْكُمَا

فَتَحِي أَطِلَّ مِنَ ٱلْعَلَاءِ مُكَذِّبًا ... مَنْ قَالَ إِنَّا أُمَّةٌ لَنْ تُقْدِمَا

مَنْ قَالَ إِنَّ ٱلشَّرْقَ شَعْبٌ غَافِلٌ ... لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ ٱلشُّعُوبِ تَقَدُّمَا

فَٱلْيَوْمَ قَدْ جَدَّدْتُمَا لِشَبَابِهِ ... عَهْدًا سَيُنْسِي عَهْدَهُ ٱلْمُتَصَرِّمَا

وَأَرَقْتُمَا لِلْعِلْمِ أَكْرَمَ مُهْجَةٍ ... كَانَتْ تُرَاقُ عَلَى ٱلْمَظَالِمِ قَبْلَمَا

فَلْيَغْدُ مَوْتُكُمَا حَيَاةَ شُعُوبِنَا ... وَلْيَمْحُ طِيبُ دِمَا كُمَا ذَاكَ ٱلدَّمَا

وَلْتُقْدِمَنَّ عَلَى ٱلْمَعَالِي مِثْلَمَا ... أَقْدَمْتُمَا لِنَنَالَ مَا قَدْ نِلْتُمَا

هٰذَا هُوَ ٱلدَّرْسُ ٱلْمُفِيدُ وَهٰذِهِ ... عِظَةُ ٱلزَّمَانِ فَهَلْ لَنَا ان نَعْلَمَا

مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ أَنْ يَمُوتَ مُكَرَّمًا ... هَيْهَاتَ يَعْرِفُ أَنْ يَعِيشَ مُكَرَّمَا

(١) يشير الى الحفلة التي اعدَّتها مصر لاستقبالهما (٢) يريد الهلال العثماني والقمر

رثاء سعد باشا زغلول

« قال خليل بك مطران من قصيدة »

لِيَنْتَشِرْ بَعْدَ طَيِّ ذٰلِكَ ٱلْعَلَمُ وَلْيَنْتَعِشْ أَمَلٌ يَكْبُو بِهِ ٱلْأَلَمُ
لَاخَطْبَ أَكْبَرُ مِمَّا رَاعَ أَثْبَتَكُمْ لٰكِنْ أُعِيذُكُمُ أَنْ تَضْعُفَ ٱلْهِمَمُ
ذَاكَ ٱللِّوَاءُ ٱلَّذِي لُفَّ ٱلرَّئِيسُ بِهِ زِيدَتْ لَهُ ٱلْيَوْمَ فِي أَعْنَاقِنَا ذِمَمُ
وَعَادَ أَوْلَى بِإِجْلَالٍ وَتَفْدِيَةٍ مِنْ حَيْثُ أُدْرِجَ فِيهِ ٱلْمُفْرَدُ ٱلْعَلَمُ
لَا تَأْخُذِ ٱلْغُمَّةُ ٱلْكُبْرَى مَآخِذَهَا مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تِلْقَاءَهَا ٱلْغُمَمُ
أَمَاتَ سَعْدٌ وَرُوحُ ٱلشَّعْبِ بَاقِيَةٌ وَٱلرَّأْيُ مُؤْتَلِفٌ وَٱلشَّمْلُ مُلْتَئِمُ
وَٱلرَّمْزُ بَاقٍ وَذَاكَ ٱلصَّوْتُ نَسْمَعُهُ مَهْمَا تَنَوَّعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ وَٱلْكَلِمُ
يَامِصْرُ خَطْبُكِ خَطْبُ ٱلشَّرْقِ أَجْمَعِهِ عَلَى ٱخْتِلَافِ بَنِيهِ وَٱلْأَسَى عَمَمُ
تَلَجْلَجَ ٱلْبَرْقُ إِذْ طَارَ ٱلنَّعِيُّ بِهِ وَٱسْتَشْعَرَتْ وَقْرَهُ ٱلْوَخَّادَةُ ٱلرُّسُمُ (١)
لَمْ تَشْهَدِ ٱلْعُرْبُ يَوْماً فِي فَوَادِحِهَا كَذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مَشْهُوداً وَلَا ٱلْعَجَمُ
قَضَى ٱلَّذِي كَانَ نَادِيهِ وَمَحْضَرُهُ قِلَادَةً لِكِرَامِ ٱلنَّاسِ تَنْتَظِمُ
إِذَا تَحَدَّثَ أَصْغَتْ كُلُّ جَارِحَةٍ إِلَيْهِ لَا ٱلْكَدُّ يَثْنِيهَا وَلَا ٱلسَّأَمُ

---

(١) اي النياق الوخّادة وهي المسرعة الخطو . والرُّسم جمع الرسوم وهي الناقة التي تؤثّر اخفافها في الارض من شدة الوطء

حَدِّثْ عَنِ ٱلْبَلْسَمِ ٱلشَّافِي يَمُرُّ بِهِ ... عَلَى ٱلْجِرَاحِ قَدِ ٱسْتَشْرَتْ فَتَلْتَئِمُ

حَدِّثْ عَنِ ٱلْبُلْبُلِ ٱلْغِرِّيدِ مُخْتَلِفاً ... بَيْنَ ٱلْأَفَانِينِ مِنْ تَطْرِيبِهِ ٱلنَّغَمُ

يَسُوسُ كُلًّا بِأَجْدَى مَا يُسَاسُ بِهِ ... وَيَتَّقِي جُهْدَهُ أَنْ تُقْطَعَ ٱلرَّحِمُ

وَمَا يَغُضُّ عَنِ ٱلْمَلْهُوفِ نَاظِرَهُ ... وَمَا بِهِ عَنْ نِدَاءِ ٱلْمُعْتَفِي صَمَمُ [1]

مَنْ لِلرُّقِيِّ بِنَهَّاضٍ كَنَهْضَتِهِ ... مَاضِي ٱلْعَزِيمَةِ لَا تَكْبُو بِهِ قَدَمُ

تُرْعَى لَهُ حُرْمَةٌ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ ... سَمَا إِلَيْهَا وَتُرْعَى عِنْدَهُ ٱلْحُرَمُ

أَعْدَاءُ أَوْطَانِهِ أَعْدَاؤُهُ جَهِلُوا ... عَلَيْهِ فِي وَقَفَاتِ ٱلصِّدْقِ أَوْ حَلُمُوا

إِنْ عَاهَدُوهُ بِإِنْصَافٍ فَذَاكَ وَإِنْ ... أَبَوْا فَمَا أَمْرُهُ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَمُ [2]

تَضُمُّهُ وَٱلرِّفَاقَ ٱلْمُقْتَدِينَ بِهِ ... عُرَى يَقِينٍ مَتِينٍ لَيْسَ تَنْفَصِمُ

وَمَا صَحَابَتُهُ إِلَّا شُيُوخُ نُهًى ... إِنْ سُوهِمُوا فِي مَجَالَاتِ ٱلْعُلَى سَهَمُوا [3]

وَفِتْيَةٌ نُجُبٌ صُيَّابَةٌ غُلُبٌ [4] ... وَافُونَ إِنْ وَعَدُوا مَاضُونَ إِنْ عَزَمُوا

بَرُّوا بِمَا أَقْسَمُوا طَوْعاً لِأَنْفُسِهِمْ ... فَكَانَ آيَةَ فَتْحٍ ذٰلِكَ ٱلْقَسَمُ

سَارُوا بِإِمْرَتِهِ وَٱلْحَقُّ رَائِدُهُمْ ... فَمَا يُرَى وَكَلٌ فِيهِمْ وَلَا بَرِمُ [5]

رَأَوْا بِهِ ٱلْمَثَلَ ٱلْأَعْلَى بِأَبْعَدَ مَا ... سَمَتْ إِلَى شَأْوِهِ ٱلْأَبْطَالُ وَٱلْبُهَمُ [6]

---

(١) اعتفاه اتاه يطلب معروفه (٢) قريب (٣) ساهمهُ قارعهُ ويريد بالمساهمة هنا المسابقة . وسهمه غلبه في المساهمة (٤) صيَّابة القوم خيارهم والغُلْب جمع الاغلب وهو الاسد حرَّك عينه هنا للضرورة (٥) الوكل العاجز الذي يكل اموره الى غيره والبرِم الضجِر (٦) جمع البهمة وهو الشجاع الذي لا يُدرى من اين يؤتى لشدة بأسه

أَعظِمْ بِهِ إِذ تَوَلَّى ٱلأَمرَ أَجمعَهُ ... وَرَأْيُهُ فِيهِ مَاضٍ مَا بِهِ ثُلَمُ
وَيَوْمَ رُدَّتْ عَلى ٱلدُّستُورِ هَيبَتُهُ ... بِفَضْلِهِ وَٱستَعَادَتْ شَأْنَهَا ٱلنُّظُمُ
دَعَاهُ دَاعِيهِ بِٱلشَّيخِ ٱلجَلِيلِ وَمَا ... وَٱللهِ أَدرَكَهُ فِي ٱلهِمَّةِ ٱلهَرَمُ
بَيْنَا بِهِ سَقَمٌ يُوهِي عَزِيمَتَهُ ... إِذَا ٱلعَزِيمَةُ صَحَّتْ وَٱنتَفَى ٱلسَّقَمُ
بِٱلأَمسِ أُمَّتُهُ مِنْ بَيْتِهِ ٱتَّخَذَتْ ... بَيْتاً بِهِ تَلْتَقِي آناً وَتَعتَصِمُ
وَٱليَومَ شَادَتْ لَهُ قَبراً بِجَانِبِهِ ... فَجَاوَرَ ٱلرَّوْضَةَ ٱلقُدسِيَّةَ ٱلحَرَمُ
تَنَافَسَ ٱلنَّابِغُونَ ٱلقَائِمُونَ بِهِ ... حَتَّى ٱزْدَرَى كُلَّ صَرحٍ ذٰلِكَ ٱلرَّجَمُ (١)
وَلَوْ أَطَاعُوا هَوَاهُمْ فِي تَجِلَّتِهِ ... لَكَانَ دُونَ ٱلَّذِي يَبْنُونَهُ ٱلهَرَمُ
مَا مِنْ عَظِيمٍ سِوَى سَعْدٍ أُتِيحَ لَهُ ... فِي ٱلنَّاسِ حَيّاً وَمَيْتاً ذٰلِكَ ٱلعِظَمُ

وقال بشاره عبدالله الخوري « صاحب البرق » من قصيدة في رثائه

قَالُوا دَهَتْ مِصرَ دَهْيَاءُ فَقُلْتُ لَهُمْ ... هَلْ غِيضَ ٱلنِّيلُ أَمْ هَلْ زُلْزِلَ ٱلهَرَمُ
قَالُوا أَشَدُّ وَأَدْهَى قُلْتُ وَيحَكُمُ ... إِذاً لَقَدْ مَاتَ سَعْدٌ وَٱنطَوَى ٱلعَلَمُ
لِمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ ٱلعُرْبَ قَاطِبَةً ... تَيَتَّمُوا كَانَ زَغلُولٌ أَباً لَهُمُ
لِمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ ٱلغَربَ مُضطَرِبٌ ... لِمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ ٱلشَّرقَ مُضطَرِمُ
عَذَرْتُكُمْ كَانَ مِلْءَ ٱلكَوْنِ صَاحِبُكُمْ ... فَكَيفَ تَملَأُ أُذْنَ ٱلسَّامِعِ ٱلكَلِمُ

---

(١) الرَّجمُ القبر

جَاءَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلٍ فَمَا لَأَمُوا
وَجَاءَ سَعْدٌ فَشَمْلُ ٱلشَّرْقِ مُلْتَئِمُ

يَطْوِي ٱلضُّلُوعَ عَلى جُرْحٍ إِذَا نُكِئَتْ
إِحْدَى حَوَاشِيهِ عَمَّ ٱلْمَشْرِقَ ٱلْأَلَمُ

كَأَنَّ سِلْكاً مِنَ ٱلْكَهْرَابِ يُمْسِكُهُ
سَعْدٌ عَلى طَرَفَيْهِ ٱلْعُرْبُ وَٱلْعَجَمُ

إِنْ أَنَّ أَنَّتْ لَهُ بَغْدَادُ وَٱنْخَلَعَتْ
لَهُ دِمَشْقُ وَرَاحَ ٱلْبَيْتُ يَلْتَطِمُ

أَلْقَائِلُ ٱلْحَقَّ لَا تُثْنَى عَزَائِمُهُ
وَٱلْوَاحِدُ ٱلْفَرْدُ فِي أَثْوَابِهِ أُمَمُ

رِجَالَ مِصْرٍ شَفِيعِي إِنْ عَتَبْتُكُمُ
أَنَّ ٱلْمُحِبَّ لَدَيْكُمْ لَيْسَ يُتَّهَمُ

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي تَحَزُّبِكُمْ
أَنْ تَنْصُرُوا ٱلْخَصْمَ وَهْوَ ٱلْخَصْمُ وَٱلْحَكَمُ

تَوَحَّدُوا بِٱسْمِ مِصْرٍ فِي تَجَهُّمِهَا
وَطَالِعُوا ثَغْرَ مِصْرٍ كَيْفَ يَبْتَسِمُ

سَعْدٌ أَرَادَكُمُ حِلْفاً فَلَا قُسِمَتْ
أَجْزَاؤُكُمْ حُبُّ مِصْرٍ لَيْسَ يَنْقَسِمُ

أَوْطَانُكُمْ وَهِيَ أَعْرَاضٌ مُطَهَّرَةٌ
فَخَبِّرُوا «ٱلْقَوْمَ» عَنْهَا إِنَّهَا حَرَمُ
وَلَقِّنُونَا جِهَادَ ٱلْمُخْلِصِينَ لَهَا
(فَإِنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ [1])
مَنْ مُبْلِغٌ مِصْرَ عَنَّا مَا نُكَابِدُهُ
إِنَّ ٱلْعُرُوبَةَ فِيمَا بَيْنَنَا ذِمَمُ
رُكْنَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُفْصَمْ عُرَى لَهُمَا
هُمْ نَحْنُ إِنْ رُزِئَتْ يَوْماً وَنَحْنُ هُمُ
فِي قَلْبِ لُبْنَانَ جُرْحٌ لَا ٱنْدِمَالَ لَهُ
لٰكِنَّهُ بِجَمِيلِ ٱلصَّبْرِ يَعْتَصِمُ

(١) قريب

الباب الثالث عشر

في اللغة

مقتطف من كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد

في العلم والعلماء

يُقالُ : فُلَانٌ مِنْ ذَوِي ٱلعِلْمِ . وَمِنْ حَمَلَةِ ٱلعِلْمِ . وَمِنْ أُولِي ٱلعِرْفانِ وَأَهْلِ ٱلتَّحْصِيلِ .

وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلعُلَماءِ ٱلمُحَقِّقِينَ وَمِنَ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلعِلْمِ وَمِنْ ذَوِي ٱلبَسْطَةِ فِي ٱلعِلْمِ وَذَوِي ٱلعِلْمِ ٱلوَاسِعِ

وَهُوَ عَالِمُ أُمَّتِهِ وَعَالِمُ عَصْرِهِ وَأَوْحَدُ زَمانِهِ

وَهُوَ قُطْبُ أَهْلِ ٱلعِلْمِ وَعَمِيدُهُمْ وَزَعِيمُهُمْ وَإِمامُهُمْ .

وَتَقُولُ : فُلَانٌ بَحْرُ ٱلعِلْمِ ٱلزَّاخِرُ وَبَدْرُ ٱلعُلَماءِ ٱلزَّاهِرُ ، وَٱلَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي ٱلمُشْكِلاتِ وَيُسْتَصْبَحُ بِضَوْئِهِ فِي ٱلمُعْضِلاتِ

وَيُقالُ : تَضَلَّعَ فُلانٌ مِنَ ٱلعِلْمِ وَتَبَحَّرَ فِيهِ وَٱسْتَبْحَرَ وَتَعَمَّقَ وَتَبَسَّطَ وَأَوْغَلَ فِي ٱلبَحْثِ وَأَمْعَنَ فِي ٱلتَّنْقِيبِ وَتَقَصَّى فِي ٱلتَّدْقِيقِ

وَقَدِ ٱسْتَبْطَنَ دَخائِلَ ٱلعِلْمِ وَٱسْتَجْلَى غَوامِضَهُ وَخاضَ عُبابَهُ وَغاصَ عَلَى أَسْرارِهِ وَأَحْصَى مَسائِلَهُ وَٱسْتَقْرَى دقائِقَهُ وَٱسْتَخْرَجَ مُخَبَّآتِهِ وَمَحَّصَ حَقائِقَهُ وَوَقَفَ عَلَى أَغْراضِهِ وَجَمَعَ أَشْتاتَهُ وَٱسْتَقْصَى أَطْرافَهُ وَاحاطَ بِأُصولِهِ وَفُرُوعِهِ

وَهُوَ حُجَّةٌ فِي عِلْمِ كَذا وَهُوَ عالِمُ فَنِّهِ وَواحِدُ فَنِّهِ . وَقَدِ ٱنْتَهَتْ إِلَيْهِ ٱلرِّئاسَةُ فِي عِلْمِ كَذا . وَهُوَ فِيهِ راسِخُ ٱلقَدَمِ طَوِيلُ ٱلبَاعِ غَزِيرُ ٱلمَادَّةِ واسِعُ ٱلإِطِّلاعِ . وَإِنَّهُ لَبَحْرٌ لا يُسْبَرُ غَوْرُهُ

وَيُقالُ : فُلانٌ مِنْ طَلَبَةِ ٱلعِلْمِ وَمِمَّنِ ٱنْقَطَعَ لِطَلَبِهِ وَتَخَلَّى لَهُ وَقَصَرَ عَلَيْهِ نَفْسَهُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ جُهْدَهُ وَأَنْفَقَ أَوْقاتَهُ عَلى طَلَبِهِ

وَيُقالُ : قَدْ حَذَقَ عِلْمَ كَذا وَمَهَرَ فِيهِ وَأَتْقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ وَمَلَكَ عِنانَهُ وَمَلَكَ قِيادَهُ وَتَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَوْضِعاً جَلِيلًا . وَأَصْبَحَ مِمَّنْ يُشارُ إِلَيْهِ بِٱلبَنانِ

وَتَقُولُ : طَلَبْتُ ٱلعِلْمَ عَلى فُلانٍ وَدَرَسْتُهُ عَلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ عَنْهُ وَٱقْتَبَسْتُهُ عَنْهُ وَتَلَقَّيْتُهُ عَنْهُ وَتَلَقَّنْتُهُ مِنْهُ . وَقَدْ تَأَدَّبْتُ عَلَيْهِ وَتَخَرَّجْتُ عَلَيْهِ وَأَنا خِرِّيجُهُ

وَيُقالُ : شَدا فُـلانٌ فِي عِلْمِ كَذا وَشَدا شَيْئاً مِنَ ٱلعِلْمِ إِذا أَخَـذَ طَرَفاً مِنْهُ

وَتَقُولُ : فُلانٌ فَنُّـهُ عِلْمُ كَذا إِذا كانَ ٱلعِلْمُ ٱلَّذِي ٱنْصَرَفَ إِلَيْهِ وَأَحْكَمَهُ . وَهُوَ مُشارِكٌ فِي عِلْمِ كَذا إِذا كانَ لَهُ ٱطِّـلاعٌ عَلى شَيْءٍ مِنْ مَباحِثِهِ وَأُصُولِهِ عَلاوَةً عَلى فَنِّهِ ٱلمَخْصُوصِ بِهِ . وَلَهُ إِلْمامٌ بِفَنِّ كَذا وَهُوَ ٱلعِلْمُ ٱليَسِيرُ بِشَيْءٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِهِ .

في التأليف

تَقُولُ : هٰذا كِتابٌ غَزِيرُ ٱلمَادَّةِ جَزِيلُ ٱلمَباحِثِ جَمُّ ٱلفَوائِدِ سَدِيدُ ٱلمَنْهَجِ قَرِيبُ ٱلمَنالِ سَهْلُ ٱلأُسْلُوبِ عَذْبُ ٱلمَوْرِدِ . وَقَدْ تَصَفَّحْتُ مُؤَلَّفَ كَذا فَإِذا هُوَ كِتابٌ أَنِيقٌ حَسَنُ ٱلدِّيباجَةِ مُحْكَمُ ٱلوَضْعِ مُتَناسِقُ ٱلتَّبْوِيبِ

وَقَدْ طُوِيَ عَلى كَذا باباً وَكُسِرَ عَلى كَذا باباً

وَهوَ كِتابٌ فَرِيدٌ فِي فَنِّهِ جامِعٌ لِشَتِيتِ الفَوائِدِ وَمَنْثُورِ المَسائِلِ . قَدِ اسْتَوْعَبَ أُصولَ هٰذا العِلْمِ وَأَحاطَ بِفُرُوعِهِ . لَمْ يُصَنَّفْ فِي بابِهِ أَجْمَعُ مِنْهُ وَلا أَرْصَفُ تَعْبِيراً . وَقَدْ نُزِّهَ عَنِ التَّعْقِيدِ وَالإِشْكالِ وَالإِبْهامِ وَاللَّبْسِ وَالخَلَلِ وَاللَّغْوِ وَالحَشْوِ وَالرَّكاكَةِ

وَتَقُولُ : هٰذا مُؤَلَّفٌ مُخْتَصَرٌ وَجِيزٌ وَمُوجَزٌ جَزْلُ التَّعْبِيرِ حَسَنُ التَّفْرِيعِ لِلمَسائِلِ مُتَتابِعُ النَّسَقِ . وَقَدْ لُخِّصَتْ فِيهِ قَواعِدُ العِلْمِ أَحْسَنَ تَلْخِيصٍ وَحُرِّرَتْ مَسائِلُهُ أَحْسَنَ تَحْرِيرٍ . وَعَلَيْهِ شَرْحٌ لَطِيفٌ كافِلٌ بِبَيانِ غامِضِهِ وَإِيضاحِ مُبْهَمِهِ وَتَفْصِيلِ مُجْمَلِهِ وَبَسْطِ مُوجَزِهِ وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهِ

في الفصاحة

تَقُولُ : هٰذا كَلامٌ فَصِيحٌ مُحَبَّرٌ مُهَذَّبُ اللَّفْظِ مُنَقَّحُ العِبارَةِ مُحْكَمُ السَّبْكِ . لَمْ تَعْلَقْ بِهِ رَكاكَةٌ وَلا ظِلٌّ عَلَيْهِ لِلابْتِذالِ

وَهٰذا كَلامٌ عَلَيْهِ طابَعُ الفَصاحَةِ وَعَلَيْهِ مِيسَمُ الفَصاحَةِ وَرَوْنَقُ الفَصاحَةِ وَقَدْ خَلَعَتْ عَلَيْهِ الفَصاحَةُ زُخْرُفَها . وَقَدْ أُفْرِغَ فِي قالَبِ الفَصاحَةِ وَنُسِجَ عَلى مِنْوالِ الفَصاحَةِ وَطُبِعَ عَلى غِرارِ الفَصاحَةِ

وَتَقُولُ : فُلانٌ مَطْبُوعٌ عَلى جَزالَةِ الأَلْفاظِ وَفَخامَةِ الأَسالِيبِ . وَهٰذا كَلامٌ رَقِيقٌ رَشِيقٌ سَلِسٌ مَأْنُوسٌ رَخِيمٌ رَقِيقُ الحَواشِي حَسَنُ الانْسِجامِ عَذْبُ المَوْرِدِ سائِغُ المَوْرِدِ يَفْعَلُ بِالأَلْبابِ فِعْلَ السُّلافِ .

وَتَقُولُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : هٰذا كَلامٌ نافِرٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَيْهِ جَفْوَةُ الأَعْرابِ وَخُشُونَةُ الجاهِلِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَكَلامٌ فَجٌّ عَلى الذَّوْقِ ثَقِيلٌ عَلى السَّمْعِ ثَقِيلٌ

عَلى ٱلْأَلسِنَةِ . وَإِنَّهُ لَتَمُجُّهُ ٱلْأَسْماعُ وَتَتَبْرَعَنْهُ ٱلْأَسْماعُ وَتَسْتَكُّ مِنْهُ ٱلْآذانُ .
قَدْ تَجافَى عَنْ مَضاجِعِ ٱلرِّقَّةِ وَمَذاهِبِ ٱلسَّلاسَةِ

وَتَقُولُ : هٰذِهِ لُغَةٌ مَهْجُورَةٌ وَلُغَةٌ وَحْشِيَّةٌ

وَتَقُولُ : هٰذا كَلامٌ رَكِيكٌ سَخِيفٌ سَقِيمٌ ساقِطٌ مُبْتَذَلٌ عامِّيُّ ٱلْأَلْفاظِ
سُوقِيُّ ٱلْأَلفاظِ

وَإِنَّهُ لَكَلامٌ تَنْفِيهِ ٱلْآذانُ وَتَمُجُّهُ ٱلْأَذْواقُ ٱلسَّلِيمَةُ . وَإِنَّهُ لَمِمَّا يَدُلُّ
عَلى خِفَّةِ ٱلبِضاعَةِ وَتَزارَةِ ٱلمادَّةِ . وَإِنَّما هُوَ مِنْ سَقَطِ ٱلْمَتاعِ .

وَتَقُولُ فِي وَصْفِ ٱلْمُتَكَلِّمِ : رَجُلٌ لَسِنٌ وَمِلْسانٌ وَمِنْطِيقٌ وَمُفَوَّهٌ .
فَصِيحُ ٱللَّفْظِ فَصِيحُ ٱللَّهْجَةِ فَصِيحُ ٱلْمَنْطِقِ طَلِيقُ ٱللِّسانِ حَدِيدُ ٱللِّسانِ
ذَلِيقُ ٱللِّسانِ ذَرِبُ ٱللِّسانِ عَضْبُ ٱللِّسانِ . حُرُّ ٱلْمَنْطِقِ حُرُّ ٱلْكَلامِ بَيِّنُ
ٱللَّهْجَةِ حَسَنُ ٱلسَّبْكِ أَنِيقُ ٱللَّفْظِ سَلِيمُ ٱلْمَلَكَةِ سَلِيمُ ٱلذَّوْقِ لَطِيفُ ٱلذَّوْقِ
بَصِيرٌ بِٱخْتِيارِ ٱلْأَلْفاظِ عَلِيمٌ بِمَواقِعِ ٱلْكَلِمِ

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ : هُوَ رَجُلٌ كَلِيلُ ٱللِّسانِ بَطِيءُ ٱلْمَنْطِقِ .
وَقَدِ ٱحْتَبَسَ لِسانُهُ عَنِ ٱلنُّطْقِ وَٱعْتَقَلَ عَنِ ٱلْكَلامِ . وَفِي مَنْطِقِهِ حُبْسَةٌ
وَعُقْلَةٌ وَعُقْدَةٌ .

في البلاغة

يُقالُ : فُلانٌ قَدْ قَبَضَ عَلى أَزِمَّةِ ٱلْبَلاغَةِ وَمَلَكَ أَعْناقَ ٱلْمَعانِي
وَسُخِّرَتْ لَهُ ٱلْأَلْفاظُ وَأُوتِيَ فَصْلَ ٱلْخِطابِ وَأُوتِيَ جَوامِعَ ٱلْكَلِمِ وَنَوابِغَ
ٱلْحِكَمِ . وَهُوَ مِنْ أُمَراءِ ٱلْكَلامِ ، وَإِنَّ كَلامَهُ لَيَأْخُذُ بِمَجامِعِ ٱلْقُلُوبِ ،
وَإِنَّ كَلامَهُ ٱلْخَمْرُ أَوْ أَعْذَبُ وَإِنَّ بَيانَهُ ٱلسِّحْرُ أَوْ أَغْرَبُ . وَإِنَّهُ لَآيَةٌ مِنْ

آياتِ ٱللهِ فِي بَلاغَةِ ٱلتَّعبيرِ .

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ: فُلانٌ عَيِيُّ ٱللِّسانِ حَصِرُ ٱللِّسانِ كَلِيلُ ٱلذِّهْنِ بَلِيدُ ٱلطَّبعِ مَيِّتُ ٱلحِسِّ جامِدُ ٱلقَرِيحَةِ خامِدُ ٱلفِكْرَةِ وَهُوَ غَثُّ ٱلكَلامِ سَقِيمُ ٱلأَداء مُنحَطٌّ عَنْ مَقاماتِ ٱلبُلَغاء . قَدْ مَلَكَتْ لِسانَهُ ٱلرَّكاكَةُ وَمَلَكَ ذِهْنَهُ ٱلعِيُّ .

في الخَطابة

يُقالُ: فُلانٌ خَطِيبٌ مِصقَعٌ قَوِيُّ ٱلعارِضَةِ رَحِيبُ ٱلمَجالِ بَعِيدُ ٱلغايَةِ بَعِيدُ ٱلأَمَدِ مَصقُولُ ٱلخاطِرِ سَمْحُ ٱلقَرِيحَةِ حَسَنُ ٱلبَيانِ عَذْبُ ٱلمَنطِقِ نَدِيُّ ٱلصَّوْتِ .

وَإِنَّهُ لَسَرِيعُ ٱلخاطِرِ حاضِرُ ٱلذِّهْنِ لا يَتَلَعْثَمُ وَلا يَتَوَقَّفُ . إِذا تَكَلَّمَ مَلأَ ٱلأَسماعَ وَٱلقُلُوبَ

وَإِنَّ فُلاناً لَمُحَدَّثٌ بِما فِي ٱلقُلُوبِ صادِقُ ٱلفِراسَةِ بِما فِي ٱلضَّمائِرِ كَأَنَّهُ كُوشِفَ بِمُغَيَّباتِ ٱلصُّدُورِ وَٱطَّلَعَ عَلى ما تُكِنُّ أَحناءُ ٱلضُّلُوعِ . وَكَأَنَّهُ يَنظُرُ إِلى ٱلغَيبِ مِنْ سِتْرٍ رَقِيقٍ . وَقَدْ فَجَّرَ ٱللهُ يَنابِيعَ ٱلحِكْمَةِ عَلى لِسانِهِ وَتَدَفَّقَتْ سُيُولُ ٱلبَلاغَةِ عَلى لِسانِهِ . إِذا أَفاضَ فِي كَلامِهِ مَلَكَ أَعِنَّةَ ٱلقُلُوبِ وَرَدَّ شارِدَ ٱلأَهواء وَقادَ حَرُونَ ٱلشَّهَواتِ وَقَوَّمَ زَيْغَ ٱلنُّفُوسِ وَخَشَعَتْ لَهُ ٱلأَبصارُ وَسَكَنَتِ ٱلجَوارِحُ وَخَفَقَتِ ٱلأَفئِدَةُ

وَيُقالُ: خَطَبَ فُلانٌ فِي ٱلقَوْمِ وَقامَ فِيهِمْ خَطِيباً . وَقَدِ ٱرتَجَلَ ٱلخُطْبَةَ وَٱقتَضَبَها وَٱبتَدَهَها إِذا قالَها مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَيِّئَها

وَيُقالُ : قَدْ أَطالَ عِنانَ ٱلقَوْلِ وَٱمتَدَّ بِهِ نَفَسُ ٱلكَلامِ .

وَيُقالُ : صَعِدَ فُلانٌ ٱلمِنبَرَ فَأُرْتِجَ عَلَيْهِ إذا ٱسْتَغْلَقَ عَلَيْهِ ٱلكَلامُ

وَيُقالُ فِي ٱلذَّمِّ : فُلانٌ مُتَشَدِّقٌ ثَرْثارٌ مِهْذارٌ غَثُّ ٱلمَنْطِقِ تَفِهُ ٱلكَلامِ . وَإِنَّهُ لَيَمْلَأُ فاهُ بِٱلهَذَرِ وَيَتَنَطَّعُ بِفُضُولِ ٱلقَوْلِ . إذا تَكَلَّمَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْهُ ٱلوُجوهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ ٱلقُلوبُ وَٱنقَبَضَتْ مِنْهُ ٱلصُّدورُ وَسَئِمَتْهُ ٱلنُّفوسُ

في الكتابة والانشاء

يُقالُ : فُلانٌ رَشِيقُ ٱللَّفظِ مُنَمَّقُ ٱلعِبارَةِ بَدِيعُ ٱلإِنْشاءِ صَحِيحُ ٱلدِّيباجَةِ حَسَنُ ٱلتَّحْبِيرِ حَسَنُ ٱلتَّرَسُّلِ

وَهُوَ مِنْ صاغَةِ ٱلكَلامِ وَإِنَّهُ لَجَيِّدُ ٱلسَّبْكِ حَسَنُ ٱلصِّياغَةِ مَصْقُولُ ٱلعِبارَةِ حُرُّ ٱللَّفظِ سَهْلُ ٱلأُسْلُوبِ مُنسَجِمُ ٱلتَّراكِيبِ مُهَذَّبُ ٱلعِبارَةِ مَطْبُوعٌ عَلى ٱلبَيانِ لَطِيفُ ٱلمَداخِلِ وَٱلمَخارِجِ . قَدْ أُنْزِلَتِ ٱلفَصاحَةُ عَلى قَلَمِهِ

وَإِنَّهُ لَمِنْ أَغْزَرِ ٱلكُتَّابِ مادَّةً وَأَطْوَلِهِمْ باعاً وَأَوْسَعِهِمْ مَجالًا وَأَسْرَعِهِمْ خاطِراً

وَإِنَّ فُلاناً لَمِنْ أَكابِرِ ٱلكُتَّابِ وَمِنْ مَشاهِيرِ ٱلمُتَرَسِّلِينَ وَمِنْ نُخْبَةِ ٱلكُتَّابِ ٱلمُجِيدِينَ . وَهُوَ مُجَلِّي هٰذِهِ ٱلحَلْبَةِ وَهُوَ مُحِيطٌ بِأَسْرارِ ٱلبَلاغَةِ مُتَبَحِّرٌ فِي ضُرُوبِ ٱلإِنْشاءِ . لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ طَرائِفِ ٱلكَلامِ وَلَطائِفِهِ وَنَوادِرِهِ وَنِكاتِهِ . مُتَبَحِّرٌ فِي مَعْرِفَةِ مُفْرَداتِ ٱللُّغَةِ عارِفٌ بِفَصِيحِها وَرَكِيكِها وَمَأْنُوسِها وَغَرِيبِها

وَإِنَّهُ يَتَعَهَّدُ كَلامَهُ وَيُبالِغُ فِي تَنْقِيحِهِ وَتَصْحِيحِهِ وَتَحْرِيرِهِ وَتَحْبِيرِهِ وَتَهْذِيبِهِ . لا تَرَى فِي كَلامِهِ رَكاكَةً وَلَا غَثاثَةً وَلَا سَخافَةً وَلَا قَلَقاً وَلَا تَعَسُّفاً وَلَا تَكَلُّفاً وَلَا مُنافَرَةً

وَيُقالُ فِي ٱلذَّمِ : فُلانٌ مِنْ ضَعَفَةِ ٱلكُتَّابِ سَقِيمُ ٱلعِبارَةِ سَخِيفُ ٱلكَلامِ . مُتَطَفِّلٌ عَلى مَوائِدِ ٱلكَتَبَةِ مُنْحَطٌّ عَنْ طَبَقَةِ ٱلمُجِيدِينَ بَعِيدٌ عَنْ مَذاهِبِ ٱلبُلَغاءِ . مُبْتَذَلُ ٱللَفظِ مُبْتَذَلُ ٱلتَّراكِيبِ يَحُومُ حَولَ ٱلمَعانِي ٱلمَطْرُوقَةِ ضَعِيفُ ٱلنَّقْدِ . لَمْ يَرْتَضِعْ أَخْلافَ ٱلفَصاحَةِ . وَقَدْ أَلِفَ مَضاجِعَ ٱلرَّكاكَةِ . جُلُّ بِضاعَتِهِ ما يَنْسَخُهُ مِنْ كَلامِ ٱلفُصَحاءِ وَيَمْسَخُهُ مِنْ أَلفاظِ مُتَقَدِّمِي ٱلكُتَّابِ يُفْرِغُهُ فِي قالَبٍ مِنْ أُسْلُوبِهِ تَتَعاوَرُهُ ٱلرَّكاكَةُ وَيُشَوِّهُهُ ٱللَّحْنُ وَلَا يَرْجِعُ إِلى ذَوْقٍ وَلا يُمَحِّصُهُ نَقْدٌ .

في الشعر

يُقالُ : فُلانٌ شاعِرٌ مُتَفَنِّنٌ مُفْلِقٌ بَلِيغٌ عَزِيزُ ٱلمَذْهَبِ بَعِيدُ ٱلغايَةِ رَفِيعُ ٱلطَّبَقَةِ مُتَصَرِّفٌ فِي فُنُونِ ٱلشِّعْرِ . وَهُوَ أَشْعَرُ أَهلِ عَصْرِهِ . وَهُوَ شاعِرٌ بِٱلطَّبْعِ وَشاعِرٌ مَطْبُوعٌ رَصِينُ ٱلشِّعْرِ جَيِّدُ ٱلنَّظْمِ جَيِّدُ ٱلحَبْكِ صَحِيحُ ٱلسَّبْكِ مَلِيحُ ٱلدِّيباجَةِ حَسَنُ ٱلوَشْيِ شائِقُ ٱللَّفظِ رَشِيقُ ٱلمَعْنَى دَقِيقُ ٱلمَعْنَى دَقِيقُ ٱلفِكْرِ لَطِيفُ ٱلتَّخَيُّلِ نَبِيهُ ٱلأَغْراضِ شَرِيفُ ٱلمَعانِي واضِحُ ٱلمَنْهَجِ سَدِيدُ ٱلمَسْلَكِ . لَيسَ فِي شِعْرِهِ تَكَلُّفٌ وَلا تَعَمُّلٌ وَلا ٱرْتِباكٌ وَلا تَعْقِيدٌ وَلا غُمُوضٌ وَلا ٱلتِباسٌ . وَلَيسَ فِيهِ حَشْوٌ وَلا لَغْوٌ . وَلا تَرى فِي قَوافِيهِ قَلَقاً وَلا ضَعْفاً وَلا نُفُوراً

وَفُلانٌ مِنْ حاكَةِ ٱلشِّعْرِ وَصاغَةِ ٱلشِّعْرِ وَصاغَةِ ٱلقَرِيضِ وَرُوَّاضِ ٱلقَوافِي . وَإِنَّ لَهُ شِعْراً كَثِيرَ ٱلطَّلاوَةِ كَثِيرَ ٱللَّطائِفِ وَٱلمُلَحِ وَٱلنُّكَتِ وَٱلبَدائِعِ وَٱلطُّرَفِ . وَإِنَّ شِعْرَهُ لَيَتَدَفَّقُ طَبْعاً وَسَلاسَةً . حَسَنُ ٱلمَطالِعِ وَٱلمَقاطِعِ لَطِيفُ ٱلكِناياتِ بَدِيعُ ٱلٱسْتِعاراتِ

وَإِنَّهُ لَيَرُوضُ ٱلْقَوَافِي ٱلصَّعْبَةِ وَيَغُوصُ عَلَى ٱلْمَعْنَى ٱلْغَرِيبِ وَٱلنُّكْتَةِ ٱلنَّادِرَةِ . وَلا يَزَالُ يَأْتِي بِٱلْبَيْتِ ٱلنَّادِرِ وَٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ وَٱلْحِكْمَةِ ٱلْبَلِيغَةِ وَٱلْمَعْنَى ٱلْبَدِيعِ . وَإِنَّهُ لَيَبْتَكِرُ ٱلْمَعَانِي وَيَسْتَنْبِطُهَا وَيَخْتَرِعُهَا وَيَبْتَدِعُهَا

وَهٰذَا ٱلْمَعْنَى مِنْ مُبْتَكَرَاتِ فُلانٍ وَمِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ وَمِنْ أَبْكَارِ مُخْتَرَعَاتِهِ . وَهٰذَا مَعْنًى لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ وَلَمْ يُنَازِعْهُ فِيهِ مُنَازِعٌ وَلَمْ يَتَمَثَّلْ فِي لَوْحِ خَاطِرٍ وَلَمْ يَحُمْ عَلَيْهِ طَائِرُ فِكْرٍ

وَإِنَّ فُلانًا لَيَنْظِمُ ٱللَّآلِئَ وَيَنْظِمُ ٱلْعُقُودَ وَيُشَنِّفُ ٱلْأَسْمَاعَ وَيُسْكِرُ ٱلْأَلْبَابَ وَيَسْحَرُ ٱلْعُقُولَ وَيَخْلُبُ ٱلْقُلُوبَ

وَإِنَّ شِعْرَهُ لَهُوَ ٱلسَّهْلُ ٱلْمُمْتَنِعُ ٱلْقَرِيبُ ٱلْبَعِيدُ . وَإِنَّهُ لَشِعْرٌ حَرِيٌّ بِأَنْ يُكْتَبَ عَلَى جَبْهَةِ ٱلدَّهْرِ وَيُعَلَّقَ فِي كَعْبَةِ ٱلْفَخْرِ

وَهٰذَا شِعْرٌ مِنْ فَرَائِدِ فُلانٍ وَمِنْ نَفَائِسِهِ وَغُرَرِهِ . وَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِهِ ٱلْمَعْدُودَةِ وَبَدَائِعِهِ ٱلْمَشْهُورَةِ وَبَرَاعَاتِهِ ٱلْمَأْثُورَةِ وَأَبْيَاتِهِ ٱلسَّائِرَةِ وَقَلائِدِهِ ٱلْمَرْوِيَّةِ .

وَيُقَالُ : نَبَغَ فُلانٌ فِي ٱلشِّعْرِ وَهُوَ نَابِغَةُ عَصْرِهِ . وَقَدْ جَاشَ ٱلشِّعْرُ فِي خَاطِرِهِ وَجَاشَ فِي صَدْرِهِ . وَٱسْتَنْشَأْتُهُ قَصِيدَةً فِي كَذَا فَأَنْشَأَهَا لِي

وَإِنَّهُ لَيَرْتَجِلُ ٱلشِّعْرَ وَيَبْتَدِهُهُ وَيَقُولُهُ عَلَى ٱلْبَدِيهَةِ وَعَلَى ٱلْبَدِيهِ . لَا يُسْهِرُ عَلَيْهِ جَفْنًا وَلا يَكُدُّ فِيهِ طَبْعًا . وَقَدْ قَالَ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ وَهِيَ مِنْ فَيْضِ ٱلْخَاطِرِ وَفَيْضِ ٱلْقَرِيحَةِ . وَإِنِّي لَمْ أَرَ أَحْضَرَ مِنْهُ ذِهْنًا وَلا أَسْرَعَ خَاطِرًا وَلا أَوْسَعَ خَاطِرًا

وَتَقُولُ فِي ٱلذَّمِّ : شَاعِرٌ سَخِيفُ ٱلنَّظْمِ مُهَلْهَلُ ٱلشِّعْرِ . وَهُوَ مِنْ سَاقَةِ أَهْلِ ٱلشِّعْرِ . لا مَلَكَةَ عِنْدَهُ لِلنَّظْمِ . وَلَيْسَ فِي سَلِيقَتِهِ ٱلشِّعْرُ . وَإِنَّهُ سَقِيمُ

الخَاطِرِ نَاضِبُ القَرِيحَةِ خَامِدُ البَدِيهَةِ رَثُّ الأَلفَاظِ قَلِقُ الأَسالِيبِ مُبتَذَلُ المَعانِي مُشَوَّشُ القَوالِبِ ضَعِيفُ النَّقدِ كَثِيرُ التَّكَلُّفِ شَدِيدُ التَّعَمُّلِ . وَإِنَّمَا هُوَ وَزَّانٌ لَا شاعِرٌ .

في النَّقد

يُقالُ : نَقَدْتُ الكَلامَ وَانْتَقَدْتُهُ وَنَظَرْتُ فِيهِ وَتَثَبَّتُّ فِيهِ وَأَعْمَلْتُ فِيهِ النَّظَرَ وَقَلَّبْتُ فِيهِ النَّظَرَ وَأَنعَمْتُ فِيهِ النَّظَرَ

وَفُلانٌ نَقَّادٌ بَصِيرٌ خَبِيرٌ جِهْبِذٌ وَهُوَ مِنْ أَكابِرِ أَهْلِ النَّقْدِ وَمِنْ جَهابِذَةِ أَهْلِ العِلْمِ وَمِنْ ذَوِي البَصائِرِ النَّافِذَةِ . صَحِيحُ النَّقْدِ صائِبُ الفِكْرِ ثاقِبُ الفِكْرِ ثاقِبُ الرَّوِيَّةِ ثاقِبُ النَّظَرِ دَقِيقُ النَّظَرِ صادِقُ النَّظَرِ بَعِيدُ مَرْمَى النَّظَرِ ، مُدَقِّقٌ شَدِيدُ التَّنْقِيبِ دَقِيقُ البَحْثِ بَعِيدُ الغَوْرِ ، يَغُوصُ على الحَقائِقِ وَيُثِيرُ الدَّفائِنَ وَيَكْشِفُ عَنِ الغَوامِضِ . عارِفٌ بِمَوارِدِ الكَلامِ وَمَصادِرِهِ خَبِيرٌ بِمَحاسِنِهِ وَمَساوِئِهِ عَلِيمٌ بِصَحِيحِهِ وَفاسِدِهِ

وَتَقُولُ : هٰذا كَلامٌ لَا يَثْبُتُ عَلى النَّقْدِ . وَإِنَّ فِيهِ لَطْعَنًا وَمَغْمَزًا وَمَنْقَمًا وَمَأْخَذًا . وَإِنَّهُ مَجالُ نَظَرٍ وَمَحَلُّ نَظَرٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ وَفِيهِ مَوْضِعٌ لِلقَوْلِ وَمَوْضِعٌ لِلنَّقْدِ وَمَوْضِعٌ لِلنَّكِيرِ

وَتَقُولُ : هٰذا كَلامٌ لَمْ يُرْزَقْ حَظَّهُ مِنَ التَّثَبُّتِ وَلَمْ يَصْدُرْ عَنْ عِلْمٍ راسِخٍ وَلَمْ يُمْلِهِ عِلْمٌ صَحِيحٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَخَرُّصِ وَضَرْبٌ مِنَ الخَبْطِ . بَعِيدٌ عَنْ مَرْمَى السَّدادِ . وَقَدْ كانَ الوَجْهُ أَنْ يُقالَ كَذا . وَلَوْ قِيلَ فِي مَوْضِعِهِ كَذا لَكانَ أَسْلَمَ وَكانَ أَقْرَبَ إِلى الصَّوابِ وَكانَ هُوَ الوَجْهَ وَهُوَ الصَّوابَ

وَتَقُولُ : هٰذا كَلامٌ لا غُبارَ عَلَيْهِ وَلا نَكِيرَ فِيهِ وَلا وَجْهَ فِيهِ لِلاعْتِراضِ

وَلا شُبْهَةَ فِيهِ لِناظِرٍ وَلا مَطْعَنَ فِيهِ لِغامِزٍ وَلا سَبِيلَ عَلَيْهِ لِآخِذٍ وَلا عائِبٍ وَلا مُنْكِرٍ وَلا مُعْتَرِضٍ وَلا مُتَعَقِّبٍ وَلا مُناقِشٍ وَلا مُزَيِّفٍ وَلا مُفَنِّدٍ وَلا مُنَدِّدٍ وَلا مُسَوِّئٍ وَلا مُخَطِّئٍ وَلا طاعِنٍ وَلا قادِحٍ .

في الجَدَل

يُقالُ : فُلانٌ مَتِينُ ٱلحُجَّةِ قَوِيُّ ٱلحُجَّةِ سَدِيدُ ٱلبُرْهانِ ناصِعُ ٱلبُرْهانِ حاضِرُ ٱلدَّلِيلِ حَسَنُ ٱلِاسْتِدْلالِ بَصِيرٌ بِمَواضِعِ ٱلحَقِّ بَصِيرٌ بِٱسْتِنْباطِ ٱلأَدِلَّةِ . وَإِنَّهُ لَمِنْ مَشاهِيرِ ٱلجَدَلِيِّينَ وَجِلَّةِ أَهْلِ ٱلنَّظَرِ .

وَيُقالُ: قَدْ أَدْلَى بِحُجَّتِهِ وَصَدَعَ بِحُجَّتِهِ وَٱحْتَجَّ على خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ شَهْباءَ وَحُجَّةٍ دامِغَةٍ . وَجاءَ بِٱلدَّلِيلِ ٱلمُفْحِمِ ، وَأَيَّدَ قَوْلَهُ بِٱلحُجَجِ ٱلقَواطِعِ وَٱلبَيِّناتِ ٱلنَّواصِعِ وَٱلأَدِلَّةِ ٱللَّوامِعِ وَٱلبَراهِينِ ٱلسَّواطِعِ . وَأَثْبَتَ رَأْيَهُ بِٱلأَدِلَّةِ ٱلواضِحَةِ وَٱلحُجَجِ ٱللَّائِحَةِ وَٱلبَيِّناتِ ٱلمُسَلَّمَةِ وَٱلحُجَجِ ٱلمُلْزِمَةِ . وَأَيَّدَ مَذْهَبَهُ بِشَواهِدِ ٱلمَعْقُولِ وَٱلمَنْقُولِ وَأَوْرَدَ عَلى قَوْلِهِ ٱلنُّصُوصَ ٱلصَّرِيحَةَ ، وَخَرَجَ مِنْ عُهْدَةِ ما قالَهُ وَخَرَجَ مِنْ عُهْدَةِ ما أُخِذَ عَلَيْهِ[1] . وَقَدْ أَبْكَمَ خَصْمَهُ وَأَفْحَمَهُ وَقَطَعَهُ وَحَجَّهُ وَقَرَعَهُ بِٱلحَقِّ وَدَحَضَ حُجَّتَهُ وَدَفَعَ قَوْلَهُ وَزَيَّفَ بُرْهانَهُ وَرَدَّ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ

وَإِنَّهُ شَدِيدُ ٱلمُعارَضَةِ طَوِيلُ ٱلنَّفَسِ فِي ٱلبَحْثِ بَعِيدُ غَوْرِ ٱلحُجَّةِ

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ : فُلانٌ ضَعِيفُ ٱلحُجَّةِ سَقِيمُ ٱلبُرْهانِ رَكِيكُ ٱلبُرْهانِ واهِنُ ٱلدَّلِيلِ ضَعِيفُ ٱلبَصِيرَةِ بايِدُ ٱلفِكْرِ خامِدُ ٱلذِّهْنِ . وَهٰذا قَوْلٌ مَدْفُوعٌ وَقَوْلٌ مَرْدُودٌ . وَهٰذا أَمْرٌ لا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلا تُؤَيِّدُهُ حُجَّةٌ وَلا يَثْبُتُ عَلى ٱلنَّظَرِ

وَهٰذِهِ حُجَّةٌ واهِيَةٌ وَواهِنَةٌ ، وَإِنَّ حُجَّتَهُ لَأَوْهَى مِنْ بَيْتِ ٱلعَنْكَبُوتِ .

(١) أي ما اعترض عليه به

الباب الرابع عشر

في المقالات

﴿ وصايا صحية ﴾

— بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي —

١

كلام في البصر

الانسان يدرك بالحواس الظاهرة ما في العالم من الكائنات ويهتدي بها الى معرفة ما ينفعه وما يضره من الموجودات . وذلك يستلزم ان تكون الاعضاء التي تقوم بها هذه الحواس سليمة . ولما كان البصر اكثرها استعمالاً واوفرها نفعاً واشدها تأثّراً وانفعالاً احببنا ان نورد في هذه النبذة الوجيزة اهمّ الاحكام الصحية المتعلقة به فنقول

لا يخفى ان البصر الذي ندرك به صور المرئيات ومقاديرها وسائر كيفياتها انما يقوم بالعين التي هي ابدع ما ركب الله تعالى في الانسان وذلك بان تنكسر اشعة النور عن سطوح المرئيات وتدخل العين من القرنية الشفافة فترتسم صورها في الطبقة المعروفة بالشبكية جرياً على احكام مقررة في الفلسفة الطبيعية وفي علم منافع الاعضاء (الفسيولوجيا) . ليس من غرضنا ان نتعرض لها هنا ولكننا نقتصر على بيان فعل النور والالوان بالعين ثم نستطرد الى ذكر القواعد الصحية على قدر ما يقتضيه المقام

اذا تعرض الانسان للنور القوي مدةً اصابته اعراض تتفاوت في الخفة والشدة تبعاً للعمر والاستعداد المرضي وحالة الصحة والمرض والنقه والعادة وغيرها . وتختلف بحسب المادة التي يصدر النور عنها فتتنبه الشبكية تنبهاً قوياً

وتنقبض الحدقة ويتقلص الجفنان وينطبقان وتظهر على الوجه علائم الانقباض والاشمئزاز كما يظهر فيمن نظر الى قرص الشمس او انعكست على عينيه الاشعة عن مرآة او غشيه سنى البرق ليلًا فخسأ بصره . وكثيرًا ما يحدث من ذلك سدَرٌ وضعف في البصر يبقيان حيناً من الدهر . فاذا كان ذلك حادثاً من النظر الى قرص الشمس انطبعت في العين صورة حمراء مستديرة يراها الرائي في جميع الاشياء حواليه ، وقد يكفّ البصر تماماً اذا اكثر تحديقه في النور القوي اضطرارًا او جهلًا كما حدث غير مرة

وقد تحدث اعراض من هذا القبيل لبعض اصحاب الحرف ممن يستعملون النار القوية لصهر المعادن كالصاغة والحدادين ويسبق حدوثها فيهم غالباً التهابات في ملتحمة العين والقزحية والشبكية . وقال بوشردا انهم كثيرًا مايصابون بعلة ازدواج البصر والكمنة والنزف في الشبكية وان النور المستمر يبعث الرمد على انواعه كما يرى في الزجاجين والطباخين . واذا استقصيت احوال الذين يحدقون ببصرهم كثيرًا كطلبة العلم والكتبة والمؤلفين والمصورين والنقاشين والجوهريين وصانعي الساعات وسائر الذين يدمنون النظر في الاشياء الدقيقة وجدتهم حسر الابصار من قبل زيادة الانكباب وادمان التحديق فيما تقتضيه صنائعهم من العمل ولا سيما في الليل

وترى امراض العين كثيرة في البلاد الحارة الكثيرة الوهج البيضاء التربة او الرمليتها كداخلية افريقيا ومصر وفي البلاد التي لا ينقطع عنها الثلج وذلك لقوة انكسار النور عنها وشدة الحرارة الواصلة الى العين بالاشعة المنكسرة . وبخلاف ذلك ترى الظلام الدامس يزيد في حسّ العين ولكنه يضر بها فتتسع حدقتها فاذا فوجئت بالنور حينئذٍ خسأت ونبت . واذا منع النور عن العين منعاً تامًّا اصابتها حالة تعرف بالجهر من شأنها تقوية الشعور بالمرئيات في الظلام حتى يصير المصاب بها قادرًا على تمييز الاشياء الدقيقة في ظلمة الليل البهيم كما يميزها الصحيح البصر في الضوء الواضح ، ويظهر ذلك في الذين طال حبسهم في

السجون المظلمة وربما آل بهم الامر الى الحسر والكمنة وتمدد الحدقة تمدداً مستمراً

اما تأثير الالوان في العين فلا يكون مضراً على الاطلاق ولكن بعضها نافع في الغاية كالازرق والاخضر وهما اكثر الالوان شيوعاً في الطبيعة واحسن ما ترتاح اليه وتقر به الابصار قال ابن سينا

وانفع الالوان للابصار ما اسودّ او ما كان ذا اخضرار
والبيض والصفر اذا ما تشرق ضوءا فان نورها يفرّق

على ان سائر الالوان ولا سيما الحمراء والبنفسجية مضرة بالبصر ولا سيما اذا كانت العين ضعيفة

والعين نفسها لا تكون على قياس واحد من جهة البصر في جميع الافراد فان بعضهم يتأثرون بالضوء ولو كان قليلاً ولا يطيقون النظر الى الاشياء الدقيقة . وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المسطحة الملونة باللون الازرق او الاخضر وهي تلائم الناقهين من امراض العين . وبعضهم يكون بصرهم قصيراً لزيادة تحدب الجليدية (البلورية) وهي احدى الرطوبات المكسرة للنور في العين فيكون مجتمع الاشعة فيها اقرب مما ينبغي ولذلك لا يبصر اصحاب هذه العلة الاشياء الا عن قرب وهذا الخلل يسمى بالحسر وهو يصلح بالزجاجات المقعرة وبعضهم لا يبصرون الاشياء الا عن بعد لان الجليدية فيهم مسطحة فيقع مجتمع الاشعة ابعد مما يلزم في الحالة الصحية، وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المحدبة وهو من الخصائص المتعلقة بالعمر فاكثر ما يرى في الشيوخ

ويتأثر الصغار بالنور تأثراً زائداً فاذا كان قوياً احسوا بالم شديد يستدل عليه بالبكاء والاضطراب وقد تتهيج ادمغتهم به فيصابون بالحمى والتشنجات الثقيلة . وهذه الاعراض ترى بالخصوص في اولاد ذوي الثروة الذين يتربون في حجر الترف والنعمة ويتعرضون للسهر في البيوت الفسيحة الكثيرة الانوار . وكثيراً ما يكف بصر الاطفال الذين يعرضون على النور القوي فجاءة . وقد يصيبهم القبل اي الحول الجانبي اذا كانت اسرتهم موضوعة تجاه نافذة يدخل

منهـا الضوء فتتجه ابصارهم اليه فيكون ذلك سبباً لحدوث الخلل المذكور .
وفي كثير من العلل كالالتهابات والحميات وامراض الدماغ يرتاح المريض الى الظلام فيجب ان يمنع عنه النور القوي ما امكن اجتناباً لما يحدث عنـه من التهييج . على ان بعضاً من العلل الضعيفة كالانيميا والخنازير يلائمها التعرض لنور الشمس تعرضاً لطيفاً محتملا

ويجب على طبيب الصحة ان لا يتغافل عن تاثير المزاج في العين فانها تكون كثيرة الانفعال في اصحاب الامزجة العصبية وضعيفة سهلة التهييج في اصحـاب الامزجة البلغمية (اللمفاوية) ومائلة للاحتقانات في اصحاب الامزجة الدموية

ولا ينكر فعل العادة فيمن اعتاد تثبيت نظره في الاشياء الدقيقة وادمان التحديق اليهـا بدون اذية كما يرى في الكتبة والنقاشين وغيرهم ممن يتعودون اعمال البصر منذ صغرهم فيتقوى به تدريجاً حتى يصـير قادراً على احتمال ما لا يحتمله غير المعتاد الا بمشقة وخطر وبذلك يمتاز الواحد عن الآخر من اصحـاب الصنعة الواحدة ويظهر فضل المجتهد المواظب على العمل

اما القواعد الصحية التي آثرنا تقريرها فهي :

اولاً — لا يجوز إعمال العينين بعد الاكل توّاً وادمان التحديق بهما ولا سيما في النور الصناعي الخفيف الذي تكلُّ فيـه العين ويفضي الى شلل الشبكة وكف البصر . وينبغي لمن يمارس الاشغال البصرية ان ينقطع عنها طلباً للراحة كل ساعتين مرة مسرحاً نظره في الفضاء الفسيح مشرفاً على مناظر النبـات الاخضر والجو الازرق وغير ذلك من المناظر الطبيعية النافعة . وينبغي لطلبـة العلم ان لا ينكبوا على المطالعة في الضوء الضعيف وان يتجنبوا وضع الكتاب وراء ضوء المصباح حذراً من انعكاس اشعته بقوة الى العين وان لا يقربوه من اعينهم كثيراً بحيث تكون مسافة بعده عنها اقل من ٣٥ او ٣٠ سنتيمتراً

ثانياً — لا يجوز استعمال الآلات التي يقوى بهـا البصر في النور الصناعي القوي حذراً من تجمع الاشعة بواسطتها على هيئـة مخروط ينفذ العين فيحدث

ضعف البصر على التمادي . ولا يجـوز النظر في الاروقة والغرف التي ينفذها النـور منعكساً عن الزجاج الملون بالالوان الصناعية ولا سيما الاحمر والابيض ويستحب ان يلطف ضوء المصابيح باغشية زرق او خضر تركب عليها فتمنع وصول اشعتها الى العين رأساً . ويستحسن تلطيف النور بالستائر الخضر توضع تجاه نوافذ الغرف الكثيرة النور ويفيد فرش هذه الغرف ايضاً ببسط خضر

ثالثاً — كثيراً ما يلعب الهواء بنور المصباح فيضطرب ويرقص وهذا يضر بالبصر كثيراً فيجب ان يمنع بقدر الامكان ويجتنب الشغل فيـه . ومجاري الهواء اذا اصابت العين فقد تتهيج بهـا الملتحمة فيحدث فيها زكام فيجب ان يتحامى الجلوس تجاه النوافذ في مجاري الهواء وكذلك النوم وهي مفتوحـة في ليـالي الصيف كما يفعله كثيرون . ولا يحسن الجلوس بقرب ضوء المصباح لان طبقات الهواء القريبة منه تسخن به كثيراً ولا سيما اذا كان الضوء قوياً فتتهيج به العين تهيجاً يفضي الى حدوث الرمد

رابعاً — لا يجوز ان يعرّض الاطفـال بعد ولادتهم للنور فجاءة ولا ان يوضعوا في الغرف الكثيرة النور حذراً من حـدوث الاعراض المذكورة آنفاً وينبغي ان لا يعرضوا على نور المصابيح القوية وان يعوّدوا الضـوء اللطيف شيئاً فشيئاً

خامساً — لا يجوز الغسل بالماء البارد والعينان مفتوحتـان كما يفعله بعض الناس لئلا تتهيج به الملتحمة . فاذا غسل الوجه صباحاً بالماء البـارد وكانت العينان صحيحتين يجب اغمـاض الجفون واذا كانتا متهيجتين لسبب ما او اذا كانتا مطبقتَين بالرَمَص يستحسن غسلهما بالماء الفاتر مضافاً اليه قطرات قليلة من خلاصة زحل . ولا يجوز ترطيبهما باللعاب عند القيام من النوم كما يفعل البعض لئلا يحدث من ذلك عللٌ في القناة الدمعية . وكذلك لا يجوز فركهما بالاصابع حذراً من دخول بعض الاهداب الساقطة اليهما فتحدث فيهما تهييجاً

اما استعمال الزجاج اذا كان البصر احمر او ضعيفاً فلا بأس به ولا سيما اذا

كان هناك هباء يتحامى سقوطه في العين ولكن ينبغي ان تتخلل استعماله فترات تستريح بها العين وحين لا يكون لاستعماله داعٍ فتركه اولى وانفع



مجاورة النبات

لا يخفى ان التنفس هو من اعظم اسباب الحياة في الحيوان والنبات جميعاً لانه به يتهيأ تبادل الغازات ودفع السامّ منها المضرّ بالبنية واستنشاق الصالح النافع لقيامها وبقائها . وهو يتم بالحيوان بواسطة الرئتين فانهما تدفعان الحامض الكربونيك وهو مادةٌ سامة تنشأ في الجسم من احتراق الجواهر الآلية بفعل الحرارة الحيوية وتستمدان الاكسيجين الذي به يتطهر الدم ويصير صالحاً لبناء الاعضاء وتعويض ماهلك منها بفعل الحياة . ويتم في النبات بواسطة الاوراق التي هي بمنزلة الرئتين في الحيوان فتحلله الى عنصريهِ الكربون والاكسيجين اما الكربون فتمثله اعضاؤه غذاء لها واما الاكسيجين فتطلقه لانه يضر بها مع انه العنصر المتوقف عليه تطهير الدم في الحيوان كما سبق

وهذا التحليل انما يتم بفعل اشعة الشمس وبه تحفظ الموازنة في هذا التبادل الذي هوِ علة الحياة النباتية والحيوانية ولذلك اذا غابت الشمس يبطل التحليل المذكور فتطلق عامة النبات حامض الكربونيك ويطلق المائي منه الاكسيجين والحامض الكربونيك واكسيد الكربون الذي هو اسم من الحامض الكربونيك فيفسد الهواء بالغازين المذكورين فساداً محدوداً يؤدي الى الصداع والدوار والاغماء واذا اشتد فساد الهواء بهما اورث الاختناق كما يحدث في اعماق الآبار وفي الاماكن التي يوقد فيها الفحم وتغلق منافذها على من فيها . ولذلك لا يجوز المكث والنوم ليلاً في الاماكن الكثيرة النبات او في الغرف التي يوضع فيها النبات والازهار للزينة ولا سيما ان الازهار مع امتصاصها الاكسيجين واطلاقها الحامض الكربونيك تفوح بالروائح العطرية التي تؤثر في الجهاز العصبي

تأثيراً شديداً فيكون ضررها اشد فينبغي ان يجتنب وضعها في غرف النوم البتة

ومن النبات مايفسد الهواء بمجاورته كالتين والصبير وسائر الاشجار العريضة الورق ، ومنه ما يصلح الهواء كالارز والصنوبر واليوكالبتس لانها تكسب الهواء رائحة عطرية مفرحة . وقال بعضهم ان اليوكالبتس يطلق الاوزون وهو ضرب من الاكسيجين ، قيل انه يمنع تولد المواد الوبيلة وسنذكره في غير هذا الموضع ان شاء الله ، فيمنع تولد الامراض الناتجة عن المتصعدات العفنية . وذكر المحققون من علماء الصحة ان هذا الشجر بما هو عليه من سرعة النمو يمتص من الماء في كل ٢٤ ساعة ما يعادل ثقله عشر مرات فينزح ماء المستنقعات ويجففها وانه يطلق في الهواء رائحة عطرية كافورية مضادة للعفونة وعلى الجملة فان استنشاق الهواء بجوار هذه الاشجار ينقي الدم وينفع المصدورين والضعفاء المصابين بالحميات المزمنة وغير ذلك

اما الروائح المتضوعة عن الازهار والرياحين وسائر انواع الطيوب فتؤثر في الدماغ والاعصاب تأثيراً لطيفاً نافعاً بشرط ان لا تكون قوية كثيرة الفوحان والا فهي مضرة ولا سيما باصحاب الامزجة العصبية . على ان للعادة والاستعداد الشخصي تأثيراً في ذلك فمن الناس من يألف الروائح الكريهة المضرة كالجزارين والمشرحين فلا يعود يبالي بها ولا يرتاح الى الروائح العطرية . ومنهم من يألف التضمخ بالطيوب فلا يشعر بقوتها كما يشعر غير المعتاد لها . ومن الناس من يتأذى ببعض الروائح الطيبة فقد شوهد من يصاب بصداع اذا شم المضعف ونحوه من ازهار الفصيلة الزنبقية . وذكروا ان فتاة كانت تتأذى من رائحة المسك حتى ينقطع صوتها عند شمه ، وان امرأة كان يغشى عليها من شم بعض الروائح التي لا تضر عادة كرائحة نقيع بزر الكتان ، واخرى كان يصيبها مثل ذلك اذا شمت رائحة الورد حتى قيل انها في احد الايام زارتها صديقة لها وكان في وسطها زهرة ورد صناعية فلما رأتها سقطت مغشية عليها بمجرد الوهم .

والحكايات من مثل ذلك كثيرة وهي غير بعيدة عن الصحة وان كان بعضها لا يخلو عن مبالغة كما لا يخفى (عن مجلة الطبيب)

الجنون فنون

« له ايضاً »

من المعلوم ان الانسان متى اصابه اختلال في العقل كان مجنوناً لا يدرك العواقب ولا يميز بين الامور الحسنة والقبيحة ، فلذلك يعتبر الشخص اما عاقلاً او مجنوناً مع انك اذا دققت النظر وجدت بين العقل والجنون مسافة واسعة الاكناف بعيدة الاطراف يظنها الناظر اليها في بادئ الرأي قفراً وهي في الحقيقة مقر الوف من الحالات المتوسطة بين هذين الطرفين مما تتفاوت بحسبه مراتب الناس في اعمالهم وطرق معاشهم وكيفية سلوكهم . ومن نظر بعين البصيرة في احوال الناس بوجه العموم من حيث اختلاف العقول ليميز بين صحيحها وفاسدها وقف من دونها حائر الطرف لا يجد للحكم مساغاً ولا للرأي سبيلاً بل لو شاء المتبصر اللبيب ان يضع حداً بين العقل والجنون لاصابه العجز والقصور . لانك كثيراً ما ترى من هم بحسب الظاهر اصحاء العقول فاذا تعمقت في معاشرتهم وسبرت غور اطوارهم لم تكد تجد فيهم خالياً من جنة والجنون كما قيل فنون

ومما يحسن سوقه هنا ما جاء في امثال بعض الحكماء قال : ان احد الامراء اضاع عقله فاستاء لذلك صديق له واهتم بارجاعه اليه ، فبينما كان في احد الايام غائصاً في بحار التأمل هبطت عليه الرؤيا منبئة بان عقل الامير موجود ضمن قارورة موضوعة في غار بعيد بموضع كذا . فنهض الرجل لساعته وجدَّ في طلب الغار حتى ادركه فوجد على بابه حارساً مهيباً طاعناً في السن فاستأذنه في دخول الغار للبحث عن عقل صديقه فاذن له ، وكان في الغار قوارير كثيرة لايعلم عددها الا الله وهي مصفوفة صفوفاً على الترتيب وعلى كل منها عنوان الشخص المختصة به ، فأخذ الرجل يبحث عن القارورة المختصة بالامير وبينا هو يقلب طرفه بين

القوارير وجد واحدة منها مختصة به وقد كتب عليها اسمهُ فاخذته لذلك الحيرة والدهش لانه وجد نفسه في عداد المجانين ولم يتمالك ان رجع الى جهة الشيخ وقال له : يا مولاي ارى احدى هذه القوارير معنونة باسمي وما كنت مجنوناً قط فلمَ كان ذلك . فقال له الشيخ : رويدك يا هذا فقد ساعدك المقدور افتح القارورة واستنشق ما فيها فاطاح الرجل وحينئذ عاد اليـه عقله فتبين له ان اكثر اعماله السابقة لم يكن الا جنوناً

ولا يخفى ان كثيراً من اعمال الناس بالنظر اليها من حيث الاداب لا تنطبق على مقياس علم الاخلاق فالخلل المتعلق بها خارج عن موضوع كلامنـا الآتي كما ان كثيراً من اعمال بعضهم بادية الاختلال واضحـة الخطاء في الصواب فهم لذلك معروفون بالجنون مفروزون عن هيئة الاجتماع غير مكافين بشيء مما يوجبه الشرع على سائر اعضاء المجتمع البشري وليسوا في شيء من غرضنـا في هذا الموضوع . وانما كلامنا في ذوي الاختـلال ممن بقي اختلالهم خافياً على اعين الناظرين لوقوفهم على ذروة عالية من المجد او وراء نور ساطع من العلم فلم تنلهم ابصار الناقدين . ومن هؤلاء اكثر الذين رفعوا منار الانسانية وسنوا الاحكام العادلة ووضعوا نظام الممالك وجاهدوا في سبيل العدل ورفعوا بناء العلم واحكموا تدبير السياسة فاختلال هؤلاء قلما يظهر في اقوالهم ولكنه قد يظهر في بعض أفعالهم ولا يعرف الا بعد طول الاختبار وامعان النظر

واول انواع الاختلال المشار اليه الوسواس وهو حالة يكون بحسبها الشخص مصاباً بخلل في ارادته قد يفضي به الى ركوب المنكرات مع انه لا يخطئ في الحكم ولا يعتسف محجة الصواب في القول . وهو اما ان يكون صادراً عن تصورات صبيانية لا تفضي الى الضرر . ومنـه ما يحكى عن الدكتور جنسن الانكليزي وهو من مشاهير كتّاب القرن الاخير انه كان لا يمر مرة في اسواق لندن الا يجس كل علم من اعلام الطريق فان اغفل واحداً منها سهواً رجع على اعقابه حتى يجسه . وقريب من هـذا النوع ما يحدث لكثير من ارباب

الكياسة والادب فان منهم من ينطق بالكلام القبيح عن غير روية وانتباه كما ان بعضاً من الاتقياء تجري على ألسنتهم الشتائم وهم ينفرون منها وينهون عنها وقد كان الاسقف بلطر المؤلف الانكليزي الشهير مصاباً بهذ الخلل فلم يكن يستطيع ان يضبط نفسه الا بعناء عظيم . وقد تكون الوساوس من هذا النوع جالبة للضرر مفضية الى الخطر على حياة الشخص وغيره . فمن ذلك ان شاباً من الادباء ذوي الوجاهة خطب فتاة بديعةالجمال كثيرة الغنى وكان لايستطيع ركوب سكة الحديد لوسواس عرض له ، وكانت الفتاة ساكنة في داخلية البلاد فلما حان زمن الاقتران اضطرب بال الرجل لانه لا يستطيع الذهاب الى خطيبته على عادتهم فاستشار طبيبه في ذلك فاجتهد الطبيب في اقناعه بان لا خطر عليه من السفر في سكة الحديد وبعد العناء وطول المراجعة اجاب . الّا انه بقي طول سفرته مضطرباً ومضطراً ان يتوقف في بعض المحطات ، وكثيراً ما حاول ان يرمي بنفسه من باب القطار خوفاً من الخطر ولم يكن الخطر الا في وسواسه . والامثلة على الوساوس من هذا النوع كثيرة جداً وهي قد تكون تارةً داعيةً الى الانتحار وان لم يحصل منها اختلاط في العقل فتدفع صاحبها الى اهلاك نفسه لاسباب لا طائل تحتها لانه يفقد الميل الى حب البقاء

ومن انواع الجنون الخفي ما يسمى بجنون السرقة وهو يظهر غالباً على هيئة الدناءة والخسة في ذوي المراتب العليا ممن يترهون عن الخسائس بعلو المقام وشرف السؤدد . فقد ذكر ان رجلًا من مشاهير رجال السياسة كان يتناول طعام الظهر في فنادق المدينة فكان كلما دخل فندقاً يسرق ما وصلت اليه يده من الآنية الفضية ويدفعه الى خادمه ليحمله الى بيته . على ان كثيراً من المصابين بهذه العلة لا يسرقون الا اشياء وقع عليها اختيارهم مما لا حاجة لهم به فيستدلُّ بذلك على جنونهم . ومن ذلك ان رجلًا مشهوداً له بالتقى كان من عادته سرقة التوراة فأُغضي عنه مراراً ولما تمادى على ذلك وضع تحت المحاكمة وشهر . وذكر ان رجلًا من المصابين بهذه العلة اعتاد سرقة مراكن الغسالات فكان يجمعها

عنده وهو لا يدري لها منفعة

ومن انواع اختلال العقل المخالطة وهي حالة يظهر فيها الاختلال بوساوس تعرض للمخالط فتقوى عليه الاوهام وتدفعه الى تكرار الكلام الذي وقع من سمعه موقعاً منكراً وتكثر عليه الاخيلة المخيفة . فمن ذلك ان فتى من طلبة العلم سمع بعض اصحابه يتمازحون في دعوى الشؤم المنسوب الى العدد الثالث عشر فخولط من ساعته واخذ يردد في عقله هذا اللفظ حتى اضطرته الحال الى الانقطاع عن الدرس . وذكر عن رجل انه لم يكن يدخل غرفة الا اخذ في عدّ كل ما رآه فيها حتى تنتهي به الحال الى عد ازرار صدرة مخاطبه . ولهذا النوع من الاختلال اتصال بما يعرف بجنون الشك ، ومن امثلته ان شاباً مهذباً كان مستخدماً عند احد الصيارف وكانت اعماله واحواله تدل على صحة عقل وسلامة فكر الا انه كان مع ذلك قد داخله الشك في وجوده وفي حقائق الاشياء الخارجية حتى افضى به ذلك الى عذاب اليم وهمّ بدخول المستشفى طالباً للعلاج وهذا دليل على انه كان عالماً باختلاله

ومن الانواع المشار اليها الخبال وهو يشتمل على كثير من الحالات التي يصاب فيها المختل باضطراب وحيرة وخوف من اشياء وهمية ، ومن امثلته ما ذكره الدكتور قباداي عن رجل معروف بالحذق والذكاء وسعة العقل وطول الباع في ادارة مصالحه الكثيرة والكياسة في محاضرته . وجد يوماً غير قادر على الاضطلاع ببعض الاعمال التي كان يتعاطاها فصار اذا وقف في عتبة الباب لا يتخطاها ان لم يدفعه آخر من ورائه ، ولا ينهض عن كرسيه ان لم يمسكه آخر بذراعه واذا مرّ في السوق تصور ما يصده عن التقدم فيحجم ثم يقدم مراراً كثيرة . على انه كان متى احسّ بوجود من ينتقد ذلك عليه اجتهد في اخفائه بتلطف وحذق كأن يتظاهر بانه يطلب شيئاً وقع منه . قيل انه طلب مرة للعسكرية فسأل طبيبه ان يريحه منها فسعى طبيبه في ذلك لدى اطباء العسكرية ودعاهم لتناول الطعام عنده مع الرجل المذكور فرأوا من حذقه وكياسته ما رفع منزلته في اعينهم .

وعند انصرافه انكروا على طبيبه ما اخبرهم من امره فدعاهم الى نافذة تشرف على الطريق التي يمرّ فيها فشاهدوه في حالة الاضطراب الغريب بين احجام واقدام خوفاً من ظل الاحجار والاشجار والبيوت . ولا يخفى ان هذه الحالة تقرُب من السوداء التي تفضي في اكثر الاحيان الى الجنون المطبق

وبقيت هناك ضروب أخرى من الاختلال اضربنا عن ذكرها من نحو الدخل والخرف والهيام والتوله وغيرها مما يطول الكلام عليه وكلها تعتبر من الجنون لولا ما يسترها من سائر احوال اربابها التي تدخلهم في عداد العقلاء وهي على الغالب تكون معقولة عند المصابين بها اي انهم يشعرون من انفسهم بانهم يخرجون بها عن طور العقل ولكنهم لا يستطيعون مخالفتها وهذا هو الحد بين اصحاب هذه الاحوال والمجانين حقيقةً لان من استولى عليه الجنون المطبق يفقد الحكم ولا يعود ينكر على نفسه شيئاً . وعلى ذلك فاذا اشتدت احدى هذه الاحوال بصاحبها حتى يعتقد ما يدخل عليه من الاوهام دخل حينئذٍ في طور الجنون . ولا يظننّ ان اصحاب الاحوال المشار اليها هم عدد يسير من الخلق وانما هم السواد الكبير بين الناس واكثرهم من ذوي المراتب العليا والعقول الحاذقة بل العقول الواقعة عند حدود الجنون هي اكثر مضاء واوفر حذقاً من العقول التي لا يخالطها شيء من ذلك لسرعة تهيجها وكثرة عملها والله اعلم (عن مجلة الطبيب)

الكوخ والقصر

« بقلم مصطفى لطفي المنفلوطي »

أنا إن كنت حاسدًا احدًا على نعمة فاني أحسد صاحب الكوخ على كوخه قبل أن احسد صاحب القصر على قصره . ولولا ان للاوهام سلطاناً على النفوس لما سجد الفقراء بين ايدي الاغنياء ، ولا ورم انف الاغنياء ان يتخذهم الفقراء ارباباً من دون الله

انا لا اغبط الغني على غناه الا في موطن واحد من مواطنه . فاغبطه ان رأيته يشبع الجائع ويواسي الفقير ويعود بالفضل من ماله على اليتيم الذي سلبه الدهر اباه والارملة التي فجعها القدر في عائلها ويمسح بيده دمعة البائس والمحزون . ثم ارثي له بعد ذلك في جميع مواطنه الاخرى . ارثي له ان رأيته يتربص بالفقير وقوع الضائقة به ليدخل عليه مدخل الشيطان فيمتص الثمالة الباقية له من ماله ليسد في وجهه باب الامل . وارثي له ان رأيته يعتقد ان المال هو منتهى الكمال الانساني فيرغب عن الفضائل والكمالات لانه يظن انه قد كفي مؤونة السعي اليها . وارثي له وابكي على عقله ان مشى الخيلاء وطاول بعنقه السماء وسلم بايماء الطرف واشارة الكف ومشى على طريقه يخزر عينيه خزرًا ليرى هل سجد الناس لمشيته او صعقوا من هيبته . وارحمه الرحمة كلها ان عاش شحيحاً مقترًا على نفسه وعياله بغيضاً الى قومه واهله ينقمون عليه حياته ويستبطئون أجله

اما الفقير فهو عندي اسعد الناس عيشاً واروحهم بالاً الا اذا كان جاهلًا ضعيفاً فاني اراه وقد ملك الوهم عليه مشاعره فظن ان الغني اسعد منه حظاً وارغد عيشاً واثلج صدرًا لحسده على تلك السعادة التي يزعمها له فجلس في كسر بيته جلسة الكئيب المحزون يصعد الزفرة فالزفرة ويرسل الدمعة اثر الدمعة . ولولا جهله وضعف قلبه لعلم ان ربّ قصر يتمنى صاحبه كوخ الفقير وعيشه ويرى ان ذلك السراج من الزيت اسطع ذبالاً واكثر لألاء من انوار الشموع وباقات الكهرباء التي تتألق بين يديه وان تلك الحشية من الاديم او الوبر انعم ملمساً وألين مضجعاً من وسائد الحرير ونضائد الديباج

لقد بلغ التسفل وضعف النفس بكثير من الناس انهم يجلون بشأن الاغنياء لانهم اغنياء وان كانوا لا ينالون منهم ما يبلّ غلة او يسيغ غصة . وليت شعري ان كان لا بد لهم من اجلال المال واعظامه لذاته فما لهم لا يقبلون ايدي الصيارفة ولا ينهضون اجلالاً للكلاب المطوَقة اعناقها بالذهب وهم يعلمون أن لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء

لو عامل الفقراء بخلاء الاغنياء بما يجب ان يعاملوا به لوجدوا انفسهم في وحشة من انفسهم واموالهم . ولشعروا ان بدرات الذهب أداهم ملتفة على ارجلهم واغلال آخذة باعناقهم . ولعلموا ان الشرف في كمال الادب لا في رنين الذهب وفي جلائل الاعمال لا في احمال المال

الكأس الاولى

« له ايضاً »

كان لي صديق احبه واحب منه سلامة قلبه وصفاء سريرته وصدقه ووفاءه في حالَي بعده وقربه ، وغضبه وحلمه ، وسخطه ورضاه . ففرق الدهر بيني وبينه فراق حياة لا فراق ممات . فانا اليوم ابكيه حيّاً اكثر مما كنت ابكيه لو مات ميّتاً . . بل انا لا ابكي إلا حياته . ولا أتمنى الا مماته . فهل سمعت بأعجب من هذه الخلة الغريبة في طبائع النفوس

علقتْ حبالي بحباله برهة من الزمان عرفته فيها وعرفني ، ثم سلك سبيلاً غير سبيله فأنكرته وأنكرني حتى ما أمرّ بباله لأن الكأس التي عَلِق بها لم تدع في قلبه فراغاً يسع غيرها وغير العالقين بها . وربما كان يدفعني عن مخيلته دفعاً اذا حاولت المرور بها لأنه اذا ذكرني ذكر معي تلك الكلمات المرّة التي كنت ألقاه بها في فاتحة حياته الجديدة . وما كان له وهو يهيم في فضاء سعادته التي يتخيّلها ان يكدر على نفسه ، بمثل هذه الذكرى ، صفاء هذا الخيال

ثم لم أعد أعلم من أمره بعد ذلك شيئاً جديداً ، لأن حياة المدمنين حياة متشابهة متماثلة لا فرق بين صبحها ومسائها ، وأمسها وغدها . ذَهاب الى الحانات فشراب ، فخُمار[١] فنوم فذهاب . كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها . والمنظر المتكرر لا يَلفت النظر ولا يَشغَل الذهن ، حتى أن بعض من ينام على دورة الرحى يستيقظ عند سكونها ، وكان أحرى أن يوقظه دورانها

(١) الخمار صداع الشراب

لذلك لم يَشغَل هذا المسكين محلًا من قلبي إلا بعد ان سكنت دورته وهدأَت حركته ، فلم أعد اراه معربدًا في الخانات ولا مطّرَحاً في مدارج الطرق ولا معتقَلًا في أيدي الشُرَط[1] هنالك سألت عنه فقيل لي انه مريض ، فلم أعجب من شيء كنت أعُدُّ له الايام والاعوام ، كما يعد الفلكي الساعات والدقائق لكسوف الشمس واصطدام الكواكب

دخلت عليه أعوده فلم أجد عنده طبيباً ولا عائدًا لانه فقير والاطباء يظهرون الرحمة بالفقراء ، ويبطنون حب الصفراء والبيضاء . والاصدقاء يخافون عدوى المرض وعدوى الفقر . فلا يعودون المريض ولا يزورون الفقير

دخلت منزله فلم أجد المنزل ولا صاحبه ، لأني لم أجد فيه ذلك الروح العالي الذي كان يرفرف بأجنحته في غرفه وقاعاته . ولم أر دخان المطبخ ، ولم أسمع ضوضاء الخدم ، ولا بكاء الاطفال ، ولا رنين الاجراس . فكأنني دخلت القبر أزور الميّت ، لا المنزلَ أعود الحيّ !

ثم تقدمت الى سرير المريض فكشفت أستاره البالية عن خيال لم يبق منه الا إهاب[2] لاصق بعظم ناحل . فقلت أيها الخيال الشاخص ببصره الى السماء قد كان لي في إهابك هذا صديق محبوب فهل لك أن تدلّني عليه ? . فبعد لَأيٍ ما[3] حرّك شفتيه وقال : هل أسمع صوت فلان . قلت نعم ، ممَّ تشكو ? . فزفر زفرة كادت تتساقط لها أضلاعه وأجاب : أشكو الكأس الاولى . قلت أي كأس تريد . قال أريد الكأس التي أودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي، وها انا ذا اليوم أودعها حياتي . قلت ، قد كنت نصحتك ووعظتك وأنذرتك بهذا المصير الذي انت فيه اليوم فما أجديت عليك شيئاً . قال ما كنت تعلم حين نصحتني من غوائل هذا العيش النكد اكثر مما كنت أعلم ، ولكنني كنت شربت الكأس الاولى فخرج الامر من يدي . كل كأس شربتها جنتها عليَّ الكأس الاولى .

---

(١) الشُرط أعوان الامير ومفرده شُرْطي (٢) الاهاب الجلد (٣) يقال فعله بعد لاي أي بعد ابطاء وما زائدة

أما هي فلم يجنها عليّ غير ضعفي وقصور عقلي عن ادراك خداع الاصدقاء والخلطاء .

لم تكن شهوة الشراب مركبة في الانسان كبقية الشهوات فيعذَر في الانقياد اليها كما يعذر في الانقياد الى غيرها من الشهوات الغريزية ، فلا سلطان لها عليه إلا بعد أن يتناول الكأس الاولى ، فلِمَ يتناولها ؟ يتناولها لأن الخونة الكاذبين من خُلّانه وعشرائه خدعوه عن نفسه في امرها ليستكملوا بانضمامه اليهم لذتهم التي لا تتم إلا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع . ولو علمت كيف خدعوه وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه . وأي ذريعة تذرعوا بها الى ذلك لتحققت انه أبله الى النهاية من البلاهة . وضعيف الى الغاية التي ليس وراءها غاية

انا ذلك الابله وذلك الضعيف فاسمع كيف خدعني الاصدقاء وزينوا لي ما يزينه الشيطان للانسان

قالوا ان حياتك حياة هموم واكدار . ولا دواء لهذه الادواء الا الشراب . وقالوا ان الشراب يزيد رونق الجسم ويبعث نشاطه وانه يفتّق اللسان . ويعلم الانسان البيان . وانه يشجع الجبان ويبعث في القلب الجرأة والاقدام . . . هذا ما سمعته فصدّقته وخدعت به . صدقت ان في الشراب أربع مزايا : السعادة والصحة والفصاحة والاقدام . فوجدت فيه اربع رزايا : الفقر والمرض والسقوط والجنون . . .

غرّهم من الصحة ذلك اللون الاحمر الذي يتركه الشراب وراءه في الاعضاء . وهو يتغلغل في الاحشاء . ومن الفصاحة الهذَرْ والهذيان . وهُجر[1] القول وبذاءة اللسان . ومن الاقدام العربدةُ التي لا تسكن الا في غرفة السجن . ومن السعادة اللحظاتُ القليلة التي يغشّى فيها على عقل الشارب فيعمى عن رؤية ما يحيط به من الاشياء كما هي فتنعكس في نظره الحقائق حتى يتخيّل الشتم طُرفة[2] والصفع تحية فيضحكه من ذلك ما يضحك الاطفال والممرورين[3]

---

(١) الهجر الفحش (٢) الطُرفة الملحة المستحسنة (٣) الممرور الذي هاج ويطلق على المجنون

أي سرور لمن يعيش في منزل لا يزور الابتسام ثغرا من ثغور ساكنيه ؟ أي سرور لمن يودعه اهله كل يوم في صباحه بالحسرات ، ويستقبلونه في مسائه بالزفرات . اي سعادة لمن يمشي دائماً في طريقه متلوياً متعرجاً يتسرب في المعاطف والازقة ويعوذ بألواذ[1] الجدر والاسوار فراراً من نظرات الجزار ، وتهكمات العطار ، وصرخات الخمار

ولقد كنت ارى هؤلاء الاشقياء في فاتحة حياتي التعسة فكان يمر بخاطري ما يمر بخاطر امثالي أن هؤلاء قتلى الادمان لاقتلى الشراب . وكنت اقدّر لنفسي القصدَ فيه إن قُدّر لي في امره شيء حتى لا ابلغ مبلغهم ولا انزل منزلتهم فلما شربت أخطأ العدّ وضاع الحساب ، وفسد التدبير ، واختلف التقدير . وغلبت على أمري كما يُغلب على امره كل مخدوع مثلي بمثل ما خدعت به . ولولا الكأس الاولى ما هلكت . ولا شكوت الذي شكوت . ولولاها ما عافني الاصدقاء ولا زهد فيَّ الاقرباء . فكن انت وحدك صديق السراء والضراء

فعاهدته على ذلك ثم تركته في حالة :

تُصمُّ السميع وتعمي البصير ويُسأل من مثلها العافيه

اهناء ام عزاء

« له ايضاً »

فارق مصرَ على أثر الدستور العثماني كثير من فضلاء السوريين بعد ما عمّروا هذه البلاد بفضائلهم ومآثرهم وصيروها جنة زاخرة بالعلوم والآداب وتقنوا المصريين تلك الدروس العالية في الصحافة والتأليف والترجمة . وبعد ما كانوا فينا سفراء خير بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية ، يأخذون من كمال الاولى ليتمموا ما نقص من الاخرى . وبعد ما علّموا المصري كيف ينشط لعمله وكيف يجد

(١) يقال اعتصم بلوذ الجبل اي بجانبه والجمع الواذ

.ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجلد في معركة الحياة

قضَوا بيننا تلك البرهة من الزمان يُحسنون الينـا فنسيء اليهم ، ويعطفون علينا فنسميهم تارة دخلاء واخرى ثقلاء . كانما كنا نحسب أنهم قوم من شُذَّاذ الآفاق او نِفايات الامم جاؤُوا الينـا يصادروننا في ارزاقنا ، ويتطفلون على موائدنا . ولو انصفناهم لعرفناهم وعرفنـا ان اكثرهم من بيوتات المجد والشرف وانما ضاقت بهم حكومة الاستبداد ذرعاً وكذلك شأن كل حكومة مستبدة مع احرار النفوس وأباة الضيم فأحرجت صدورهم ، وضيقت عليهم مذاهبهم . ففروا من الظلم تاركين وراءهم شرفاً ينعيهم ، ومجداً يبكي عليهم . ونزلوا بيننا ضيوفاً كراماً ، واساتذة كباراً . فما احسنّا ضيافتهم ولا شكرنا لهم نعمتهم

وبعد فقد مضى ذلك الزمن بخيره او شره واصبحنـا اليوم كلما ذكرناهم خفقت افئدتنا مخافة ان يلحق باقيهم بماضيهم فلا نعلم أنشكر للدستور أن فرَّج عنهم كربتهم ، وأمَّنهم على انفسهم وردهم الى اوطانهم . أَم ننقِم منه أن كان سبباً في حرماننا منهم بعد أُنسنا بهم ، واغتباطنا بحسن عشرتهم ، وجميل مودتهم ولا ندري هل نحن بين يدي هذا النظام العثماني الجديد في هناء ام في عزاء

فيا ايها القوم المودّعون والكرام الكاتبون

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رُبَّ ذكرى قرَّبت من نزحا
واذكروا صباً اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

زيد وعمرو

« له ايضاً »

اراد داود باشا احد الوزراء السالفين في الدولة العثمانية ان يتعلم اللغة العربية فأحضر احد علمائها وانشأ يتلقى عليه دروساً عهداً طويلاً فكانت نتيجة علمه ما ستراه :

سأل شيخه يوماً ما الذي جناه عمرو من الذنوب حتى استحق ان يضربه زيدٌ

كل يوم ويقتِّله تقتيلًا ويبرّح به هذا التبريح المؤلم . وهل بلغ عمرو من الذل والعجز منزلة من يضعُف عن الانتقام لنفسه ، وضربِ ضاربه ضربةً تقضي عليه القضاء الاخير

سأل شيخه هذا السؤال وهو يتحرق غيظاً وحنقاً ويضرب الارض باقدامه فأجابه الشيخ ليس هناك ضارب ولا مضروب وانما هي امثلة يأتي بهـا النحاة لتقريب القواعد من اذهان المتعلمين . فلم يعجبه هذا الجواب واكبر ان يعجز مثلُ هذا الشيخ عن معرفة الحقيقة في هذه القضية فغضب عليه وامر بسجنه . ثم ارسل الى نحويّ آخر فسأله كما سأل الاول فأجابه بنحو جوابه فسجنه كذلك . ثم ما زال يأتي بهم واحداً بعد واحد حتى امتلأَت السجون وأقفرت المدارس واصبحت هذه القضية المشؤومة الشغل الشاغل له عن جميع قضايا الدولة ومصالحها . ثم بدا له ان يستوفد علماء بغداد فأمر باحضارهم فحضروا وقد علموا قبل الوصول اليه ماذا يُراد بهم . وكان رئيس هؤلاء العلماء بمكانة من الفضل والحذق والبصر بموارد الامور ومصادرها . فلما اجتمعوا في حضرة الوزير أعاد عليهم ذلك السؤال بعينه فأجابه الرئيس : إن الجناية التي جناها عمرو يا مولاي يستحق ان ينـال لاجلها من العقوبة اكثر مما نال . فانبسطت نفسه قليلًا وبرقت اسارير وجهه واقبل على محدثه يسأله ما هي جنايته . فقال له إنه هجم على اسم مولانا الوزير واغتصب منه الواو فسلط النحويون عليه زيداً يضربه كل يوم جزاء وقاحته وفضوله « يشير الى زيادة واو عمرو واسقاط الواو الثانية من داود في الرسم » فأعجب الوزير بهذا الجواب كل الاعجاب . وقال لرئيس العلماء انت أعلم من أقلته الغبراء وأظلته الخضراء فاقترح عليَّ ما تشاء . فلم يقترح عليه الا اطلاق سبيل العلماء المسجونين . فأمر باطلاقهم وانعم عليهم وعلى علماء بغداد بالجوائز والصِّلات

احسن داود في الاولى واساء في الاخرى . ولو كنت مكانه لما اطلقت سبيل هؤلاء النحاة من سجنهم حتى آخذ عليهم عهـداً وثيقاً ان يتركوا هذه الامثلة البالية الى امثلة جديدة مستطرفة تؤنس نفوس المتعلمين وتذهب بوحشتهم

وتحول بينهم وبين النفور من منظر هـذه الحوادث الدموية بين زيد وعمرو ، وخالد وبكر .

لا ينال المتعلم حظه من العلم الا اذا استطاع مطابقته على العمل والانتفاع به في مواطنه ومواقعه التي وضع لاجلها · ولن يستطيع ذلك الا اذا استكثر له معلمه من الامثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم واوتنَّ له في ايرادها افتناناً يقرّب الى ذهنه تلك الصلة بين العلم والعمل ويسهل له الوصول الى القدرة على تلك المطابقة . وان اكثر المتعلمين في مدرسة الازهر ابعد الناس عن القدرة على المطابقة لما حال بينهم وبين ذلك من الوقوف عند المثل الواحد لكل قاعدة من قواعد العلم . فلو انك اردت احدهم على ان يخرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية ، وفي النحو عن ضربِ زيدٍ عمراً وقتلِ خالدٍ بكراً ، وفي البيان عن تشبيه زيد بالبدر واستعارة الاظافر للمنية ، وفي الصرف عن فعلّل وافعوعل . لوجدت في نفسه الجهد والمشقة وفي لسانه من العيّ والحصَر ما يحزنك على اعوام طوال قضاها بين المحابر والدفاتر ثم لم يحصُل من بعدها على طائل

علامَ يتعلم الطالب النحو والصرف ان عجز عن ان يقرأ صحيحاً في كل كتاب وكل صحيفة . وعلام يتعلم علوم البلاغة إن عجز عن معرفه اسرار الكلام واوجه بلاغته وفهم المراد من مختلفات اساليبه وعن البيان بياناً فصيحاً يضمّنه ما يشاء من اغراضه ومقاصده . وعلامَ يتعلم المنطق إن عجز عن التمييز بين فاسد القضايا وصحيحها في كل مناحيه ومذاهبه . وإن لم يكن الموضوع الانسان ولا المحمول الحيوان الناطق

عجيب جداً ان يفهم الصانع الامّيّ ان العلم للعمل فلا يتعلم النجارة الا ليصنع الابواب والصناديق . ولا الحدادةَ الا ليصنع الاقفال والمفاتيح . وان يجهل المتعلمُ هذه القضية الضرورية فلا يهمه من العلم الا الاستكثار من المعلومات والقواعد وان عجز بعد ذلك عن التصرف فيها والانتفاع بها في مواطنها

ما دامت مدرسة الازهر على هذه الحال من اسلوب التعليم العقيم فليس بمقدور

لها في مستقبل الايام ان ينبُغ منها العلماء الذين تستطيع ان تنتفع بهم الامة انتفاع امثالها بأمثالهم في مشارق الارض ومغاربها . فويل للعلم من العلماء

العصامي خيرٌ من العظامي

« للخوري بطرس البستاني »

« من كتابه السنابل »

اذا نشأت في بيت خيم عليه الخمول وأحدقت به الفاقة من جميع جنباته فلا تحملنك ضعةُ نسبك على الونية والفتور ، ولا تدعن اليأس ينشب فيك مخالبهُ الحادة حتى ينزع من صدرك الهمة ومن فوآدك النشاط والمضاء ، بل انظر الى الذين نبغوا في الدنيا من قبلك ، فان اكثرهم قد نشأوا مثلك في الاكواخ الوضيعة لا ينتمون الى جدّ أثيل ولا الى أب اصيل ، ولا يتباهون بالعمومة والخؤولة بل عوّلوا على ما آتاهم به الله من توقُّد الذهن وشهامة الخاطر وحدّة العزيمة ، فسابقوا العظاميين في حلبات المعارف وكانوا من المبرّزين

نحن لا ننكر أن المرء اذا كان من أرومة عريقة في النبل والثراء والشرف والإباء تتوفر لديه ذرائعُ النبوغ ويكونُ اقرب الى النجاح ممن يتفرّع عن اصل وضيع خامل ، ولكن اكثر الموسرين يعتمدون في الغالب على مالهم التليد فلا ينصبون على اقتباس العلوم وحذق الفنون ليزيدوا أسرهم سنى ونباهة ، فتظل مواهبهم العقلية مدفونة فيهم ، فلا هم ينتفعون بها ولا ينفعون ، شأن من يملكُ كنزاً من الذهب ولا تنهض به همته الى استخراجه من معدنه ، فتضيعُ فوائدهُ عليه وعلى سواه

وأما ابناء الاكواخ فلا تقع عيونهم منذ يبصرون النور إلا على الشقاء فاغراً فاهُ لازدرادهم . فاذا أرادوا الهجوع لا يرون لهم سوى الحضيض مضجعاً ، ولولا أن يتغلب عليهم سلطان الكرى لنبت جنوبهم عن مراقدهم الخشنة وأحيوا لياليهم سهداً . واذا برّح بهم الجوعُ لا يظفرون إلا بخبز قفر فاذا اكلوه مرةً

مأدوماً حسبوه قرصَ شهد وسهُل مدخلُه في حلوقهم كأنه ماء ورد . واذا نظروا الى اجسامهم لا يرون عليها إلا اسمالاً . وأمّا أقدامُهم فكما برأها الله لم تألف الخِفاف ولم تنتعل إلا الارض. وبعد هذا أفتستغربون أن ينشّط بنو الخصاصة الى العمل للإفلات من براثن التعس ومناسِر الإعدام والإتراب ، وان تكون اطباء البشرية المتألمة من الطبقة التي هي أشعر بالألم وأدرى بالنكبات !

لاتيأسنَّ ايها المعدمُ من إدبار الدنيا عنك ولا يُخجلنَّك أنك من ابوين خاملين مُتربين ، بل جرّد ما فيك من قوة وعزم وانزل الى معترك الجهاد معتمداً على ساعديك المفتولين ، متكلاً على ما اختصك به المولى من نضارة العافية ، وهي من أسنى الآلاء ، ثم تاجر بما جاد به عليك سبحانه وتعالى من مواهب الذكاء والفطانة والثقافة ، وتحلَّ بالصدق والاستقامة والامانة والاخلاص ، حتى اذا عرفك الناسُ بهذه الخلال الفريدة وثقوا بك كل الثقة ، وكان لك من هذه الثقة اكبرُ رأس مالٍ بل خير وسيلة للتقدّم والشهرة

وما أبهجَ يوماً تستوي فيه على عرش العبقرية وفي يدك صولجانُ العمل الذهبي ومن حواليك نطاقٌ من ابصار المعجبين بتفوّقك وشهرتك . وما أسعد يوماً ترى فيه العزّ ضارباً قبابهُ فوق ربعك، والمجدَ رافعاً اعلامهُ الخفّاقة على مشارف صرحك . وما امجدَ ساعة تنثر فيها ثواقبَ العلاء وشهبَ الشرف في سماء أسرتك ، مبدداً بانوارك الثاقبة شقاءها المكفهرَّ وذلها المدلهمَّ وخمولها الدامس . وما أعزَّ آناً تقفُ فيه الى جانب العظامي وقد بذّر ثروة آبائه بإسرافه ، ودكَّ معالم مجده بطارق تهتكه واستهتاره ، وأفسد سُمعة أسرته بما اقترفه من الفواحش وما اجترحه من المخازي والدنايا ، حتى ألبسها من العار ثوباً صفيقاً وأرخى على محياها من الهوان سدلاً كثيفاً

ايها العِظاميُّ السابح في بحار ملاذه ، المنهمك في اهوائه ، المطلقُ الاعنّة لنفسه الهوجاء ، اربأ بنسبك ان تلطِخه في ردَعات النذالة ، وبشرفك ان تدنّسه باقذار الخساسة . وايّاك ان تزدري بمن حرمهم الله ما اسبغه عليك من

نعَم الثراء والعلاء ، فربّ بائس هو اشرف منك خُلقاً وارفع نفساً وأثقب ذهناً. والانسان إنما هو انسان بأصغريه ، لا بغزارة نشبهِ ولا بشرف نسبهِ . فاذا رأيت ولداً ضرب عليه الفقر مضاربهُ وتفرّست فيه خيراً فأنفق على تعليمه من بعض ريعك تغنم أجره وتقدّم لوطنك عضواً ينفعه ، فيُكتب اسمك في عداد المحسنين الى قومك المتوفرينَ على إنهاض بلادك ، الدائبينَ في نشر المعارف بين فئة منكودة الحظ ، ألقى الله على عواتق المثرين امر الاهتمام بها ، وانارة بصائرها المتسكعة في دياجير الغباوة والجهالة . ولكم يكون مبلغ سعدك اذا نهضت بهذا المفترض المقدّس بدلاً من ان تنفق اموالك بما يبهظ ظهرك من أعباء التَّبِعات ، ويطلقُ الالسنة في ذمك وهجوك

ولكم تقرُّ عينُك وينبسط فؤادك يوم يشبُّ هذا الولد البائس ، وهو حاملٌ ثمرات العلم الشهية متحلٍ بحلى الآداب الرائعة ، ويوم يزينُ المحافل بخطبه البديعة ويدبج الصحف بمقالاته الاثيرة ، واذ يُصبح حصيف الرأي لطيف التدبير دامغ الحجة بعيد النظر ، بحيث يرجعُ اليه في معضلات المشاكل ومغلقات المسائل فينادي القوم اذ ذاك أنه من غراس يمينك وممن نشأوا على مهاد عوارفك وغرفوا من بحر فضلك ، وتفيّأوا عنايتك ورعايتك ، فيرعون لك اكبر جميل وينظرون اليك بعين الاعجاب ، وينوّهون بفضلك في كل منتدى

واما ذلك البائس الذي اقلتهُ عثرته وانهضته من هاوية الضعة والخمول فالله اعلم ما يكون من عرفانه لاحسانك وشعوره بحسن صنيعك بعد اذ ابلغته هذا المدى من السعادة ، وكحلت عينيه بانوار الهدى والسداد ، ورصّعت صدره بفرائد المعارف ، وجعلته رجلًا ايَّ رجل بين ابناء موطنه الذين اصبحوا يتباهون به في محاضرهم ويتفاخرون بمآثره ومحامده . . . كذلك يفعل ابناء اليُسر والسَّعة في البلاد التي يتنافس فيها المحسنون في المبرّات . . . واذا امسك احدهم يده عن بذل شيء من ماله في سبيل البر اغارت عليه الصحف غارات شعواء واندفعت الالسنة في ميدان هجائه ، وثلمت سمعته وحطت من قدره ، وشدد قومه عليه

النكير وسوّأوا عليه بخله وعيّروه ألذع تعيير . حتى يضطروه الى ان يجود بقسم مما تملكه يداه على من هم في حاجة الى الامداد ، او يجعلوه على الاقل عبرة من بعده للاغنياء الاشحّاء فيتحاشون عن ان يقعوا في وهدته او يوصموا بوصمته

على ان اغنياءنا الممسكين يحمدون الله على انهم في بلاد لا يسمعون فيها الا عبارات الاطراء الكذاب من كل فم ملّاق خدّاع ، فلا يخشون مذمة ولا يحذرون ان يشدخ مسامعهم تنديدٌ جارح او انتقاد أليم لدّاع ، ولذلك يمضون مضاءهم في مسالك الاستئثار وينطلقون في مضمار الاهواء بدون ان يوجسوا خيفة او يتوقعوا محذورًا . وانما يشجعهم على الاستهتار كون اولاد الميسرة والاثراء مقدورًا قدرهم في هذه الانحاء الشقية بأهلها بحيث تزيد قيمة المرء ما زادت امواله وعمي الضلالة بعينها . فلو كان الاهلون هنا ينظرون الى المرء من جهة ما يعمل لا من جهة ما يملك من حُطام الدنيا وزخارفها الوهمية لكانت قيمته ما يحسنه من الاعمال لا ما يجمعه من الاموال بطرق ربما كانت محظورةً او مَشوبة بشيء بل باشياء من الطمع والغبن ، وكان اهل الثراء يقومون ويقعدون كلما انقلب عليهم الجمهور وسلقهم بلواذع لسانه وقوارص كلامه ، وألجأتهم الحال الى ان يتدرعوا على أندية البرّ بقسم مما اكتسبوه طمعاً في حسن الاحدوثة او فرارًا من الطعن والتثريب

وأخلِق بالحكومة اذا شاءت ان تتدارك حُشاشات المملقين وتصلح من شؤون المدقعين وتخفف جيش المتسولين ان ترصد في كل سنة مبلغاً من المال تبذله في سبيل تعليمهم مهنًا تغنيهم عن التسول والتكفف والتكدية والاستجداء ، فلا يبقون عالةً عليها ولاعلى الرعية . واذا رأت فيهم ذا عقل ثاقب يبشر بمستقبل سعيد فلتدفعه الى المعاهد العلمية لعله يقتبس من العلوم والفنون مايجعله في مصاف الاعضاء المفيدين لبلادهم . واذا لم يكن في بيت مالها ما يعينها على الانفاق في هذه الوجوه المحمودة فلتضرب على الموسرين الذين اترفهم المال وابطرهم ، وهم حراص كل الحرص على اذخاره ، ضرائب تتقاضاهم اياها سنةً فسنة مراعيةً فيها

مقدار ريعهم ومبلغ مكسبهم . فاذا فعلت رأينا كيف ينشأ من اليتامى وابناء الاكواخ نوابغ يفيدون البشرية ويسمون باوطانهم الى المستوى الاعلى

وما اكثر الاذكياء الالبأء في الطبقة المعوزة ، وما اوفر استعدادهم للتحصيل . فلقد روى لنا التاريخ في كل عصر وافادنا الاختبار ان اكثر الاختراعات والاكتشافات كان اربابها من العصاميين الفقراء لا من العظاميين الاغنياء . فلتصعد اذاً الامة على مناكبهم القوية الى روابي العز ومراتب المجد اذا تخلف العظاميون عن ان يفضوا بها الى الامل المرصود في ساحات الرغد والسعد . وحرام أيّ حرام ان تبقى الارض المِراحُ مواتاً والمِراع المخصاب مجداباً ضناً ببعض دريهمات تنفق في سبيل استنباتها واستثمارها

التسامح والمخالقة

« له ايضاً »

أشقُّ ما يكون عليه المرء ان يحيا بين قومه وحيداً لا انيس له في عزلته ، ولا مؤسي في نكبته ، ولا معزّي في محنته ، ولا ممرّض في علته . واشقى الناس من ناصبه ابناء وطنه العداء وكانوا في ملماته أعواناً عليه ، بحيث اذا نابته بلية اعرضوا عنه وولّوه ظهورهم

وانما يعاني المرء هذه الجفوة من ابناء بلاده اذا كان شرس الطباع غليظ المعاشرة ساقط الهمة زمن المروءة وضيع النفس بذيء اللسان دغل الصدر ، أشهى الامور اليه ان يتقلب على المهاد الوثيرة ولو تململ قومه على أحدّ من شرك القتاد ، وأن تنصب له وحده قبابُ العز والمجد ولو كان وطنه على حضيض الذل والضعة والمهانة . ومتى استحكم الاستئثار في المرء حتى اصبح لا يودّ الخير الا لنفسه ، ولا يطيب له الا ان يكون في غبطة ورفاهية وهناء ، وسواء عنده أشقيَ اخوانه في البشرية ام سعدوا ، فلا تعجب للناس أن يتظاهروا عليه ويتألبوا ، وأن

يسوموه ما هو حقيقٌ به من ضروب الخسف والخذلان ويضعوا في وجهه الحواجز ومن حوليه العراقيل حتى لا ينجح له مسعى ولا يستقيم له امر

فاذا راقك يا صاحِ أن يكثر نصراؤك وأودّاؤك فعامل الناس بالحسنى وتودّد لهم ما استطعت ، وجاملهم جهدك واصطنع اليهم من المعروف ما يمتدُّ اليه ذرعك ، وتمنَّ لهم من صنوف السعادة ماتتمناه لنفسك ، وكن سلِس الطباع لطيف المعشر انيس المحضر رحيب الصدر بعيد الهمة سريع النجـدة ، اذا استصرخك صارخ خففت اليه دفعاً للبلاء عنه ، واذا قصد اليك احد لسدّ لبانة او قضاء ارب اهتززت لاجابة سؤله اهتزاز الاريحي للتبرعات والمجواد للمبرات . وإياك ان تخذله وانت قادر على إسعافه بمالك او رأيك او جاهك او شفاعتك ، واحذر ان تخيب له املاً مع ثقته بأنك موضع امله وحسن ظنـه . على انه اذا تعذر عليك ان تؤازره بما يصلح حاله ويرأب صدعه فلا اقلّ من أن تسمعه كلمة مستعذبة تحيي فيه ميت الامل وتعينـه على التجمل . وتحوَّز من أن تزجره او تصرفه يائساً ذليلاً فانك بهذه الجفوة تنكأ قروحه وتهيض عظامه وتخنقه يأساً

ان التسامح من اوطد دعائم التآلف وادعى الاسباب الى التحابّ والتضامّ ، ما انتشر في امة وتوثق حتى اصبحت اوثق من البناء المرصوص وامنع من المعاقل اسواراً ، وباتت افرادها في مأمن من ان يثقبها سوس العداء او تندلع اليها نيران البغضاء ، فيتساقون في اعيادهم كؤوس الصفاء ويتهادون عبارات الولاء ، وهم آمنون مطمئنون لا يخشون عدواً صوّالاً ولا فاتكاً قهاراً

واذا راقك ان تستشف الضلوع وتخترق حبات القلوب وجوانح الصـدور لتعرف مبلغها من التساهل فامدد اليها مسبارك ، فاذا لم ترَ في اغوارها اثراً للتعصب الذميم ، وكانت مكارم الاخلاق مستويةً هناك على عروشها الرفيعة ، فقل إن التسامح في أمتك راسخ القواعد متين المباني ، لا خوف عليه من عاصفة تزعزع اركانه ومن زوبعة تجتاح بوانيهُ ودعائمهُ . ولكن اذا بدا لك ان الصدور ليست على شيء من الرحب حتى لتغلي فيها مراجل الاحقاد لاقل هفوة وادنى بادرة ،

وأن القلوب تنقبض لاساءة وقعت على غير عمد ، والالسنة تنطلق في ميـدان البذاءة والهجر والهجاء لكلمة فرطت على سلامة نية ونزاهة قصد ، ثم رأيت الناس بعد وقوع من مثل هذه الهفوات التافهة وقدتحزبوا احزاباً وتشيَّعوا اشياعاً، فالتف كل فريق تحت لواء زعيم يأتمر اوامره وينتهي بنواهيه ، واخذ يُصلي خصومه احمى نار ، فقل ان التسامح ليتبرأ من أمة قائدها التعصب الاعمى وهي ليست من رحابة الصدر و كرم الاخلاق في شيء.

ومعلوم ان كل امة مهما تكاثر عدد حكمائها لا يزال الجهال الغوغاء فيها أوفر عدداً من عقلائها ، وهم في الغالب مفطورون على الشر متحفزون له ، يطيرون اليه لاول نفخة ينفخها نافخ في ابواق الفتنة. فاذا لم يكن في الامـة المتسامحون المتساهلون لم يردع اولئك الطغام عن المنكرات رادع ، ولم يزعهم عن ايغـار الصدور وهرق الدماء وازع ، وهناك الطامة الكبرى

ونحن من اشد الامم افتقاراً الى التسامح نظراً لكثرة الملل فينا وتفرق كل ملة الى فرق في نزعاتها ومطامحها واغراضها ومطامعها . فاذا كنا لا نتساهل ولا نربي ناشئتنا على روح التسامح تعذر علينا ان نعزز فيما بيننـا روابط الوئام والوفاق ، وننزع من صدورنا أصول النفار والشقاق . واضمن ذريعة لبلوغ هذه البغية المرصودة أن يجتمع قادة الافكار من كل ملة ومذهب في هـذه البلاد ويؤلفوا جامعةوطنية للتوفيق بين القلوب المتنافذة والصدور المتنازعة ، واستدراك ما يقع من الخلاف بين ملة وملة . ومداواة كل نزاع بالادواء الشافية ، تفادياً من ان يتسع الخرق ويتباين الصدع

وليجهد الخطباء والصحافيون والائمة والاساتذة جهدهم كله في ان يغرسوا فضيلة التساهل في قلوب الناشئة وصدور العامة ، ملقين عليهم في هذا الموضوع الخطير دروساً تلقنهم كيف يجب انيتسامحوا لدى وقوع الطوارئ وكيف ينبغي لهم ان يراعوا سنَّة المخالقة وحسن المعاشرة ، حتى لا ينتقض فيما بينهم حبـل الولاء ولا تعكر كأس الصفاء . فاذا نشأوا هذه النشأة المباركة وسلكوا هذا

المسلك المحمود لا تنطوي بضع سنوات على هذه البلاد المنكوبة بكثرة المذاهب حتى نصبح كتلة واحدة ، فتسرد فينا الوطنية الصحيحة سيادتها في البلاد المتآخية الراقية ، حيث لا يعرف المرء ابن دينه الا في معبده ، واما خارجه فكلهم اخوان في الوطنية ، وما اجمل هذه الاخوّة وما احوجنا اليها

شرف المحراث

« له ايضاً »

اذا مللتَ الحضر وسئمت من المدر ، وكرهت ضوضاء الدن وجلبة سكانها ، فهيّا الى المزارع والحقول وروّح صدرك بنسماتها اللطيفة ونفحاتها الذكية ، وفكه عينيك بتلك البسط الخضراء التي نسجتها يد الطبيعة ويد الزراع معاً . هنالك ترى السنابل تتمايل طرباً وترقص جذلاً كانها نشوى بما في قلبها من البرّ الذي بدونه لا يحيا الانسان ، او كانها هائمة بمداعبة النسيم وخرير الماء وثغاء الشاء ، اوكانها تريد أن تشكر لمبدعها الذي انبتها وللفلّاح الذي تعهدها وربّاها منذ كانت بذرةً الى ان صارت سنبلة

وأيّ مشهد اطيب للنفس واقرّ للعين وأدعى الى الانس من ان ترى القرويين يتساتلون عند انبثاق الفجر الى حقولهم زرافاتٍ زرافات ، وعلى منكب كل منهم سكته ومعوله ، وفي يديه مهمزته ومزادته وخريطته ومزماره وقيثارته ، وامامه قطعانه وثيرانه ، وفي صدره همة شماء للدأب في العمل ، وفي فؤاده امل كبير بان موسمه سيكون مقبلًا كل الاقبال بعد اتكاله على مولاه الجوّاد وتعويله هو على نشاطه وجده . وحينئذ يقوى على عيالة اهله الذين يعينونه صغارًا وكبارًا على حراثة ارضه وزرعها . .

يمر النهار ولا شاغل يشغله عن عمله ولا همّ يقلق باله ، وضميره مطمئن لم يلوّث بدنيئة ولا بمال حرام ، ونفسه ساكنة شريفة لا تطمح الى المناصب

والمراتب العالية ، ولا تحدثه الا بأن يعمل في حقله حتى يستغني عن النـاس ، واكره الاشياء اليه ان يطمع في مال غيره ، او يحسده على نعمته ، او يزاحمه على رتبته ، او يغبنـه في بيع مزروعاته ، او يبيعه الحليب مشوباً بالماء . وابغض الرذائل الى قلبه ان يثلم عرض قريبه ، او يبطن له المقت ، او يضمر له الشر ، او يحتال عليه ، او يمكر به الى ما هنالك من المفاسد التي يتنزه عنها ، وربما لا يعرفها ، لانها من مقترحات المدنية ولا اثر لها في العيشة الحقلية . .

هذه هي السعادة بعينها ، وما اقلَّ المتمتعين بهـا ، ولا سيما في المدن حيث تسود المطامع وتجول المخابث وتكثر الافتراءات وتتوالى الخيـانات ، وحيث ترى الضمائر سابحة في بحر المنكرات والمخزيات على غير مبالاة ، وحيث تنازع البقاء معقود غباره ، والحسد مشبوبة نيرانه والأثثار هائج بركانه ، والجـور موطدة اركانه ، وحيث لا يطيب للتاجر الا الخـداع والغبن ، وللمستخدم الا الخيانة والمكر ، وللحاكم الا الحيف والضغط ، وللقاضي الا الرشوة والظلم ، وحيث لا يحلو للزوج الا ان يخرق حرمة الزواج ، وللشاب الا ان يتمرغ في الحمآت ، ويسبح في بحر الشهوات ، وللفتاة ألا ان تذهب في ميدان التهتك كل مذهب خالعة إزار الحياء ، موارية العفاف في نعش القحة بعد ان نسجت له كفنا صفيقاً من الاستهتار

فبئس الحياة المدنية ونعم العيشة البدوية ، فاذا راقك ان ينعم عيشك ويهنؤ طعامك وتطيب حياتك ويطول عمرك ، وان تطوي ايامك بالشرف والنزاهـة والاباء والاستقامة ، فعليك بالحياة الحقلية فهي منزهة عن شوائب المجتمع وخالية من العيوب اللاصقة بنفوس اهل الحضر

وما اجهل الذين ينظرون الى الحراث نظرة ازدراء ، حتى كأن الزراعـة مهنة وضيعة زرية وكأن الفلاح هو من نفاية الناس ورعاع القوم . ولا ريب ان الذين يذهبون هـذا المذهب هم جديرون بالامتهان ، بـل هم من أقصر الناس نظراً وأسقمهم رأياً ، فلا ينظرون الى الجوهر ، ولا الى النفع الحقيقي ، بـل

تعمي بصائرهم الظواهر الخداعة فيبنون حكمهم على الزخارف الختالة والمحاسن الغرارة ويعلقون بالاوهام . كيف لا وهم يزعمون ان المرء قائم شرفهُ بمنصب رفيع يسند اليه ، او برتبة سامية ينالها ، او بثروة طائلة يرثها من ابويه او يفوز بها بجده ، او بحسن طالعه الى ما هنالك من المزاعم التي لا تنطبق على الحقيقة . والذي نراه ويراه كل عاقل ان اجدر الناس بالاحترام من كان انفعهم لبلاده . والزرّاع هو في نظر الحكماء اجدى من السياسي والتاجر والمثري ، لان يده العاملة تنزل على البلاد الخيرات ، ومحراثه الحديدي الذي يعزق به قلب الارض يلقي بين يديها الكنوز الذهبية . فلولا الزراعة لشلّت يد الصناعة وكسدت سوق التجارة . ولله درُّ من قال ، وهو من اكبر فلاسفة هذا العصر « ان اداة الغنى الحقيقية هي المحراث ، والبلاد التي تعتمد على ذهبها بدون ان تعتني بحرث ارضها وزرعها وإنماء اغراسها ، يتعذر عليها ان تطعم سكانها » وقال احد علماء الفرنسيس من امد غير بعيد « يجب على الحكومة ان تُمد الفلاحين بجميع ما لديها من الذرائع حتى يتسنى لهم ان يستخرجوا من ارضنا ما نحن في امسّ الحاجة اليه ، فنستغني عن استيراده من البلاد الاجنبية . وما من واسطة انجع من هذه الواسطة لرفع منزلتنا المالية وتحسين حالتنا الاقتصادية ومقاومة اعدائنا الذين يجدّون ايَّ جد في ان ينقصوا من قدر اوراقنا النقدية حتى يزعزعوا دعائم ثروتنا ويضعفوا ثقة الاغيار بنا »

وان روكفلر ذلك المثري الاميركاني الشهير بعد ان ساح في اوربا بضعة اشهر عاد الى بلاده ، فسأله اصدقاؤه عما رأى في رحلته من المشاهد الجديرة بالعجب والاعجاب فقال على الفور : « ان اعظم مشهد رأته عيني هو رؤيتي القرويين الفرنسويين يعملون من الشفق الى الغسق بجد لايعرف الملل حتى يصلحوا اراضيهم ويرمموا منازلهم التي خربتها الحرب الكونية . ولا جرم ان هذا العزم المعروف به الشعب الفرنساوي هو الذي جعل فرنسا في المقام الذي نراها فيه »

فلو زار روكفلر او غيره من السيّاح هذه البلاد وتفقد بيوتها التي لا تزال

حتى الآن خربة ، ورأى حقولها الجرداء ، واراضيها الجلحاء ، وانقاضها البالية ، واطلالها الباكية ، ودمنها الدامية ، لرثى لحالتنا ، ورق لجمودنا وخمولنا ، وعاد الى وطنه وفي نفسه اسوأ اثر . فأين الصبر الذي عرف به الشعب اللبناني ، واين الهمة التي رافقت آباءنا واجدادنا حتى نقروا الصخور ، وحفروا الجبال ، وجعلوا من تلك الاراضي الصلدة حقولاً خصيبة ، ومن تلك الآكام الغامرة قرى عامرة ، ومن تلك المستنقعات حدائق غناء . فكأن السواعد القوية في وطننا العزيز قد اعتراها الشلل حتى تركت الشبيبة ارزاقها بوارًا ، ونزحت عن هذه الديار الى المهاجر حيث تذوق المرائر ، وهنا الضربة القاضية والطامة الكبرى

ألا التفاتةً الى هذه البلاد المنكودة ، فان الخراب يتهددها من كل جانب . أوَما كفاها ما قاسته من البلايا الفادحات في تلك الحرب الظالمة القاسية حتى تنكأوا اليوم قرحتها بجلائكم عنها . تأملوا ايها الشبان الاحباء بسوء مصيركم وأقلعوا عن مهاجرة اراضيكم كما كان شأنكم قبل الحرب . واحرثوا بقاعكم حتى تعود الى حالها الاولى ، فتكفيكم مؤونة الهجرة المرة ، والا جنيتم عليها وعلى نفوسكم جناية لا يغفرها لكم حفدتكم . وانتم ايها الاغنياء ساعدوا الزراعين على احياء املاككم وأنجدوهم بالمال واعطفوا عليهم حتى تحيوا بقية الامل الضئيلة الباقية في صدورهم . فيبقوا من حولكم يعملون في سبيل مصلحتهم ومصلحتكم معاً . فانتم لا تستغنون عنهم وهم لا يستغنون عنكم ، والنجاح مضمون بالتضافر والتناصر ، والفشل واقع مع التواكل والتخاذل . وما اسعد الزرَّاع الذي يعول على زرعه وضرعه ، ويعتمد في معاشه على امولى الرزاق ثم على عرق جبينه ومتانة ساعده ونضارة عافيته ، ولا يتكل الا على رأس معوله ونفاذ محراثه وقوة فدانه

الممالك بصناعاتها

« لأمـين البستاني »

متى كثرت الصناعات في بلد قل هو بلد العلم والثروة والرقي اذ لا تجتمع الصناعة والجهل ولا تجتمع والفقر ، وانما هي بنت العلم وأم الغنى واليسار ، وربما اغنت الصناعة عن الزراعة اذا راجت سوقها وقامت تجارتها ولم تغن الزراعة عنها وان أدرّت الخير وانبتت لاهلها البركات . هذه بلاد الانكليز مثلاً أي حزائرهم البريطانية قد ضاقت عليهم مع نسبة عددهم الكثير ومع ذلك كفتها صناعاتها التي تصدر الى انحاء العالم محمولة على آلاف من سفنها التجارية ترسل نسيجاً وماعوناً أو نحاساً وحديداً وتعود ذهباً كريماً وفضة بيضاء حتى أصبحوا أثرى أمم الارض. ومثلهم الفرنسويون الذين جمعوا اليهم الزراعة والصناعة معاً . وكذا الالمان فقد صاروا ، على حداثة امبراطوريتهم المتحدة ، من الغنى بمكان قبل هذه الحرب التي رماهم امبراطورهم برزاياها وعرضهم بها على الهلاك والدمار وكأنَّ ما اعطاهم بيد سلبهم إياه بأخرى ، حسنة بسيئة وقد تكافأتا .

وللصناعات فوائد جلائل للامة فهي اذا أصدرتها الى البلدان الاجنبية اصابت منها المكاسب الكبرى ، واذا باعتها طيّ بلادها باعتها لأبنائها بالثمن السهل اللين وهي تشغل طبقات كثيرة من فتيان الامة وفتياتها لولاها لضاق بهم العيش ولنكدت عليهم الحياة ، ولا يظهر اثر ذلك الا يوم تقع حرب أو يقوم اعتصاب وشغب تبطل معها الاشغال الصناعية ، وتمسي عشرات الالوف من الناس ولا عمل لهم ويصبحون عالة على كاهل الامة ، وما اكثر الشواهد والعبر التي تمر بنا في هذه الايام أيام الحرب والاعتصابات . وبعد هذا كله اذا شئت ان تعرف فضل الصناعة وانها أنهض دليل على مدنية الامة وثروتها وعلو كعبها في العلوم والفنون فانظر الى آثار مصر لعهد فراعنتها وبطالستها . والى اثار اثينا ورومية . والى اثار سورية

لعهد فينيقيا وورومانها والى عاديات اشور وبابل تجدها كلهـا ايات صادقات على تقدم الصناعة في تلك الدول والاجيال وفي ذلك فخر مخلد لها يدل على ان الصناعة هي حياة الامم ما بقيت هذه الامم ثم هي حياتها ايضاً اذا هلكت تترجم عن سابق مجدها وتحدث عن ماضي عزّها .

وأحق الحكومات باحياء الصناعة وترقيتها إنما هي حكومة مصر خليفة دولها العتيقة التي أعجزت الدنيا بجمال صناعاتها حتى كان ما خلفت من الآثار زينة الدهر وحلية كل بلد عظيم مثل باريس ولوندرا ونيويورك وغيرهن من المدائن التي أوتيت حظاً بامتلاك شيء من نفائس قدماء المصريين وانزاله ساحاتها وباحاتها كما تنزل الاقراط والعقود في الآذان والاجياد . وقد تنبهت الحكومة المصرية للعلم بعد ان أفاقت من العسر والقروض التي اثقلتها فشادت المدارس واكثرت منهـا حتى أعطت كل مكان حقهُ ثم التفتت للصناعة فأنشأت لهـا بعض المدارس ثم جرت على اثرها مجالس المديريات فأقامت شيئاً من مدارس الصناعة ، إلا ان كل هذا لا يغني ولا بد من المزيد وبذل المقادير الكثيرة من المال مما يمكن الحكومة معهُ تجديد المدارس الصناعية واتقانها بان تجلب اليها قوماً من حذاق اهـل الصناعات حتى تجتمع لمصر مزيتا الزراعة والصناعة وحتى يتدفق الخير في واديها وينساب في أباطحها كما انساب نيلها . أترى عيوننا أم عيون ابنائنا وحفدتنا قطننا البديع الفاخر يغزل على معاملنا وتنسج منه اثوابنا ومفترشات بيوتنا شأنــهُ في بلاد اوربا . لقد بدأنا بصنع الطربوش في معمل « قها » لنكسوَ رأسنا فهـل لنا ان نكسوِ سائر الجسم من صنع أيدينا كما تكسى الامم والشعوب الراقية . وفقنا الله لادراك هذه الامنيَّة وأمثالها من حاجياتنا وكمالياتنا حتى نغنى عن مجلوبات الغرب بقدر ما نستطيع وأولها الابرة وخيطها ومعلقة الاكل ومسواك الاسنان ، وهـذه الاشياء أهون ما نجلبه من اوربا ، وانما لاعناء لنا عنه . فلتجدّ الحكومة في خدمة الصناعات لأنها تؤدينا الى الحياة الصحيحة التي هي أليق بالنوع الانساني وهي ترفع الناس جملة عن خشونة الهمجية وتذهب بهم الى نعيم العيش على جهـة ملابسهم ومآكلهم

ومجامعهم وسائر حالاتهم المدنية . فاذا نظرت الى الهمج الذين خلوا منها ، والى الامم التي حصلت عليها رأيت الفرق بينهم يكاد يكون كالفرق بين الوحشي والآدمي ، والفضل عائد للصناعات التي هي زبدة المدنية وخلاصتها .

الامم في معاملاتها

اصدقوا فيها تفلحوا

« له ايضاً »

اذا صدقت الامة في معاملاتها فبشرها بالفلاح واليُمن . حكمة تصدق في الامة جملة وفي أحادها ايضاً . فاذا علاك دَين فاقضهِ عند اول الميسرة تخلص منهُ فهو صديقك عند الحاجة اليه وعدوك عند المطل فيه ، وليس العار في الاستدانة فهي من لوازم المدنية والمعاملات ، بل العار والضرر واردان من المطل في اداء الدَّين وتعاظم فوائده عليك حتى تعجز عن اداء أصله وغراته . وما ضرَّ مصر في ديونها الدولية وهوى بها غير المطل في ادائها أو العجز عنه ، وعن هذا العجز تفرع كل ما نحن ناظروهُ اليوم . مَن استدان فليستدن على قدر طاقته فان جاوزها وطفر عنها ضاع في الضائعات . قلنا ان الدَّين ليس بعار على الامة ، وهو على ضد ذلك فرج لها ونجدة عند الحاجة اليه ، وأية أمة خلت من الدَّين الذي وجد في الدنيا منذ تمدن الانسان وتحضر ، بل من عهد كان الانسان على فطرته الاولى وانما تطورت صور الديون وطرقها واوصافها مع تطور مدنيته فقد كانت في مستهل أمرها استعارات من غير مراباة وكانت قبل ضرب النقود اعياناً باعيان . فلما كثرت المعاملات وترقت الحضارة وضرب النقدان الكريمان (الذهب والفضة) وغيرهما صار معظم الدَّين عن نقد ، وما زال الناس يتفننون فيه كلما فشت معاملاتهم وعظمت تجاراتهم حتى بلغوا به صنوفه الحاضرة فمن دَين مدني الى دين تجاري ومن دين مطلق الى دين مقيد مأخوذ على رهن أو معلق على كفالة او تضامن وما شاكل واصبح يدور في المعاملات بحكم الضرورة القصوى كما يدور الدم في

العروق فاذا وقف هذا مات صاحبه واذا وقف الدَّين في المعاملات ماتت هذه ، وانما يشترط فيه الصدق في المعاملة حتى ينتفع منه الدائن وتنفرج به أزمة المديون وإلا انقلب شرًّا عليهما كليهما . ذاك لعدم حصوله عليه عند عدم الاستيثاق من رهن او كفالة وهذا لتراكب الفوائد على عنقه الى ان يضيق بها ذرعاً وتستوعب كل ملكه . واكثر دَين جمهورنا من هذا النوع . عرفت كثيرًا من الاقوام بدأوا دَينهم بمئة دينار وانتهوا به الى الخمسمائة . وعرفت شخصاً في الشرقية استلف من مرابٍ ٤٠ دينارًا فبلغ دينهُ بعد زمن غير طويل ثلثمائة . وانك لتجد الفلّاح يعاني كل بلاء في زرع قطنه وفي تعهده له بالتنشئة والتنقية ، والريُّ تغمره أمواههُ الى أعلى فخذيه ويبيت على الطوى ليالي في غيطه حتى اذا اقطن ذلك الزرع المبارك أي صار قطناً جاء المرابي فأخذ القطن بما تحته من اعواد شجيراته والفلّاح يدعو عليه وعلى نفسه معاً

ولم تجئ هذه البليّات الا من سوء المعاملة وتجافي المديون عن قضاء مداننه حقه الذي له عليه فيطمع هذا بكل ماتملك يداه ويزيد في الرباء . فلو أدى المدين اليه عند ميسرته لزال الضرر عنه او ادى اليه بعضه لخف عنه واحتمله بقليل فائدة لا أن يتركه اعواماً والدائن يضم فائدة الى أُخرى ثم يركبهما تركيباً حتى يعجز المديون عن السداد فينتزع ملكه كله بدَينه وقد قضي الامر ولا اظن بلدًا تناول فيه الدين كل طبقاته مثل قطرنا ولا اظن بلدًا كذلك تثاقل مدينوه عن قضاء ديونهم مثلنا . لقد اصبح عدم الوفاء خلقاً فينا وربما بذل الانسان منا ٢٠ دينارًا على مأدبة او على احياء ليلة طرب وأُنس ولا تطيب نفسه عن اداء مائة قرش هي عليه لدائن حتى اجتمع فينا داءان قتّالان داء المطل في الدَّين وداء المراباة العليا في تسليفه ، ووراء هذين الداءين قتل الثروة العامة واثراء المرابين الذين لا تفيد ثروتهم البلاد شيئاً ، اذ قد غلب عليهم الشحُّ وقبض اليد عن اصطناع المروءات ومؤاساة ذوي الفاقة ، فانما حب كنز المال داء عضال أعيا كل طبيب وصرف صاحبه عن كل عمل مشكور . ثم لو تأملت قليلًا لوجدت السبب الاكبر

في عسر الفلاح وفي تراكب الديون عليه انما هو الجهل الذي يضله عن طريق الصواب ويفسد عليه تدبيره فيلعب المرابي بعقله فيقع في حبائله ومعظم هذه الحبائل غير وطنية ومنها ما هو وطني واشد من تلك اضراراً بالفلاح لان المرابي الوطني اكثر حيلة وادرى بمواقع السلب والنهب من الاجنبي . وقد سبق لي في المقالة التي كتبتها على تقرير المستشار القضائي في الاسبوع الفائت ان قلت انه لا منجاة للمحاكم من كثرة القضايا ولا للفلاح من المخاصمات والمنازعات القضائية التي تكدر عليه صفوه الا بالعلم ووجوب جعله الزامياً بعد الحرب شأن سائر الممالك الراقية وأعيد هنا هذا القول واستنجد بتلك الوسيلة عينها فأقول ان العلم وحده هو الذي يرفع طبقة الفلاحين عما هي عليه من الحمق ويدفع المرابين عن قيادها واذا قيل ان في كل بلد فلاحين أجبتك ان الفلاح الاوربي له من العلم حظ يورثه فكراً ورأياً يقيانه الاستسلام للسلابين والخطافين ، أما والامر ما وصفنا فلم يبق للقطر من دواء شافٍ له من جميع ادوائهِ الاجتماعية الا تعميم العلم ونشر ألويتهِ والاجبار عليه كما يجبر الوطني على الخدمة العسكرية ولا بدل عسكري في التعليم . ولا يشترط في كل تعليم ان يبلغ به صاحبه مرتبة العالمية فان العالمية ليست بلازمة للعامة وانما العلم كيفما كان مقداره هو اللازم الذي لا تغنى عامتنا عنه الا اذا غنيت أبصارها عن النور ، ومن له منا ذلك ، ثم متى يستوي النور والظلمة

دير القمر

« بقلم بطرس البستاني صاحب البيان »

انطلقت بنا السيارة على طريق الشويفات مجتازة صحراء الزيتون الخالدة فكأنما هي وقد اطلت عن بعد ، بحيرة خضراء خفاقة الامواج بين ايدي النسيم متلألئة تحت اشعة الشمس تلقي الانزار من اوراقها عقوداً ذهبية

وما كدنا نجتاز هذه البحيرة القائمة حتى انفرج امامنا البحر اللازوردي ببساطه السندسي المفضض الاطراف تتكسر امواجه على الصخور الشاحبة فيسمع

لها انين المتيم المهجور او تنساب منتشرة على الرمال فتتلاشى انفاسها شيئاً فشيئاً

وتابعنا السير يرافقنا شاطئ البحر بنسيمه البليل حتى بلغنا الدامور ، وقد اشرفت معلقتها على سهل التوت الفسيح كما يشرف الحارس الامين على خرافه وهي سارحة في المرعى . والداموريون في الصيف يهجرون منازلهم في المدينة ، هرباً من لوافح الحر ، مبتردين بمياهه بكرة وعشياً

ولما اقتربنا من نهر الدامور اخذت السيارة تسير بنا صعداً في طريق الدير ، وهذا الطريق وعر المسالك يحتاج الى الاصلاح وانشاء المؤنسات على مشارفه ، وهو كثير المنعطفات والتعاريج تكتنفه الصخور الكدراء من جهة والاودية من جهة اخرى . فبينا ترى الى شمالك حجارة جرداء ، تلقى على يمينك في وهاد بين جبلين ارضاً ظليلة خضراء تلمع مياهها كأنها صفائح من لجين . وكأن الشاعر ارادها بقوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
يرد الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وكان سائق سيارتنا لحسن الحظ من دير القمر فلم نتزعج في توقلنا هذه الجبال الشماء ، لان سواقي الدير خبيرون بتلك الارض فيستطيع المسافر ان يذهب معهم مطمئن البال مرتاح الفؤاد

وبعد سير ساعة ونصف الساعة تعرضت لنا من علٍ «منشية» دير القمر ، وهي حديقة كبيرة خارج البلد يؤمها الديريون للنزهة وارتشاف الاقداح بين الخضرة والماء . وهي تطل على البحر من الغرب ، ومن الجنوب والشرق على بلدة بعقلين وقرية بتدين وما جاورهما من الضيع والمزارع وتنبسط تحتها قرى الوادي ودردوريت وبكرزيه

ودخلنا الدير عند المجيرة وهي بلدة قائمة في السفح من الجبل تعلو عن سطح

البحر زهاء ٨٨٠ متراً ، وتشرف عليها من الشمال غابة شربين ظليلة الاشجار ، وتكتنفها من الغرب غابة من الصنوبر

ولا ريب بان وجود هاتين الغابتين كان له فضل كبير على الحالة الصحية في البلد الديري لذلك قلما انتشرت الامراض هناك او كان لها تأثير كبير

وموقع الدير من طبيعته صحي نافع . فالهواء ناشف عليل وبيوت المدينة غير ملزوز بعضها ببعض ، وماؤها بارد عذب ، وهي غير مفتوحة للريح الشمالية فلا تجد امراض الصدر اليها سبيلاً

والدير بلد تاريخي قديم لامع الصفحات من عهد المعنيين الى عهد الشهابيين الى عهد المتصرفين العثمانين

ولم تتأخر الدير يوماً تأخرها على عهد الافرنسيين وهي البلدة التي اشتهرت باخلاصها لفرنسا الدولة المنتدبة . وكانت الدير قديماً عامرة ببنيانها آهلة بابنائها زاهرة بصناعتها وتجارتها ، فيها سوق للحرير معروفة بالقيصرية واسواق اخرى للصباغين والاساكفة واللحامين والحدادين والنجارين والدباغين ما عدا سوقين كبيرتين احداهما سوق الميدان ، وفي الجهة الجنوبية منها دار الحكومة، والاخرى سوق الشالوط وفيها يتدفق النبع الشهير وتقوم على اطرافها الساحة النكدية التي كانت في الزمن الخالي ميداناً لمشايخ الدروز من آل نكد

اما قيصرية الحرير فقد اصبحت بعد حوادث السنة الستين خراباً وبالقرب منها سطوح الخرج التاريخية . وفيها دهليز طويل يدخل منه الى كنيس قديم لليهود اصبح اليوم اثراً بعد عين

اما بقية الاسواق فقد اقفلت اكثر مخازنها ودكاكينها لان السواد الاعظم من سكان دير القمر هاجر مسقط رأسه ومتى علمنا ان في بيروت وحدها ما يزيد على خمسة آلاف ديري ما عدا الذين هم في مصر والاميركتين وافريقيا وغيرها من البلاد ، متى علمنا ذلك تبين لنا الفرق العظيم بين دير القمر بالامس ودير القمر اليوم . ويقدر عدد المهاجرين الديريين باكثر من عشرين الف نفس

ولم يتخلف فيها الى اليوم سوى ثلاثة آلاف او اقل ، والديريون رجال علم وعمل، وقد ضاقت عليهم ارضهم فهبوا الى المهاجرة طلباً للرزق ولكن الديري مهما طال بعده عن بلدته فهو لا ينفك يحن اليها ويستنكف ان ينتسب الى سواها

وفي الدير جامع قديم يرجع عهده الى ايام المعنيين . ولا تزال مأذنته تناطح برأسها السحاب . والديريون يعتنون به كثيراً فارضه ابداً نظيفة وسطوحه مرصوصة واذا نزل عليها الثلج في الشتاء ارسلوا من يجرفه عنها

وكانت الحكومة قبل الحرب مخصصة لهذا الجامع شيخاً يقيم فيه الصلوات كل نهار جمعة ولا يزال الديري يذكر بلده عندما كان يستيقظ في الصباح على صوت المؤذن الجميل وهو يصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! . .

وموقع الدير الطبيعي يجعلها في الصف الاول من المصايف اللبنانية سواء في طيب مناخها وعذوبة مائها او في تنسيق شوارعها وترتيب فنادقها وسائر بناياتها اضف الى ذلك ما يحيط بها من المناظر الخلابة والمتنزهات الشائقة

وقد نظرت اليها الحكومة اخيراً فأقرتها مركزاً رسمياً للاصطياف . واخذ المصطافون يقبلون عليها افواجاً من مصر والعراق بعد ما تبينوا ما فيها من رخص المعيشة ، وراقتهم اخلاق اهاليها وحسن وفادتهم واكرامهم للضيف

ومن المتوقع ان يزدهر موسم الاصطياف في الدير فتبلغ مستواها الحقيقي بين مصايف لبنان الممتازة

الانشآء

« بقلم الشيخ خليل اليازجي »

الانشاء ملكة راسخة في النفس يعين عليها سلامة الذوق وطول المزاولة والناس فيها طبقات متفاوتة مرجعها في الاكثر الى بداهة الخاطر وذكاء البصيرة وغزارة المادة . وله احكام اذا راعاها المجيد نبغ فيه واذا راعاها الضعيف استأنس بها فاعانته على الجوي فيه . وقبل البحث في تلك الاحكام يحسن ان

نمهد لها بما تجمل به مفصلاتها او لتشرح متونها فنقول :

لا يخفى ان كل مجموع انما يتألف من مفردات. وان بين كل مفرد وآخر في ذلك المجموع نسبة ما ، وتلك النسبة لا بد ان تكون اما موافقة او مخالفة وعلى هاتين النسبتين تترتب حالة المجموع من حيث حسنه وقبحه وتلاؤمه وتنافره ونحو ذلك من حالاته . واظهر ما يمثل به على ذلك الالوان فانه قديكون بين يديك رقعتان ملونتان بالوان واحدة فتستحسن احداهما على الاخرى وليس ثمّ من سبب الا التلاؤم بين الوان الاولى والتنافر بين الوان الثانية. وبين ترى رقعة اخرى فتقول لو وُضع مكان هذا اللون منها اللون الفلاني لكان أليق او لزال عيبها. وقس على ذلك الاصوات الموسيقية والطعوم وسائر المركبات على الاطلاق . اذن فآية الإحكام في كل مركّب انما هي الملاءمة بين مفرداتها وانما ذلك من قبيل وضع الشيء في محله

ثم ان لكل مفرد في المركب فضلًا عما له من الاعتبار النسبي اعتبارًا آخر ذاتياً من حيث حسنهُ وقبحه ينظر فيه اليه مجردًا. فمتى استوى المفرد حسنه الذاتي ثم قرن بما يتلاءم واياه فهناك غاية الكمال في المركّب وتمام الاحكام

اذا عرفت هذا وعرفت ان العبارة انما هي مجموع مفردات الكلمات عرفت ان حسن العبارة وطلاوتها مترتبان على التلاؤم بين كلمتها بعد استيفاء تلك الكلمات حقها من الفصاحة على ما هو مقرر في علم البيان وتبين لك وجه الانشاء من ابن يتأتى وهان عليك ان تعرف سبب ضعفه وقوته وصحته وفساده . ولكن بقي عليك ان تعرف موضع الحسن والقبح منه وتعيين محل الصحة والفساد فيه وما يتلاءم وما يتنافر من الكلمات. وهي غاية بعيدة المنال صعبة المسلك موكولة الى الذوق. واحسن وسيلة لاقتباس هذه المعرفة دراسة اسفار الكتبة المجيدين ومطالعة انفاس البلغاء والاقتداء بهم والتحدي لهم على ما سيأتي ذكره

فاذا وضع الكاتب نفسه من الكتابة موضع المصوّر من التصوير علم ان اول ما ينبغي له ان يراعيه في كلامه انما هو حسن اختيار المفردات على ما رسمه

علماء البيان بان تكون سلسة على السمع سهلة على اللسان مستوفية احكامها اللغوية والنحوية والبيانية وغيرها . وان لا ينحو نحو الكلم المهجورة الغريبة الا اذا اضطر الى ذلك للافتقار اليها ويترتب عليه حينئذ ان يضعها موضعاً لا يشكل جهلها فيه بالمعنى ولا يقف دونه - وذلك يتم بان تشفع بمرادف لها او تنصب قرينة في العبارة تدل عليها او تكون كالمفسرة لها . وهو استعمال يتخيره بعض الكتبة يقصد به ادراج كلمة ضمن الكلام المستعمل للاحتياج اليها او لحسن وقعها فيشفعها بما ذكرنا من الدلائل على معناها فلا يحتاج قارئها الى التفتيش عنها لتفسيرها فيستفيدها في اثناء العبارة غنيمة باردة ويكون في المقالة المدرجة تلك الكلمات فيها فائدة اخرى لغوية غير المقصود من المقالة وردت عفواً في عرض الكلام . وهي طريقة حسنة في الكتابة ووسيلة قوية لنقل مفردات اللغة المفتقر اليها من بطون الصحف الى رؤوس الاقلام واطراف الالسنة توسيعاً لنطاق اللغة المستعملة عند الكتّاب وتحسيناً للكلام وتزييناً له بما في تلك الالفاظ من الطلاوة التي اقلها طلاوة الجديد وترفعاً عن الرطانة بالكلم الاعجمية لمعانٍ ومسميات حديثة او قديمة يظن ان اللغة قد خلت عن الفاظ لها وهي مشحونة بها

كالبحر يقذف بالرمال وانما أبقى اللآلئ ضمنه للغائص

ومتى أعدّ الكاتب لديه من المفردات ما يعدّه الباني من الحجارة المنتقاة للبناء مما استوفى هذه الشرائط اخذ في الجمع بين تلك المفردات والملائمة لها بحيث لا يقع بينها ما يقع بين حروف في الكلمة من التنافر او غيره مما مرّ لان منزلة الكلمات من العبارة منزلة الحروف من الكلمة فلا بد ان يراعى هنا ما يراعى هناك

ومتى انتهى الى العبارات عمد لها فتدبرها تدبر المفردات بان ميز بين ضعيفها وقويها ومبتذلها وغريبها فلم يتخير الوجوه المرجوحة من التراكيب ولا الضعيفة من الاساليب وتجنب اعادة الكلمة المفردة بعينها في العبارات المتجاورة الا لنكتة كالتأكيد . وتكرار صورة واحدة من التعبير في اثناء الكلام على ما مر

فلا بد له حينئذ من حفظ كثير من مترادفات التعبيرات ومتشابهات الصور مع تغاير اللفظ والتركيب نظير حفظه من المفردات ولكي يستخدمها فضلًا عن ذلك فيما تقتضيه بعض مقاماته عند الاطناب والاسهاب وتعزيز الكلام وتقويته

ومن الاحكام اللفظية ان يعتمد الكاتب السهولة في التعبير ولا يميل فيه الى جهة الاغراب والتعقيد اعتقاداً انه انما يترفع بنفسه عن اتباع الوجوه المألوفة والاساليب المتعارفة ارادةَ ان يبتدع طرقاً من الكلام يحدثها لنفسه لان السهولة مع الاجادة خير من الاغراب وبينه وبين الاحسان مراحل . وافضل طريقة لتسهيل العبارات واسلوب الكلام ان يتصور الكاتب نفسه يتحدث بما يريد ان يكتبه ويتبع نسق حديثه الطبيعي واسلوبه لا يحيد عنه الا عندما تدعو الى ذلك آداب اللغة الفصحى . فيأتي الكلام حينئذٍ طبيعياً مألوفاً لا تمجه الاسماع ولا تنفر منه الطباع . وهذا الامر شديد الاهمية كثير الوقوع ، فاننا كثيراً ما نقرأ لبعض الكتبة قصةً او حديثاً نكون قد سمعناه منه يتحدث به فنتمنى لو كتبه كما نطق به ولو كان باللغة العامية طمعاً في حسن اسلوبه وطلاوته وفراراً من التعقيد والتشويش حتى يحول ذلك بعض الاحيان دون فهم المعنى

ولا بد للكاتب قبل بري قلمه وإلاقة دواته من ان يترشح للكتابة زمناً طويلًا يصرفه في مطالعة كتب المنشئين البلغاء كالجاحظ وابن المقفع والبديع والخوارزمي وابن خلدون وغيرهم ، ويكثر من هذه المطالعات وامثالها حتى تنطبع فيه ملكتهم ويقوى على تحديهم ومحاكاتهم فيعتمد حفظ اساليبهم في ضروب التعبير ارادةَ ان يستخدم نسق عباراتهم فيما لديه من الكلام لا ان يستخدمها هي بعينها كما يتوهم البعض . ولا يحسب ان في ذلك وضعاً منه او حطاً لمقامه فان الكاتب مهما ارتفعت منزلته من البلاغة واتسع صدره في مجال الكلام ليعجز عن اختلاق التراكيب الجديدة واستنباط الاساليب المبتكرة آتياً بغير ما اتى به الاولون من ارباب الاقلام الذين تناهبوا البلاغة وضروبها والبراعة وطرقها فلم يغادروا ثمَّ من متردَّم . ولا يعدُّ اتباعهم في هذا والائتمام

بهم سرقة والا كان اكثر الكتبة لصوصاً خطافين لان الكلام كاللباس للمعاني والصور مهما كثرت لا تزال قليلة بازاء المعاني . ولا بد للكاتب ايضاً من حفظ الكثير من الشعر ولا سيما ما يجري منه مجرى المثل وما يحتـاج اليه في مواطن الكلام فان لذلك منافع جمة للكاتب من تزيين كلامه وتقويته حتى لقد يبقى الكلام ناقصاً ضعيفاً مهما اجتهدت في اتمامه وتقويته حتى تشفعه ببيت من الشعر يجمل به مفصله او يفصل مجمله او يضرب مثلاً عليه او شاهداً له ونحو ذلك . ومن الكتّاب من كان اذا بلغ من الكلام الى حيث يحتاج فيه الى ايراد شيء من الشعر على سبيل الاستشهاد او غيره مما مر ولم يجد في محفوظه ما يناسب المقام ينظم له من عنده ما يتمثل به مخرجاً اياه اخراج كلام مقول . ولذلك فائدة اخرى وهي ما يسمى عندهم بحل المنظوم وهو ان يعمـد الكاتب الى البيت من الشعر فيحله الى نثر ويدمجه في كلامه تفنناً في الكلام وتزييناً له . وهي طريقة كثير من كبراء فحول الكتاب كابن زيدون والبديع وغيرهما

وبقي امر ينظر فيه الى الكلام على العموم وهو ان يكون طباق قولهم لكل مقام مقال . فمن المعلوم ان الكلام طبقات بعضها فوق بعض فينبغي ان يخاطب كل بالطبقة التي تليق به وان يختار لكل معنى من الكلام طبقة كذلك . فمتى خوطب العلماء من اهل العربية والمتأنقون من ارباب الترسل وفحول الانشاء وجب ان يختـار في خطابهم الكلام الجزل والاسالب البليغة والالفاظ المنمق بالاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز . وكذلك اذا كان الكلام في معنى شريف يقصد فيه المبالغة والتزيين كالمدح والتأبين ووصف العظمة والابهة والنصر وغير ذلك مما يذهب فيه مذهب الشعر . ومن هذا القبيل الخطب التي تصدَّر بها بعض التصانيف الانيقة وانشاء المقامات واشباهها . ومتى خوطب عامة الناس والاميون منهم خاصة وجب ان تختار الالفاظ المأنوسة والاساليب السهلة والتراكيب المشهورة وذلك كما في المواعظ والخطب العمومية والاخبار السياسية واشباهها . ولا بد في مثل هذا من اجتناب الايجاز والتعقيد والتزام الحقيقة دون المجاز

والاستعارة الا في ما اشتهر امره وصار بديهي الفهم . واذا لم يكن الافهام الا باللفظ المبتذل فهو خير في مثل هذه الحال من الفصيح والا فالفصيح اولى

ومما يلحق بذلك ان يطابق الكاتب بين المعاني والالفاظ من حيث الاطناب والايجاز والحقيقة والمجاز ويتخير الالفاظ الرقيقة والجزلة فيعطي لكل معنى ما يصلح له من ذلك على ما نص عليه علماء البيان وجرت عليه فحول الكلام الى غير ذلك مما لا تحيط به قاعدة ولا يقع تحت قانون لتشعب مسالكه وتفاوت وجوهه . ومرجعه اخيراً الى الذوق السليم وهو الحاكم في اكثر القضايا والله اعلم (عن مجلة الطبيب)

احكام الترجمة

«لجرجي شاهين عطيه»

قد يظن البعض من المشتغلين بالآداب ان الترجمة ليست بالشيء الكبير اذ ليس للمجد فيها فضيلة ابداع ولا مزية اختراع وانها مما يقوى عليه كل من عرف شيئاً من لغات الاجانب وطالع جانباً من قواعد لغته وأصولها . وليس لهذا القول حظ من الصواب ولا يقوله الا كل من يأخذ الامور بظواهرها ولا يتدبر الفرق بين جيدها وقبيحها . بل ان من تبصر في مترجمات فحول المعربين وفي غيرها مما يجيء به المتطفلون على هذه الصناعة ثم قابل كل فرع منها باصله ونظر مقام الفروع من الاصول عرف ان المسألة ذات بال وفهم ان التأليف لهو اسهل مركباً وادنى مطلباً في كثير من المواضع من التقريب الذي يلتزم معانيه ان يجيء بكلامه مطابقاً للاصل في اللغة المنقول عنها وموافقاً لذوق اهل اللغة المنقول اليها . فان لكل قوم مذاهب في القول واذواقاً في الانشاء يختلفون بها عن سواهم . ومن هنا يتبين البعد بين الامرين لان المؤلف اذا زلّ فزلله له وعليه واما المعرّب فزلله يلطخ بالجريرة من هو بريء منها

وقد كثر المشتغلون بالترجمة في هذا العصر لشدة حاجتنا اليها ولكن المجيدين منهم نفر قليل وليس هذا الامر بغريب اذا اعتبرنا ان اكثر المترجمين قد تكون بضاعتهم من العربية وآدابها مزجاة . ومما يزيد في الطين بلة تسرعهم وعدم تدقيقهم في كثير من الاحيان . ونحن الآن مفتقرون كل الافتقار الى ان نأخذ عن الاجانب علومهم وادابهم ونترجم عن لغاتهم ماتنقص عنه لغتنا وليس في ذلك عار علينا بل العار كل العار اذا وقفنا على ما نحن عليه الان واستغنينا وما نحن في غنى . ولكنني رأيت كثيرين يشكون من اغلب الكتب المترجمة قائلين ان في بعضها من التعابير ما لا يفهم له معنى قطعياً وان كثيراً منها ركيك يفسد ملكة القارىء . وعلى ذلك فما الفائدة من نقل الشيء بعد اضاعة رونقه وتشويهه واين هذا من شروط الامانة التي تقضي بالمحافظة على المنقول وانزاله بمثل المنزلة التي له عند اهله . وللترجمة احكام ينبغي مراعاتها والجري عليها وعلى المشتغل بهـا ان يكون مطلعاً على قراعد اللغة بارعاً في الانشاء . والا فيكون مثله مثل القرد الذي اراد ان يري البهائم الفانوس السحري فأتى بالصور وكل ما يلزم من الادوات ولكنه نسي اهم شيء وهو انارة فانوسه

وقد ذهب كثيرون وفي جملتهم سعيد بن بطريق (وهو البطريرك الاسكندري افتيشيوس) الى ان الترجمة يجب ان تكون بالحرف ورأى غيرهم ان وجوب التقديم والتأخير فيها والتصرُّف بحسب ما يقتضيه المقام . والاحسن ان لا يبيح لنفسه التصرف بثمرات افكار غيره لانه ليس بمقام المؤلف ولا ان يقيد نفسه بالاصل بمعنى انه يبقي التعابير على ما هي اولاً بل عليه ان يحافظ على الافكار المقصودة ويبرزها في قوالب عربية وذلك بان يقرأ العبارة الاجنبية ويفهم معناها ثم يأخذ المعنى ويكتبه بعبارة فصيحة من عنده وعلى هذه الطريقة يأتي الكلام وليس عليه اثر للعجمة . وقد جمعت عدة ملاحظات تفيد مراعاتها في الترجمة واني اسردها هنا حباً بالفائدة :

١ً — ان كثيراً من التشابيه والاستعارات والكنايات مما يكون في لغته

بليغاً اذا عرّبته بلفظه جاء بارداً مستهجناً فعليك ان تبدله بغـيره من تشبيه او استعارة او كناية ينوب منابه في تأدية المغزى المراد

٢ً— ان الاجانب لقلة المترادفات عندهم يضطرون الى اعادة الكلمة مراراً كثيرة فتجنب متابعتهم في هذا الطريق وعلى الخصوص لان استعمال الضمائر مباح عندنا اكثر مما هو مباح عندهم ولان عندنا للكلمة الواحدة من المترادفات مـا لا تراه في لغة اخرى

٣ً— استعمل القيود في مواضعها وان خلت من مثلها اللغات الاجنبية فانهم يقولون مثلًا مجلس ممتلئ وكأس ممتلئة وطرف ممتلئ الخ . ونحن نقول مجلس غاصّ وكاس دهاق وطرف مغرورق بتحصيص كلمة لكل باب

٤ً— اذا كنت في مقام قصص وسرد وقائع واستنسبت حذف بعض الجمل او تقديم بعضها وتأخير الآخر فلا بأس من ذلك على شرط ألّا يختل المعنى بل قد يمكن لك ايراد القصة بقالب غـير قالبها الاصلي اذا رأيت في ذلك ما يكون اشدّ وقعاً في النفس

٥ً— ان كثيراً من الالفاظ تتغير مرادفاتها في العربية بتغير المواضع التي تقع فيها مثلًا كلمة Personne الافرنسية معناها شخص و chose معناهـا شيء . الا انا اذا جمعنا الكلمتين فلا نقدر ان نترجمها بالاشخاص والاشياء كما فعل البعض (راجع الغراماطيق الفرنساوي والعربي طبع الاباء اليسوعيين) وذلك لان كلمة Personne عندئذٍ يراد بها ما يعقل وكلمة chose ما لا يعقل . اما الشخص فمعناه الجسم الذي له مشخص او حجمية (الكليات) فهو يعم ايضاً ما لا يعقل . وعلى ذلك قول المتنبي :

صيامٌ بابواب القباب جيادهم واشخاصها في قلب خائفها تعدو

فاستعملها للجياد وهي مما لا يعقل . وبناء عليه لا تصح ترجمـة Personne هنا بشخص . ومثلها chose لا تصح ترجمتها بشيء لان الشيء هو مايصح ان يعلم او يخبر عنه فيشمل الوجود والمعدوم ممكناً او محالاً قديماً او حديثاً « عاقلا او

غير عاقل » فهو أعمُّ العام كما ان الله اخص الخاص ولذلك يقال في امثالهم انكر من شيء . فيجب ان تُترجم هاتان الكلمتان بالعاقل وغير العاقل . وامثال ذلك كثيرة في كلامهم فانتبه اليها

٦ً — ان كثيراً من العبارات تكون خاصة بلغة من اللغات اي انها تكون مما جرى فيها مثلاً او مما يؤخذ بمعنى المجاز ومثل هذه لا يمكن ترجمتها بالحرف بل يذكر المعنى المقصود بها ضمنياً . وقرأت منذ مدة ترجمة قصة السنديانة وفيها ان الصفصافة أذعنت لقوة الريح et ne lui a nullement donné prise (اي ولم تتعرض لصدماتها) فوجدتُ الترجمة العربية هكذا : « ولم تعطها قبضاً عليها » وهي الترجمة الحرفية للعبارة الفرنسوية ولكنها لايفهم المراد منها قطعياً والصحيح ان هذا التعبير مأخوذ بقول المجاز والمراد بها انها لم تتعرض لصدمات الريح كما ذكرنا فانظر الفرق بين هذا المعنى وتلك الترجمة . ويقرب من هذا ما نشاهده غالباً في بعض الجرائد مع انه يمكن المترجم اجتنابه بالتروي ومراجعة المعجم

٧ً — قد يكون لبعض الكلمات معانٍ كثيرة تختلف باختلاف المواضع فاحذر ان تضع المعنى الواحد منها مكان الآخر . فكثيراً ما يترجم الكتّاب كلمة بمرادف لا يصلح لها في ذلك المقام فيختلُّ المعنى وتضطرب سلسلة الانشاء . وقد قرأت منذ مدة غير بعيدة في احدى الجرائد تلغرافاً من شنغاي هذا هو بنصه « يزداد سكان الولايات الجنوبية بغضاً للاجانب .... ويتنبأون هنا بحدوث انفجار عظيم في آخر هذا الشهر » اه . ولا معنى للانفجار هنا وان هو الا لغزٌ من الالغاز وطلسم من الطلاسم . على ان الكلمة التي ترجمت بالانفجار تفيد ايضاً « الثورة والهياج » فلو وضعت احدى هاتين الكلمتين لاستقام المعنى وصحت الترجمة

٨ً — لا تترجم شيئاً دون ان تكون على بينة من حقيقة معناه واذا التبس عليك فهم فقرة فلا تحاول ترجمتها بما يمكنك تأويلها به لانك بذلك قد ترتكب غلطاً فاحشاً وتنسب الى الواضع ما هو براء من وصمته . كما وقع في ترجمة بردة

العارف البوصيري الى اللغة الفرنسوية في كثير من المواضع ـ منها ما جاء في ترجمة هذا البيت :

كالزهر في ترف والبدر في شرفٍ والبحر في كرم والدهر في همم

فان المترجم قال :

Comme . . . la lune dans son plein . la mer dans son immensité et le siècle dans ses soucis

فجعل الشرف وقت تمام البدر . والكرم الاتساع . والهمم الهموم . وهو تفسير غريب في بابه . . . .

هذا قليل مما يمكن ايراده من الملاحظات في هذا الموضوع وبقي علينا انه لما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه بصور وهيئات متعددة بعضها اوضح من بعض تعين على الكاتب ان يختار من تلك الصور ما كان ابلغها وقعاً واسدّها تركيباً ؛ فانك كثيراً ما تقرأ فصلاً معرّباً فتنفر منه نفسك لما تراه في عبارته من الركاكة ثم تراجعه في اصله فتجد الفرق بين النسختين كالفرق بين الثريا والثرى . والافكار السامية اذا أبرزت بتعابير ركيكة ناقصة المدلول تفقد قيمتها وتضيع فائدتها وتكون كأمير يظهر باثواب رثة وهيئة زرية فتزول عنه دلائل رتبته ويصير مجلبةً لاحتقار الناظرين اليه وهـذا شأن كثير من الكتب الجليلة التي عربت تعريباً سخيفاً فأعرض عنها الناس وربما نسبوا عيبها الى مؤلفها بزعم ان المترجم نقلها كما هي وما كان عليه ان يصححها ويكسبها رونقاً من عنده . وأغرب من هذا كله ان جماعة من المشتغلين بالترجمة يدعون ان ما يلفقونه من التراكيب غير العربية لهو من محاسن الانشاء الافرنجي التي تفتقر اليه لغتنا ، ومن ثَمَّ صاروا يتزغون بها كلما كتبوا جملة وخاضوا في موضوع . وفاتهم ان اللغة فيها من اساليب التمير ووجوه الكلام ماتضيق به على سعتها عن قبول ما يدخله فيها امثال هؤلاء «النيولوجيين» وان الفائدة انما تقوم بنقل علوم القوم وآدابهم الى لغتنا لا بتشويه محاسنها ببعض عبارات سخيفة نريد ان نكمل بها نقص افصح اللغات ولا يخفى ان اكثر الكتب

المتداولة بين ايدي الناس في هذه الايام هي مما يعرّب عن الافرنج ناهيك عن الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية التي اكثر ما فيها منقول عنهم وفي بعضها من التراكيب البعيدة عن مواطن الفصاحة ما يأباه الذوق بل هو مما يفسد ملكة القراء ويكون مزلةً لهم ، وربَّ قرارة تسفهت قرارا ، فاذا لم ينتبه كتّابنا الى هذا الامر فشا الخطأ وعمَّ الخلل وصار من الصعب اصلاحه .

من خطاب الى السوريين في اميركا

« لداود افندي بركات »

يا ايها السوري الذي هجر ربى لبنان وارباضه ، وربوع سوريا ومراتعها ، الى بلد انزل الله عليه الخير والنعمة طلباً لتلك النعمة وذلك الخير ، وعلى قلوب اهله النشاط والحرية والهمة والعلم والمدنية تطلباً لتلك الصفات الجميلة والخلال الحميدة . يحييك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ويمد اليك من فوق البحار يد الاخاء يحثها لمصافحتك توقانٌ اليك هو توقانٌ الى نفسه ، وغيرة عليك هي غيرته على ذاته ، وشغف بك هو شغف بجاله . يرقب في الرقي والنجاح خطواتك كما يرقب خطواته ، ويسير في مصر الهوينا الى مرامي آماله الكبار ومنازع نفسه ليل نهار . وعين منه الى طريق افلاحه واخرى الى منهج اخيه في العالم الجديد في سبيل نجاحه . فاذا كنا على صلة ما وعلاقة بالتجارة والصناعة والجمعيات والحياة المشتركة فان لنا في تلك الارض التي هجرناها والبلاد التي انبتتنا فاحببناها عروة وثقى تربط متفرقنا وتجمع شملنا بل مرجعاً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانينا ، فاذا تداعى منا عضو في بلد من بلاد الله او في قطر من اقطار اليابسة تداعت له سائر الاعضاء . فعين تدمع في اطراف اميركا تدمع لها كل عين في سوريا ومصر بل في كل قارة ويبس من العالم حيث يقيم السوري او ينزل . وثغر يبسم في فيافي السودان تبسم له ثغور اخوانه في كل مكان . فاذا ما اتيح لنا ان نتناجى على صفحات الصحف وليس لنا وسيلة للمناجاة

غيرها اطلقنا هذا القلم الضئيل يحدث اخواناً بما تكن الصدور وتسر النفوس وتخفي الضمائر

اخواننا المهاجرين تركتم بلاداً انبتتكم الى بلاد آوتكم فاذا كان للثانية فضل المضيف فان للاولى فضل المنبت الوالد والمربي المحب . ولقد كنتم بررة بتلك الام التي رضعتم افاويق اخلاقها وآدابها فنفحتموها بثمرة ايديكم وجنى نشاطكم واقدامكم فصارت سوريا على شيء من الثروة والغنى اذا لم تحسدها سائر الاقطار فانها هي ذاتها تغبط نفسها ببنين جابت ارجلهم كل ارض تشرق عليها الشمس بل ان الشَمس لا تشرق الان على ارض ليس فيها سوري حتى صار من حقوق سوريا اذا رأت سحابة في الافق ان تقول لها امطري حيث شئت فان لي من نتاج خيرك نصيباً بفضل ابنائي . لكن هذه الغبطة تشفق ان تكون ذات يوم عصة اذ تضيع قوة بلادنا الهاجرة ارضنا وتنكرنا سلالة تلك القوة ان لم تعرفها ولم تعرفنا ومن لا يعرف شيئاً كيف يحبه

اجل ان سوريا تشفق منذ الآن من ذلك اليوم العصيب الذي يصيبها فهل ترون يا ابناءها الذين تحبونها ان تكفوها مؤونة ذلك اليوم الذي تقف فيه ناظرة الى مئات الالوف من خيرة ابنائها وقد هجروها بتاتاً ونسوها نسياً تاماً ولم تعرفها سلالتهم

الا ان لسوريا حقاً تطالبهم به منذ الآن . فاسمعوا صوتها الصارخ ولبوا نداءها العالي ، وثقوا انه لا يجتمع الآن سوريان حتى يتحادثا باخوانهما المهاجرين ومآلهم . فاذا كانت الصحافة بينكم قد خلقت لكم جامعة وذكرتكم بايام الصبا ومراتعه وجمال لبنان وبهجة دمشق ورواء حلب وخصب حمص وكرم الاهل ومحبة الاوطان فهل يكون ابناؤكم مثلكم وهم لم يتعلموا لغتكم ولم يذوقوا لذة بلادكم ولم تنطبع على قلوبهم واذ غتهم محبة ارضكم . سائلوا ايها الاخوان انفسكم معنا واخيروا الجواب الذي يرضينا ويرضيكم اخيروا هذا الجواب المرضي بانشاء المدارس التي تعلم ابناءكم لغتكم وتاريخ بلادكم واحفظوا

لاولئك الابناء تلك الجنسية الثمينة لانها لا تضر بكم في دار هجرتكم وهي تنفعنا وتنفعكم لانها تحفظكم لنا وتحفظنا لكم ، ولأن لبلادكم مستقبلاً زاهراً تشرئبُ اليه الاعناق منذ اليوم فانتم احق به من كل مهاجر ، لان السكك الحديدية بدأت بتقريب الابعاد وتقصير المسافات وتعمير الاراضي الخصبة التي لا نظير لها في الخصب والجودة في سائر المعمور . فقد باتت حلب على مسافة يوم من بيروت ، وغداً تبيت الاناضول على مسيرة يوم منها ، وبعد غد تصير سهول العراق ومعادن تدمر ومنابع الزيت في ديار بكر على مقربة من اطراف سوريا بل ان سوريا ستكون غداً ما كانته قديماً طريق الشرق الى الغرب وطريق الغرب الى الشرق . وهذا الغد غير بعيد نود ان نراكم فيه معنا بما نعرفه فيكم من النشاط وبما عندكم من رؤوس الاموال فتعمرون ارضكم البائرة الجميلة حيث تجدون العزة التي لا تجدونها في الغربة مهما علا شأنكم و كبرت ثروتكم لان الغريب كالغرسة تقلع من منبتها

اللغة والتوسع في الاستعمال

« من مقالة للشيخ محي الدين الخياط »

. . . ثم لابد لنا هنا من التنبيه على امر ذي بال وهو ان اللغة العربية لا تحيا الحياة الطيبة ولا تنتشر انتشاراً واسعاً في هذا العصر الا باستعمالها دون اعنات ولا تضييق على الوجه الذي اتصل بنا من ابنائها الاولين، تقبل الدخيل فتعربه وتعده منها وتتصرف به وتتوسع في المجاز والاستعمال كما توسع أبناؤها الاصليون بشرط ان تكون خالصة من شين اللحن وركاكة الاسلوب وان تتجافى عن التقعر في انتقاء الالفاظ الحوشية القلقة المهجورة وان تبتعد عن الاعراب او « المعاظلة » على رأي البيانيين في التركيب وان لا يسرع المشتغلون بها الى اعتقاد الخطإ في ما يتراءى لهم انه مخالف لما تعلموه من الرسوم او القواعد التي وضعها الواضعون على حسب ما اتصل بهم من كلام ابناء اللغة الاولين اذ الناقد البصير يعلم ان تلك الرسوم

او القواعد غير ضابطة وغير مستقصية لانه لم يتصل بواضعيها الا القليل من كلام أبناء اللغة الاولين كما حققه المحققون وما اتصل اليهم مما خالف تلك الرسوم سمّوه شاذّاً ثم لم يجيزوا ان يقاس عليه .

الدخيل

ترى بعض الكتبة او الشعراء يأبى او يأنف من استعمال الدخيل الذي له مرادف في العربية ولم يعلم ان القرآن الكريم نفسه استعمل الدخيل مع وجود المرادف له وقد نسج على منواله جميع كتّاب العربية وشعرائها بلا استثناء ، او لعل اكثرهم يخفى عليه ما استعمله والا فأي لفظ دخيل يتعذر وضع مرادف له . لكن النزوع الى المرادف قد يفضي بعض الاحيان الى الاعنات فضلاً عن ان الدخيل مما يزيد في ثروة اللغة ولا يجعلها ضمن دائرة مفرغة الحلقات وان كانت هي من اغنى اللغات . وذلك الآن هو شأن اللغات الحية التي تقبل كل دخيل ، على انها ان لم تقبله اختياراً فقد قبلته وستقبله اضطراراً جرياً على الناموس الطبيعي العام .

ولو بعث الله روح الشهاب الخفاجي (صاحب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل وصاحب الانتقاد على درة الغواص) الى عالم الاحياء ورأى الالفاظ العصرية التي أوجدها العلم العصري الحاضر واطلع على تطور أساليب الكتابة وتوسع الكتبة في الاستعمال لَضمَّ الى كتابه الشفاء عدة كتب مؤلفة من ألفاظ الفوتوغراف والفونوغراف والسنغراف والتلغراف والغاز والاتومبيل والبالون والوابور والوف من أسماء الآلات الميكانيكية وسائر ما اخترع في هذا العصر وعدَّ من ابكار افكار ابنائه . ولَزاد على انتقاده تلك الدرّة درة الغَواص درراً ناصعة بالمجاز لامعة بالقياس والتوسع في الاستعمال .

اللغة العربية واللغات الاوروبية

« من مقالة لجبر ضومط »

اللغات الاوروبية لاول امرها

كانت مدارس الاندلس العربية في ابان عزها بالنسبة الى بلدان اوربا كمدارس اوربا واميركا اليوم الى البلدان العربية في آسيا وافريقيا . وكانت اللغة العربية لغة العلم وعنها يترجمون . ولكن لغات القوم حتى ارقاها لم تكن تقوى على ان يؤلف فيها ولذلك كان علماؤهم وادباؤهم يعتمدون على اللاتينية ويؤلفون فيها . والذي في ذهني ان العلامة نيوتن الانكليزي كتب كتبه العلمية في اللاتينية لا في الانكليزية

في اواسط الجيل السادس عشر او في اوائله بدأت النهضة الاوربية الحالية واخذ الكتاب الفرنساويون والانكليز والجرمان يضعون الكتب في لغاتهم او يترجمون اليها ما في خزائن اللغتين اليونانية واللاتينية . فاخذت هذه تتدرج في اتساعها وغناها شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما بلغته بعد نهضة استمرت في سيرها الى الآن من غير ان تقف نحواً من اربعمئة سنة ونيف اي منذ اكتشفت اميركا الى اليوم ولا تزال حركة هذه النهضة على مثل ما كانت عليه بل هي اليوم على اسرع ما بلغته من السرعة واوسع ما بلغته من الاتساع

قلت ان القوم اي علماءهم وادباءهم كانوا يكتبون ويؤلفون في اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر ثم منذ حينئذٍ صارت مؤلفاتهم وكتاباتهم في لغاتهم الا ما قلَّ منها فاخذت تلك اللغات تزداد توسعاً وارتقاء حتى بلغت ما بلغته الان . وكانت تنظر في بدء نهضتها تلك الى العربية وتحسدها على غناها وجمالها فاصبحنا اليوم وقد انقلب بنا الحال فاصبح من كان حاسداً محسوداً ومن كان غنياً فقيراً وبالعكس

ولا بد لي من ان اشير الى ان النهضة الاوربية الاخيرة كان سبقها نهضة قبلها وهي

نهضة الاجيال المتوسطة وكان بدء هذه النهضة الاولى رجـوع الملوك والامراء الصُليبيين من الشرق ولا سيما من سوريا وفلسطين مفلولين مقهورين

والذي احب الاشارة اليه تلميحاً هو ان الاوربيين منذ ايام الغزوات الصليبية الاولى وابتداء فشلهم فيها انتبهوا لانفسهم فرأوا ماهم فيه من الجهل والانحطاط بالنسبة الى الممالك الاسلامية في الشام ومصر وأخذوا في تلافي امرهم فبـدأوا بانشاء المدارس الكلية والجامعة ويرجع عهـد بعض تلك المدارس في فرنسا وجرمانيا الى اواخر ايام الحروب الصليبية . وكان الذين يرجعون الى اوطـانهم الغربية من الشرق يحملون معهم افكاراً جديدة ومبـادئ جديدة وبالاجمال يحملون مبدأ نهضة فكرية اجتماعية دينية كانت سبباً في زعزعة ثقتهم بالحالة التي كانوا فيها وبالعلم والآداب الدينية والاجتماعية التي كانوا يرونهـا كالوحي المنزل لا يجوز لهم الخروج عنها او تعديلها بوجه من الوجوه . فلم يأت الجيل السادس عشر حتى كانوا تشربوا افـكار الشرقيين وعلوم الشرقيـين أعني العرب في الشام ومصر وفي مستعمراتهم في اسبانيا وفي العدوة المقابلة لها في افريقيا . وتمّ لهم في بدء ذلك القرن امران الاول غلبتهم على التفـوق الشرقي العربي باستيلائهم على الاندلس كلها وابعاد العرب عنها لم يبق فيها منهم الا من انتحل النصرانيـة . وهذا وان كان من الاهمية بمكان عظيم الا ان الامر الثاني وهو اكتشاف اميركا واكتشاف طريق رأس الرجا الصالح كان اهم من الغلبة على العرب في الاندلس وطردهم منها

سبب أهمية التغلب على الاندلس واكتشاف اميركا وطريق رأس الرجا الصالح

الانغلاب كما لا يخفى ذل والغلبة عز . الانغِلاب يدعو الى الخذل وقصر المطامع والرضا بالحاصل ، مهما كان ، خوفاً من الصيرورة الى ما هو ادنى وادهى والغَلبة تدعو الى عكس ذلك كله . ان طرد العرب من الاندلس كان بمثابة احساس لاوربا بالغُلب ، وأما اكتشاف اميركا فكان لاوربا غلباً ظاهراً فعلياً ،

وقد استمر لها هذا الغُلب مدى ثلاثمئة سنة كانت في اثنائها تتزايد غنى وجاهاً .
وكذلك اكتشاف طريق رأس الرجا الصالح فانه ادى الى سلسلة انتصارات على
شعوب افريقيا واسيا وغلبة على ممالك كان لها الغُلب سياسةً وتجارةً وصناعةً على
ماسواها من الممالك . وكل هذا جعل نهضة اوربا على نمو وقوة سنة بعد سنةٍ وجيلاً
بعد جيل الآن . وعلى ذلك كان الحال في الشام ومصر والعراقين وشبه جزيرة العرب
قلت ما قلت لاذكر العارفين بالتاريخ ان اوربا بدأت تستيقظ من جهلها
على عقب الحروب الصليبية وامانهضتها العظيمة فبدأت باكتشاف اميركا واكتشاف
طريق رأس الرجا . واما مصر والشام والعراق فبدأ جمودها ونومها منذ ابتدأت
اوربا تستيقظ واخذت بالتراجع منذ بدأت اوربا بالتقدم وقد ابتدأ تقدم اوربا
وتاخرنا نحن منذ اكتشاف اميركا أي من اربعمئة سنة ونيف

اللغات تابعة ابداً لاحوال المتكلمين بها فاذا تقدموا وسادوا تقدمت
وسادت واذا تأخروا وذلوا تأخرت وذلت . بدأت اللغات الاوربية بالتقدم منذ
ابتدأ القرن الثالث عشر او ماقبله قليلاً فما بلغت اواخر القرن السادس عشر حتى كانت
قد اصبحت على مستوى لغتنا العربية في ابان نهضتها وعزها او تكاد . ومنذ
ذلك الحين ما زالت اللغات الاوربية في تزايد من غنى وارتقاء والعربية في تزايد
كذلك ، لكن من فقر وانحطاط الى اواسط القرن الماضي فان العربية استيقظت
حينئذٍ باستيقاظ الدولة المصرية المحمدية العلوية واستيقاظ العشائر اللبنانية معها
وساعدها في يقظتها هذه الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية بما شادته هذه
الارساليات من المدارس العالية وبمن علموهم فيها من نخبة ابنائها وابناء السواحل
السورية . وزاد في اتساع هذه النهضة ان اكتشفنا بالمهاجرة طريق اميركا من
جديد وطريق رأس الرجا الصالح ايضاً فلم نبلغ القرن العشرين حتى استردت لغتنا
العربية ما كانت خسرته في زمن انحطاطها واستأنفت فوق ذلك كما اعتقد شيئاً
من التقدم الذي تتبعت فيه خطوات اللغات الاوربية

وها نحن الآن نحاول ان تصل العربية في قرن الى ما وصلت اليه لغات اوربا

في اربعة قرون ، على حين لا تزال اوربا سائدة ونحن مسودون ، وظافرة ونحن مظفورون (أي مظفور بنا) ومبتكرة ونحن مقلدون ، ومتبوعة ونحن تابعون وعالمة بما تصنع ونحن جاهلون ، وفوق ذلك هي مطلقة ونحن مقيدون . وذلك مما لا يكون بل لا بد لنا من الزمن الكافي لتبلغ لغتنا العربية في العلوم والفنون ما بلغته الانكليزية والفرنساوية . ولولا اني أعتقد ان الاستعداد الفطري فينا وفي لغتنا العربية اقوى اجمالاً من استعداد الغربيين ولغات الغربيين لقلت انه يستحيل علينا اللحاق بهم بعد ان سبقونا هذا السبق البين في اثناء المدة التي اشرنا اليها الا اذا حدث من الحوادث ما أخرهم وقدمنا وفلّ من عزمهم وأرهف عزمنا وكل ذلك مما ليس في الحسبان بل ليس في أفق آمالنا ما يشير اليه .

النضال القديم بين الغرب والشرق

« بقلم انيس الخوري المقدسي »

مسألة الشرق والغرب قديمة جداً ترجع الى ماقبل التاريخ المدوّن . وأساسها تنازع متواصل بين شعوب اوربا وشعوب آسيا على السيادة والتجارة . فما اسفار الفينيقيين البحرية ، وما حروب الفرس واليونان والروم ، او غارات المسلمين والصليبيين وحملات الاتراك والاوربيين ، بل ما المسألة الشرقية المشهورة ، إلا حلقات من سلسلة واحدة هي ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطئ البحر المتوسط منذ برزت من تحت المياه واصبحت صالحة للحياة

على انه لايعنى بالغرب في بحثنا الآن كل امم الغرب ولا بالشرق كل امصاره وعناصره بل يراد بالاول الشعوب السائدة المتسلطة اقتصادياً على سواها ويراد بالثاني الشرق الادنى اذ هو منشأ المدنية الروحية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ العالم . ولكي يسهل البحث علينا في هذا الموضوع ويكون الحكم فيه اقرب الى الصواب رأينا ان نقسمه الى قسمين رئيسيين وهما :

١ — مزايا المدنية الغربية

٣٠٦

— ٢ مزايا المدنية الشرقية

المدنية الغربية

او المدنية الحديثة قائمة على ثلاثة اركان هي : العلم والنظام الاقتصادي وروح التعاون

فالعلم — وهو معرفة نواميس الطبيعة واستخدامها قد سهّل على الانسان اسباب التقدم وفتح له ابواب النجاح . به اكتشفت مجاهل اليابسة وعرفت مسالك البحار وقبض على أعنة الكهرباء والبخار واخترقت احشاء الفضاء فاصبح الانسان سلطان الاكوان . ولا حاجة الى ذكر ما للعلم من الشأن في ترقية المجتمع البشري فذلك امر لا يجهله احد اليوم . على انه لابد من كلمة نزيل بها بعض ما قد يعلق في اذهاننا نحن الشرقيين عند سماعنا لفظة علم . فاننا لا نزال نطلقها على علّاتها فنقول علم الكلام وعلم اللاهوت وعلم الادب وعلم النحو كما نقول علم الهندسة وعلم الطب وعلم سلك البحار وعلم الآلات . وانما يراد بالعلم الذي هو دعامة المدنية الغربية العلم المبني على درس احوال الطبيعة وفهم نواميسها واستخدامها لفائدة الانسان . فان العلوم الكلامية مع سموّها لا تحسب في المدنية الحديثة الا عوامل مساعدة لا اركان رئيسية . هذه الدول التي نراها تتعاظم وتتبسط شرقاً وغرباً قد جعلت معوّلها على العلم الطبيعي فاستخدمته في مصانعها ومتاجرها وسخرته لجيوشها واساطيلها وجعلته عدتها في فتوحها وغزواتها . العلم الذي ينمي الثروة ويزيد قوة الانسان ويذلل له العقبات الطبيعية هو الذي يقوم عليه العمران الحديث

نعم لم تخلُ مدنية ما من شيء من العلم ولكن اية مدنية تقاس في ذلك بالمدنية الحديثة ؟ اي شعب استخدمه لسيادته ومجده وثروته كما تستخدمه الشعوب السائدة اليوم ؟ فهو مفتاح عظمتهم وبه تغلبوا على سواهم وبدونه لا تستطيع امة ان تتخلص من قبضتهم

النظام الاقتصادي — واهم اركانه المال . فهو بلا مراء دم العمران ومجرى

الحياة فيه . بل هو اهم مطلب في كل مجتمع واعز عزيز على كل قوم . تنقّل مع التاريخ في كل خطواته ورافق البشر في كل اطوارهم ، وكان العامل الاكبر في كل حركة سياسية او اجتماعية . ولكنه مع كل ذلك لم يبلغ في طور من الاطوار او في زمن من الازمان مبلغه الآن . عجل صغير من الذهب صنعه هارون لبني اسرائيل انساهم اله موسى واسحق وابراهيم ، فما قولك بعجول الذهب المنصوبة اليوم امام الشعوب في كل مكان ! اين الهياكل التي شادها الفن قديماً للآلهة والابطال من الهياكل التي تشاد اليوم لجبابرة المال ! أرأيت كرة صغيرة من الثلج تتدحرج على منحدر ثلجي كيف تبدأ صغيرةً فلا تصل الى الحضيض حتى تكون قد اصبحت اضعاف اضعاف ما كانت عليه . هكذا المال بدأ مع التاريخ صغيراً ولكنه ما زال يتعاظم كلما تقدم نحو الاجيال المتأخرة حتى بلغ معظمه في بلاد الغرب . كل شيء الآن يقاس بالمال . كل شيء تتوقف قيمته على فائدته العملية . في اميركا اليوم نوع جديد من التلفون يفوق النوع الاول ولكنه لم يستطع ان يحل محله ولماذا ؟ لان النوع الاول في يد شركة قوية تقاوم النوع الجديد وتحاول القضاء عليه لئلا تخسر شيئاً من ارباحها . هكذا كل مشروع يبقى مهملاً حتى يستطيع اصحابه ان يبرهنوا لبعض ذوي المال فائدته المالية لهم . فالمال هو المرجع في المدنية الحديثة . قف في شوارع المدن الكبرى وانظر الى مجاري البشرية التي لا تنقطع وتأمل ألوف السيارات والمركبات والقطارات ذاهبة آتية في كل جهة تحت الارض وفوقها . من يرى حركة الملايين وهم يجدون في السير لايلتفت احد الى الآخر ، من يرى هذا الزحام الهائل وهذا السعي المتواصل ولا يقف مذهولاً امام قوة المال دهشاً من شغف الناس به ؟

في الغرب كنائس فخمة ومتاحف عظيمة وصحافة راقية ومدارس غنية وفنون عجيبة ولكن ما هذه امام صروح الاموال الشامخة ؟ ان القبلة الرئيسية التي تتجه نحوها المدنية الحديثة ليست قبلة روحية او ادبية بل قبلة مادية قبابها من الذهب الوهاج والا فلماذا هذه الصروح الشاهقة والمعالم الفاخرة ، لماذا هذه الجيوش

الجرارة والاساطيل الضخمة ، ولماذا يزنون كل شيء بميزان الربح والمصلحة ؟

عرف الغربي اهمية المال فاهتم به وكيّف حياته بمقتضاه فنشأ من ذلك النظام الاقتصادي وهوعبارة عن اساليب علمية لاجل انماء الثروة والمحافظة عليها . وهذا النظام الاقتصادي هو الغاية التي ترمي اليها اليوم كل الحركات السياسية في العالم . وما الحرب العالمية التي زعزعت الممالك وافقرت الشعوب إلا نتيجة طبيعية للتزاحم الاقتصادي الشديد الذي كان بين الممالك الكبرى

الغربي يحب النظام ويميل الى المحافظة عليه وهو شديد الاهتمام باقتصادياته واحواله المالية . دقيق جداً في كل ماينمي ثروته ويزيده قوة وسطوة وسروراً . ومن ميله الى النظام نشأت فيه روح الحياة المتضامنة اي حياة الاجتماع وهذا هو الركن الثالث في المدنية الحديثة

روح التعاون والتضامن — وهي لعمري من اهم مزاياهم واعظمها فائدة لهم . كيفما واينما حللت ترى القوم محافظين على النظام قائمين بمطالب الشريعة او بكلمة اخرى تراهم يتعاونون على الوصول الى الرغائب يتكاتفون على التقدم الى الامام في كل هيئة عمومية وفي كل مشروع كبير ترى هذه الروح هي السائدة . ذلك لايعني ان الامة خالية من كل تهويش حرّة من كل عامل مفسد بل ان روح التعاون والتنظيم واحترام القانون مزية عامة في الجمهور حتى حيث لا شريعة منصوصة تراهم من تلقاء ذواتهم يميلون الى الترتيب والتنظيم لان التهويش والتخاذل يعدان عندهم اسرافاً في الوقت وفي القوة . فلو اجتمع منهم مئة على باب دار للتمثيل مثلًا وكلهم يريد الدخول لما تلاكموا وتلاطموا وانفقوا الوقت جزافاً في الزحام والضجيج بل اصطفوا حالاً السابق فالسابق ودخلوا بانتظام كلٌ في دوره وهكذا يقتصدون في وقتهم وقواهم ولا ينقصهم شيء من سرورهم

ولروح التعاون والتضامن مظاهر شتى في الامم الغربية منها :

١ — العصبية الوطنية : او مايسمونه حب الوطن وما هو عند التحليل المدقق الا ميل عام في الامة الى التعاون وقوامه تنظيم القوى تحت امرة شخص هو

الملك او الرئيس او تحت هيئة خاصة هي مجلس الامة لكي تسير في طريق التقدم والفلاح . فالامم المتخاذل افرادها لاترى لهـا من رأي عام تحترمه ولا شريعة تحافظ عليها ربالتالي لا وطنية لها فهي مفككة العرى اذا اجتمعت على امر فالى حين ثم تعود الى التخاذل والتباعض . والتاريخ شاهد على ان الشعوب الغربية كانت ولا تزال اكثر اهتماماً بالعصبية الوطنية من الامم الشرقية ولذلك قويت واشتد امرها وتفردت بالسطوة والجاه والثروة

٢ — الثقة بالنفس : وهي ايضاً من دلائل روح التعاون في الامم . تظهر في القيام بالمشاريع الكبيرة وتكريم ابطال الوطن ونوابغه . فان المشروعات الكبيرة لا تقوم في امة من الامم ما لم يكن في افرادها ثقة متبادلة تسهل لديهم انشاء الشركات والجمعيات والمحافظة عليها . كذلك قل في تكريم الابطال والنوابغ وتعظيم ما يقومون به من الاعمال فما ذلك الا ثقة الفرد بأمته وهذه الثقة تدفعه الى احترامها واحترام نفسه والمباهاة بوطنه وبذل نفسه لاجله . وما احوجنا نحن الشرقيين الى هذه الروح روح احترام النفس والثقة بالمواطنين . بل ما احوجنا الى ما للغربيين من الميل الى تكريم العظماء وتقديس اعمالهم او قل الى ستر معايبهم بدلاً من تشهيرها وابرازها مجسمة لعيون الآخرين . الثقة بالنفس دسمة من نسمات الحياة القومية فهي لاتظهر الافي الشعوب الحية القوية، وهي التي تدعم دستور البلاد وتقوي روح الشريعة ، هي التي تسهل انشاء الشركات والمجالس او هي التي تربط افراد الامة برباط الوطنية الحقة والمصالح المتبادلة فيستطيعون ان يسيروا معاً متكاتفين متضامنين

الغربي يثق بنفسه ويثق بوطنه واهل بلاده وهذا هو السر فيما نراه من تضاؤل الشرقيين وتصاغرهم امامه حتى في عقر دارهم . فهم يؤثرون كل ما هو غربي ويعظمون كل ما هو اجنبي ويعتقدون ان لا خير ولا صلاح الا فيما ينشأ من الغرباء . مرض سرى في عروق الشرقيين على اختلاف نزعاتهم حتى اصبح من اعسر الامور لاسيما وان احوال الشرق الدينيـة وتفشي الدعوات

الغربية فيه عن طريق المدارس « اللاوطنية » اي المدارس التي تحاول قتل لغة البلاد وتاريخ رجالها لا تزال ترمي الى تقوية هذا المرض وتسميم النفوس به

ولا شك ان للامتيازات الاجنبية يداً قوية في تعميم هذا الداء . فهي اقرار من الشرقي انه اقل ثقة بنفسه منه بالغربي وتباهٍ من الغربي بذلك . اوهي صورة منصوبة امام الامم الشرقية لتريهم ضعف نفوسهم وتخاذلهم ازاء الامم الغربية

الغرب غير كامل وفيه كثير من المعايب الفادحة التي لا نراها في الشرق ، فيه روح الاثرة والطمع والشهوة ولكن فيه ايضاً كثير من المزايا الفاضلة التي يجب على الشرق ان يتحلى بها واهمها ما قد مرّ معنا بيانه

المدنية الشرقية

ان حياة الشرق اليوم مزيج غريب من بعض مظاهر المدنية الغربية وبقايا المدنية الشرقية القديمة . واعني بالمدنية الشرقية تلك المدنية الروحانية التي لم تنشأ بالعلم ولم تشد على مبادئ المادة . بل ظهرت وامتدت وسمت بالعواطف وسادت على العالمين بالدين ، تلك المدنية التي انشأها الانبياء على نواميس النفس محتقرين مطالب الجسد ورفعوها على دعائم الروح غير مكترثين للطبيعة ، من برية سيناء وصحراء العرب وعلى ضفاف الاردن وبحر الجليل ظهرت شرائع الحياة الشرقية التي امتدت غرباً وشرقاً فقوضت الحضارات القديمة وتجسمت في قوتين كبيرتين واحدة تغَلبت على الشرق الادنى وهي الاسلام والثانيــة تغَلبت على الغَرب وهي المسيحية

ومع ما بين هاتين القوتين من الاختلافات فانهما ترجعان الى مبدأ واحد او روح واحدة قوامها

١ — التسليم المطلق للعناية الالهية

٢ — تعظيم الآخرة واحتقار الحياة الحاضرة

وليس الغَرض ان نتفرغ لشرح هذه المبادئ الالهية فنتعدى على حقــوق اللاهوتيين والفقهاء انما الغَرض ان نلفت النظر الى تأثيرها في حياة الشرقيين لمـا

لذلك من العلاقة الحيوية ببحثنا الحاضر

فالشرق كما ذكرنا آنفاً مزيج من عنصرين احدهما اكتسبه بالتقليد وهو مظاهر المدنية الغربية والثاني ورثه بحق النبوة وهو مبادئ الحياة الروحية . فبينا نرى الغربي ذا المدنية العلمية الصناعية التجارية عزوماً فعالاً يثق بنفسه ويتكل على ذراعه نرى الشرقي وارث المبادئ الروحية والنظريات السماوية قنوعاً عطوفاً راضياً بما قسم له . وبينا نرى الغربي خدوماً للمصلحة العمومية عاملاً على ترقية المجموع نرى الشرقي معنياً بالمصلحة الخاصة قليل الاكتراث للمصلحة العامة . ذاك يعيش في الدنيا كأنه خالد فيها فيعني بدرس احوالها واستخدام نواميسها والاشتراك مع سواه في تحسينها ، وهذا يعيش كأنه على سفر فلا يهتم بما حوله من امور دنياه ولا يبالي بما يسعد اخاه

الغربي العالمي يحب النظام ويحترم الدستور لمعرفته ان في ذلك صلاحه وراحته والشرقي « الاثيري » ينظر ابداً الى ما وراء الوجود فيعيش على متون الاثير شريعته إلهية يراد بها في الاكثر حماية الضعيف والبائس لا خدمة الجمهور وترقية الجنس فهو لذلك لايطيع شريعة بشرية أو نظاماً طبيعياً إلا اذا كان منفذ الشريعة والنظام مستبداً قوياً . ولقد صدق من قال لا يصلح للشرق إلا مستبد عادل . والمدقق في حالة الشرقي العقلية يجد انه كفرد شديد العواطف حاد الذهن كثير النباهة وربما فاق الغربي في هذه ولكنه ينقصه مزايا التعاون والاجتماع التي هي ضرورية جداً لارتقاء الشعوب

الخلاصة

والخلاصة ان الغربي يفوق الشرقي في الحياة العملية —في اهتمامه بالعلم الطبيعي ومحافظته على النظام الانساني . على ان الشرقي يفوق الغربي في العواطف الروحية والخضوع للنظامات السماوية . قال احد الكتبة الغربيين في مجلة اتلانتيك Atlantic الاميركية : « بماذا يحق الفخر لنا نحن الغربيين على سوانا ؟ أبقوانا العقلية وعواطفنا القلبية ؟ كلا فنحن دون الشرقيين في ذلك . ولكننا نفاخر شعوب الارض قاطبة

بحياتنا العلمية ونظامنا الاقتصادي فبهما قد سدنا على الآخرين وبهما ستبقى لنا السيادة في كل حين» . وهو لعمري كلام وجيه . نعم بذلك يفوق الغرب على الشرق وليس للشرقيين من أمل في الحياة والتقدم الا متى أضافوا الى مزاياهم المبنية على العواطف الروحية مبادئ العلم والعمل فيندفعون الى الامام وهم مرتبطون معاً برباط التضامن والتعاون متحدون في سبيل المصلحة العامة والا فباطل كل سعي لهم نحو الحرية وعبث كل ما يبذلونه في سبيل الاستقلال .

الاصطياف

« ليوسف غصوب »

من كتابه (اخلاق ومشاهد)

من المدينة وضوضائها ، والشوارع وغبارها ، والمكاتب وارقامها ، والتجارة وهمومها

الى رابية عالية هادئة صامتة ، متوجة بالصنوبر الغض يلتف من حول بيت صغير معمّم بالقرميد الاحمر ينفسح امامه الافق الواسع ويطوف به اريج الازهار وتغرد له الاطيار في الاسحار . معلق بين الارض والسماء تكاد تنسى فيه متاعب الحياة واوبئة المفاسد والاخلاق

الى النهوض في الصباح على نشيد البلبل وهينمة الاغصان . ترسل اليك الشمس من النافذة خيوط نورها تلمسك في الجبين ، تقبل شعرك ، تقول لك انهض وانظر ملكة البهاء صاعدة في حللها الذهبية من وراء صنين . ترافقها الغيوم البيضاء سابحة كأجواق الملائكة من حولها . والجبل يرتدي معطفاً من الالوان ، تتغير من آن الى آن . والوهاد تنفث ما بقي فيها من ظلام الليل ، والاجراس ترنُّ بعيدة وقريبة تنادي الطبيعة أن هبي من رقادك . والديك يتلو صلاته امام صفحة الفجر

الى كتاب ادبي تتأبطه الى عين خرّارة ، بين صخور قائمة ، في ظل سنديانة

هرمة . تقرأ تارة وتفتح تارة صدرك للنسيم العليل تتزود منه صحة وعافية وترسل طرفك الى قرى في سفح الجبل امامك كأنها قطيع الاغنام ، دهمها الذئب فهي متلازة بعضها الى بعض ضمن إطار من الاشجار الخضراء اومن حقول القمح الذهبية

الى بندقية تغدو بها الى الادغال الى الاودية العميقة والقمم العالية تترقب الطير وتتبعه . تتعلق اذيالك بالعوسج وتتسلق الحافات . وقد تزل بك القدم وقد تتعب سدىً فتصوّب فوهة البندقية الى هدف وتطلقها فيرنُّ صداها في الوادي ويمتد ويتجاوب من مكان الى مكان كأنه أفاقَ في بطنها طائفة من الجن فهي تتصايح وتتنادى وتتشاور على من نغص عليها سكونها وسباتها . ثم تجلس بعد التعب وتتصفح الطبيعة وما فيها من جمال وجلال . او تهوي الى نبع ترتشف منه الزلال بجفنتي يديك وتبلل صدغيك بمائه البارد

الى جلسة على قمة الجبل عند المساء والشمس مائلة الى الغروب تتدانى قليلاً فقليلاً من الافق وامامها غيوم مختلفة الالوان والاشكال تارةً تشبه جيشاً وطوراً تشبه مسبعة فكأنها صور متحركة على ملاءة اللانهاية والبحر كالصفحة الفضية ممتد واسع قد قسمته الشمس بصولجانها الذهبي فتتنازعه الغيوم تردّ عن البحر نور الشمس والشمس تنفذ فيها سهامها فتتساكب الدماء فيتضرج الافق فتهوي الشمس مغلوبة على نفسها كأنها تنطفئ في عباب الماء ، وكأنها وهي تودع الطبيعة متألمة حزينة تقبل نوافذ بيوت لبنان وتقبل ثلج صنين فتترك من نفسها شيئاً يبقى فيها بعد قضائهما

الى سمر تحت النجوم الزاهرة والقمر يتهادى بينها كالفتى الغرّ بين جماعة من المتظرفات ، وبيروت ممتدة امامك تلمع بالانوار تنفصل منها من حين الى آخر نجوم السيارات فتختفي في منعطفات الطرق ثم تبدو على اكتاف الروابي ثم تسمع دويها بين يديك

وانت طائر على اجنحة الخيال اذا بصوت رخيم يمزق اسدال الظلام وينبعث في سكون الليل فترتجف احشاؤك وتظل به مسحوراً

الى اللذة النفسانية والمشاهد الطبيعية والصحة والراحة والهناء

لا الى مائدة خضراء تحفُّ بهـا الوجوه الصفراء والاعين الملتهبة والقلوب المضطربة والايدي المنقبضة يجلس اليها الفتى غنيًا سليماً ويقوم عنها فقيراً مريضاً

لا الى مراقص تفسد الاخلاق ، وتسلب العقول وتدور بالقلوب كما تدور

لا الى الكاس والطاس والتمرُّغ في حمآت الخمر يسخر بك المارة ويكرهك ذووك .

جمال الطبيعة

« بقلم كرم البستاني »

احد منشئي (لسان الحال)

ان كل من يحب الطبيعة يراها جميلة في كل احوالها وفي مختلف هيآتها

ومن تراه لا يحب تفلّق ستار الليـل عن مبسم الفجر وتدافع امواج الاشعة على رؤوس الجبال تدافع الغَمام في السماء ؟

ومن لا يحب ظهيرة الصيف عندما تبعث سلطانة النهار بالحيـاة المشتعلة الى قلب الارض ؟

أم ليل الشتاء عندما تلقي الطبيعة على وجه البسيطة ملاحف الثلوج البيضاء تتلألأ في الليلة الصاحية تحت لمعات النجوم كأنها بحر من الماس ؟

أم لواء المغيب عند ما ينطوي عن منظر يأخذ بالقلوب ؟

أم لطف نسيم المساء الجميل . أم زمازم الرعـود ، وهدير العواصف وعويل الرياح وتـكسر الامواج . أم كل ما يبدو من العوامل الطبيعية التي نحسُّ لهـا وقعاً في نفوسنا ؟

بيد ان اجمل مشاهد الطبيعة هو اليوم المـاطر ، لا ذاك اليوم الذي يفاجئك بسيله العرم ، بل الذي مـتى نهضت صباحاً من سريرك وأزحت ستائر نافذتك رأيت فيه المطر ينهال على مهل انهيالاً متواصلاً كأن الدنيا لم تعرف منذ كانت

صحوًا . ويبدو لك حينذاك جمال البيت ولذة الاجتماعات العائلية حول المواقد او الموائد يتجلى فيها الحب الاهلي ، وتبين لك في الافق الوان غريبة ، والاشجار كانها أشباح تخفق فوقها الارواح ، قد أذرعها نحو السماء كأنها رهبان خشّع ، وتحس الارض تصلي ، والسماء شاحبة ولكنها مضيئة ضياء تختني معه عظمة النهار الشامس حتى اذا أمسى المساء خلتها كأنها اقتربت من الارض لتحتضنها وتحميها

ليست القطرات المتساقطة الا رسلًا سماوية تبشر بالخير والبركات . وماموسيقى وقعها على الارض الا أغرودة حياة تهبط على البساتين والحقول والبيوت والطرق

أجل ان لليوم الماطر ألحاناً خاصة ، وما أصوات الانسان والوحوش على اختلافها ودمدمة الدواليب ووقع الخطى الا بخافتة تحت ستار المطر الحريري

ان اليوم الشامس يوم محبوب بجماله وضيائه ، غير ان النفس اكثر اتحاداً بكدرة الغمام وما يلبده في النفوس من غمائم السويداء منها بصفاء السماء ، وما يجلب معه من بهجة .

ايها الريح

« لجبران خليل جبران »

تمرُّ آناً مترنحاً فرحاً ، وآونةً متأوهاً نادباً ، فنسمعك ولا نشاهدك ، ونشعر بك ولا نراك . فكأنك بحر من الحب يغمر ارواحنا ولا يغرقها ، ويتلاعب بافئدتنا وهي ساكنة

تتصاعد مع الروابي وتنخفض مع الاودية وتنبسط مع السهول والمروج . ففي تصاعدك عزم ، وفي انخفاضك رقة ، وفي انبساطك رشاقة فكأنك مليكٌ رؤوف يتساهل مع الضعفاء الساقطين ويترفع مع الاقوياء المتشامخين

في الخريف تنوح في الاودية فتبكي لنواحك الاشجار ، وفي الشتاء تثور بشدة فتثور معك الطبيعة باسرها ، وفي الربيع تعلّ وتضعف ، ولضعفك تستفيق الحقول ، وفي الصيف تتوارى وراء نقاب السكون فنخالك ميتاً قتلته سهام الشمس ثم كفنته بحرارتها

لـكن – أَنادباً كنت ايام الخريف ام ضاحكاً من خجل الاشجار بعد ان عرّيتها من ملابسها ؟ أَغاضباً كنت ايام الشتاء ام راقصاً حول قبور الليالي المكلسة بالثلوج ؟ أَعليلاً كنت ايام الربيع ام محباً اضناه البعاد فجاء يصعّد بالتنهيد أنفاسه على وجه حبيبته الطبيعة لينبهها من رقادها ؟ أَميتاً كنت ايام الصيف ام هاجعاً في قلوب الاثمار وبين جفنات الكروم وعلى بيادر القش ؟

انت تحمل من ازقة المدينة انفاس العلل ، ومن الروابي ارواح الزهور . وهكذا تفعل النفوس الكبيرة التي تحتمل اوجاع الحياة بسكينة ، وبسكينة تلتقي بافراحها

انت تهمس في اذن الوردة اسرارًا غريبة تفهم مفادها فتضطرب تارةً ، وطورًا تبتسم

انت تبطئ هنا وتتسارع هنالك وتتراكض هنالك ، ولكنك لاتقف ابداً . وهكذا تفعل فكرة الانسان التي تحيا بالحركة وتموت بالسات

انت تكتب على وجه البحيرة اشعارًا ثم تمحوها ، وهكذا يفعل الشعراء المترددون

من الجنوب تجيء حارًّا كالمحبة ، ومن الشمال تأتي باردًا كالموت ، ومن المشرق لطيفاً كملامس الارواح ، ومن المغرب تتدفق شديدًا كالبغضاء . أَمتقلب انت كالدهر ، ام انت رسول الجهات تبلغ الينا ما تأتمنك عليه ؟

تمرُّ غضوباً في الصحاري فتدوس القوافل بقساوة ثم تلحدها بلحف الرمال . فهل انت انت ذلك السيَّال الخفي المتموّج من اشعة الفجر بين اوراق الغصون ، المنسلّ كالاحلام في منعطفات الاودية حيث تتمايل الزهور شغفاً بك وتتخاصر الاعشاب سكرًا من انفاسك ؟

تثور ظلوماً في البحار فتحرك ساكن اعماقها ، حتى اذا ازبدت حنقاً عليك فتحتَ فاها لجةً ولقمتها من السفن والارواح لقماً مرّةً . فهل انت انت ذلك المحب المتلاعب حنوًا بغدائر الاطفال المتراكضين حول المنازل ؟

الى اين تتسارع بارواحنا وتنهداتنا وانفاسنا ؟ الى اين تحمل رسوم ابتساماتنا وماذا تفعل بشعلات قلوبنا المتطايرة ! هل تذهب بها الى ما وراء الشفق — الى ما وراء هــذه الحياة - ام تجرُّها فريسة الى المغاور البعيدة والكهوف المخيفة ، وهناك تقذفها يميناً وشمالاً حتى تضمحل وتختفي ؟

في سكينة الليل تبيح لك القلوب اسرارها . وعنـد الفجر تهبك العيون اهتزازات اجفانها . فهل انت ذاكر ما شعرَت به القلوب وما رأته العيون ؟

بين جنحيك يستودع الفقير صدى انسحاقه ، واليتيم حرقته ، والحزينـة تأوهاتها . وطي اثوابك يضع الغريب حنينه ، والمتروك لهفته ، والساقطة عويل نفسها . فهل انت حافظ لهؤلاء الصغار ودائعهم . أم انت كهذه الارض لا نودعها شيئاً الا تحوله الى جسمها ؟

أسامع انت هذا النداء وهذا العويل ، وهذا الضجيج وهذا البكاء ، أم انت كالاقوياء من البشر تمتدُّ اليهم الاكفّ فــلا يلتفتون ، وتتصاعد نحوهم الاصوات فلا يسمعون ؟

أسامعٌ انت يا حياة المسامع ؟

ايتها الارض

« من مقالة له ايضاً »

ما اجملك ايتها الارض وما ابهاك
ما أتم امتثالك للنور وانبل خضوعك للشمس
ما اظرفك متشحة بالظل وما املح وجهك مقنَّعاً بالدجى
ما أعذب اغاني فجرك وما اهول تهاليل مسائك
ما اكملك ايتها الارض وما اسناك

لقد سرت في سهولك ، وصعدت على جبــالك ، وهبطت الى اوديتك ، وتسلقت صخورك ، ودخلت كهوفك ، فعرفت حلمك في السهل ، وانفتك على

الجبل ، وهدوءك في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتمك في الكهف ، فانت أنت المتبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها الواضحة باسرارها ومكنوناتها

لقد ركبت بحارك ، وخضت انهارك ، وتتبعت جداولك فسمعت الابدية تتكلم بمدك وجزرك ، والدهور تترنم بين هضابك وحزونك ، والحياة تناجي الحياة في شُعبك ومنحدراتك ، فانت انت لسان الابديــة وشفاها ، وأوتار الدهور واصابعها ، وفكرة الحياة وبيانها

لقد ايقظني ربيعك وسيرني الى عاباتك حيث تتصاعد انفاسك بخوراً . وأجلسني صيفك في حقولك حيث عقدت الازهار والاثمار أكلةً على هام الاشجار . وأوقفني خريفك في كرومك حيث يسيل دمك خمراً . وقادني شتاؤك الى مضجعك حيث يتناثر طهرك ثلجاً ، فأنت انت العطرة بربيعها الجوادة بصيفها الفيَّاضة بخريفها النقية بشتائها

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وابوابها وخرجت اليك مثقلاً بطامعي مكبلاً بقيود انانيتي فألفيتك شاخصة بالكواكب وهي تبسم لك ، فنزعت عني قيودي واثقالي وعلمت ان منزل النفس فضاؤك ، ورغائبها في رغائبك ، وسلامتها في سلامتك ، وسعادتها في الغبار الذهبي الذي تنثره النجوم على جسدك

في الليلة المبطنة بالغيوم ، وقد ملت غفلتي وجمودي خرجت اليك فوجدتك جبارة هائلة مسلحة بالعاصفة ، تحاربين ماضيك بحاضرك ، وتصرعين قديمك بجديدك ، وتبعثرين ضئيلك بضليعك . فعلمت ان نظام البشر نظامك ، وناموسهم ناموسك ، وسنتهم سنتك ، وان من لا يهصر بارياحه ما يابس من اغصانه يموت مللاً ، ومن لا يمزق بثوراته ما بلي من اوراقــه يفنى خمولاً ، ومن لا يكفن بالنسيان ما مات من ماضيه كان هو كفناً لآتي الماضي

* * *

ما اكرمك ايتها الارض وما اطول أناتك

ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ، الضائعين بين ما بلغوا اليه وما قصروا عنه

نحن نضج وانت تضحكين

نحن نذنب وانت تكفرين

نحن نجدف وانت تباركين

نحن ننجس وأنت تقدسين

نحن نهجع ولا نحلم وانت تحلمين في سهرك السرمدي

نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم

نحن نزرع راحاتك[1] العظام والجماجم وانت تستنبتينها حوراً وصفصافاً

نحن نستودعك الجيف وانت تملأين بيادرنا بالاغمار ومعاصرنا بالعناقيد

نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر

نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق

ما اوسع صبرك ايتها الارض وما اكثر انعطافك

ما انت ايتها الارض ومن انت ؟

أطفلة انت في حضن الفضاء ، ام عجوز ترقب الايام والليالي وقد شبعت من حكمة الليالي والايام

ما أنت ايتها الارض ومن أنت ؟

أنت الجمال في عيني ، والشوق في قلبي ، والخلود في روحي

أنت انا ايتها الارض فلو لم اكن لما كنت

(١) ساحاتك

فهرس الكتاب

صفحة